كتاب

السَّيف الصَّقيل

في

الرد على شبهات اليهود والمسيحيين حول الاسلام

وهو رد على الرسالة المسيحية المسماة بالبرهان الجليل
على صحة التوراة والإنجيل

تأليف

الشيخ العلامة /التميمي الداري

تقديم وتحقيق وتعليق

نادى فرج درويش العطار

من كلية الشريعة جامعة الأزهر
و قسم الدراسات العليا في
كلية الحقوق جامعة القاهرة

الناشر
مركز ابن العطار للتراث
بالقاهرة

كتـاب

السَّيـف الصَّـقَيل

فى

الـرد على شبهـات اليهـود والمسيحييـن حـول الاسـلام

وهو رد على الرسالة المسيحية المسماة بالبرهان الجليل
على صحة التوراة والإنجيل

تأليف

الشيخ العلامة /التميمى الدارى

تقديم وتحقيق وتعليق

نادى فرج درويش العطار

من كلية الشريعة جامعة الأزهر
ـو قسـم الدراسـات العليـا فـى
كليـة الحقـوق جامعـة القاهـرة

الناشر
مركز ابن العطار للتراث
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدى المؤلف كتابة هذا للسلطان العثماني
عبد الحميد خان أمير المؤمنين وطبع
بمطبعة المحروسة مصر سنة ١٣١٣ هـ وعلى
هامشه كتاب تنوير الأذهان تأليف الشيخ محمد
زكى الدين سند . وحقوق الطبع والنشر محفوظة
لمركز ابن العطار للتراث بالقاهرة -طبعة

١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٧١١٥

فهرس وتقسيم كتب العهد القديم (التوراة)

اسم السفر	اختصار
القسم الأول: الخليقة والناموس	
التكوين	تك
الخروج	خر
اللاويين	لا
العدد	عد
التثنية	تث
القسم الثانى: تاريخ العهد القديم	
يشوع	يش
قضاة	قض
راعوث	را
صموئيل الأول	١صم
صموئيل الثانى	٢صم
الملوك الأول	١مل
الملوك الثانى	٢مل
أخبار الأيام الأول	١أخ
أخبار الأيام الثانى	٢أخ
القسم الثالث : أناشيد وأمثال وحكمة	
أيوب	أى
المزامير (الزبور)	مز

الأمثال	أم
الجامعة	جا
نشيد الأنشاد	نش

القسم الرابع :أسفار الأنبياء

إشعياء	إش
إرمياء	إر
مراثى إرمياء	مرا
حزقيال	حز
دانيال	دا
هوشع	هو
يوئيل	يؤ
عاموس	عا
عوبديا	عو
يونان	يون
ميخا	مى
ناحوم	نا
حبقُّوق	حب
صفنيا	صف
حجاى	حج
زكريا	زك
ملاخى	مل

عدد أسفاره ٣٩

فهرس الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية

اسم السفر	اختصار
طوبيا	طو
يهوديت	يه
أستير (يونانى) يه	أس (يو)
الحكمة	حك
يشوع بن سيراخ	سى
باروك	با
رسالة إرمياء	إر(يو)
دانيال (يونانى)	دا(يو)
المكّابيين الأول	١ مك
المكّابيين الثانى	٢ مك

فهرس وتقسيم كتب العهد الجديد (الإنجيل)

اسم السفر	اختصار
القسم الأول : تاريخ البشارة وأعمال الرسل	
متى	مت
مرقس	مر
لوقا	لو
يوحنا	يو
برنابا	بَرْ

الذّيداكِي	دِى
أعمال الرسل	أع

القسم الثانى : الرسائل

رومة	رو
كورنثوس الأولى	١ كور
كورنثوس الثانية	٢ كور
غلاطية	غل
أفسس	أف
فيليبّى	فى
كولوسّى	كو
تسالونيكى الأولى	١ تس
تسالونيكى الثانية	٢ تس
تيموثاوس الأولى	١ تم
تيموثاوس الثانية	٢ تم
تيطس	تى
فيلمون	فل
عبرانيين	عب
يعقوب	يع
بطرس الأولى	١ بط
بطرس الثانية	٢ بط
يوحنا الأولى	١ يو
يوحنا الثانية	٢ يو
يوحنا الثالثة	٣ يو
يهوذا	يهو

القسم الثالث : رؤيا يوحنا

رؤيا يوحنا

رؤ

عدد أسفاره ٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

ألف المسلمون من قديم الأيام كتبًا بينــوا فيهــا للمــسيحيين أن التوراة محرفة عمْدا، وأن الأناجيل محرفة عمدًا، وأن اليهود خدعوهم وصدوهم عن دين الإسلام الذى هو الحق من ربهم ، وجعلــوهم فــى وجه المسلمين؛ ليتحارب المسلمون والمسيحيين ، ولا يصاب اليهودى بأذى، وأبعدوهم عن الله بالتثليث وصلب المــسيح وفــداء البــشرية ، وشغلوهم بموضوعات دينية عن البحث العميق فى الدين الــصحيح . ومن هذه الكتب الذائعة الصيت كتاب أدلة الوحدانية فى الرد على الملة النصرانية . وقد أهداه مؤلفه للملك الكامل الأيوبى ﷺ . وكتاب إظهار الحق الذى ألفه الشيخ رحمة الله الهندى لمقاومة المبشرين بالمــسيحية فى الهند . وهذا الكتاب الذى سماه مؤلفه "السيف الصقيل" وأهداه إلى السلطان العثمانى عبد الحميد خان ﷺ.

وألّف المرسلون الأميركان فى "مصر" فى سنة ألف وتــسعمائة ميلادية كتابًا اسمه "الهداية[1]" للرد على إظهار الحق . والسيف الصقيل . وطبعوه فى أربعة أجزاء وبينــوا فيــه: أن القــرآن مجــرف، وأن الأحاديث النبوية من تأليف رواة مجهولين . وقالوا : إن محمدًا لــيس

[1] طبع دار ابن العطار للتراث بالقاهرة تأليف نادى فرج درويش العطار

نبيًا من الله ، وقالوا : إن القرآن لا يدعو إلى محاسن الأخلاق ... إلى غير ذلك من الأقوال التى لا يرتاب عاقل فى كذبها .

لذلك . رأينا أن ننشر السيف الصقيل ؛ ليتبين منه للعالم غيرة علماء المسلمين على دينهم ، وما فى كتبهم التى يقدسونها من الكذب على الله ورسله .

ورأينا أيضًا : أن نرد على مؤلفى الهداية ، ردا حسنا مؤيدا بالأدلة من التوراة والأناجيل على أن كتبهم التى يقدسونها مكتوبة بأيديهم وفيها من الأغلاط ما لا يحصى ولا يعدّ ، وعلى أن القرآن كتاب الله . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أى أن التوراة المحرفة التى فى زمانه ليس فيها نصوص تدل على بطلانه . والتوراة الأولى غير المحرفة لا تدل على بطلانه . لأنه تنزيل من حكيم حميد . يقول الله تعالى :﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

وممَّا فى الكُتُب الثلاثة

١- **إظهار الحق** . وهو كتاب من جزأين

٢- **الهداية** وهو كتاب مكون من أربعة أجزاء

٣- **الرد على الهداية** . وهو كتاب مكون من أربعة أجزاء

١- من إظهار الحق :

جرت عادة المسلمين فى مجادلة المسيحيين أنهم يبدأون بالتوراة؛ لإثبات تحريفها ، ثم يُثنُّون بالأناجيل لنفس الغرض من التوراة.

والتوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام خمسة أسفار هى : التكوين والخروج واللاويين " الأحبار" والعَدَد وتثنية الاشتراع

والأسفار الخمسة التى يقدسها السامريون ، تُعرف بالتوراة السامرية. والتى يقدسها العبرانيون تعرف بالتوراة العبرانية . والتى يقدسها المسيحيون تعرف بالتوراة اليونانية، ويقدسها بعض اليهود مع المسيحيين .

وأضاف العبرانيون أربعة وثلاثين سفرا إلى توراة موسى عليه السلام هى: يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والملوك الثانى وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى وعَزْرا ونَحَمْيا وأستير وأيوب والمزامير (زبور داود) والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد وإشعياء وإرمياء ومراثى إرمياء وحِزقيال ودانيال وهُوشَع ويُوئيل وعاموس وعُوبيديا ويونان ومِيخا وناحُوم وحَبَقُّوق وصَفَنْيا وحَجَّى وزكريا وملاخى .

وأضاف المسيحيون وبعض اليهود العبرانيين سبعة أسفار إلى التسعة والثلاثين سفرا هى : طوبيا "لقمان " ويهوديت والمكَّابيِّين الأول والمكابيين الثانى والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروك .

ومؤلف إظهار الحق أورد أمثلة على الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث نذكر منها:

يقول مؤلف إظهار الحق ما نصه:

" الباب الثاني في إثبات التحريف وهو قسمان: لفظي ومعنوي ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين في القسم الثاني لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود، وأن علماء بروتستنت يعترفون بصدوره عن معتقدي البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رميا شديداً، فلا احتياج إلى إثباته. يبقى القسم الأول وقد أنكره علماء بروتستنت في الظاهر إنكاراً بليغاً لتغليط جهَّال المسلمين وأوردوا أدلة مموهة مزورة في رسائلهم ليوقعوا الناظرين في الشك، فهو محتاج إلى الإثبات. فأريد إثباته في كتابي هذا بعون خالق الأرض والسموات، وأقول: إنَ التحريف اللفظي بجميع أقسامه أعني بتبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها ثابت في الكتب المذكورة. وأورد هذه الأقسام الثلاثة على سبيل الترتيب في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول : في إثبات التحريف اللفظي بالتبديل :

اعلم أرشدك الله تعالى أن النسخ المشهورة للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ " الأولى " النسخة العبرانية وهي المعتبرة عند اليهود وجمهور بروتستنت " والثانية " النسخة اليونانية وهي التي كانت

معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية ، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية . وهي إلى هذا الزمان أيضاً معتبرة عند الكنيسة اليونانية ، وكذا عند كنائس المشرق وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد العتيق " والثالثة " النسخة السامرية وهي المعتبرة عند السامريين وهذه النسخة هي النسخة العبرانية لكنها تشتمل على خمسة كتب من العهد العتيق فقط أعني الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام لأن السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق وتزيد على النسخة العبرانية في الألفاظ والفقرات الكثيرة التي لا توجد فيها الآن وكثير من محققي علماء بروتستنت مثل كني كات وهيلزوهيوبي كينت وغيرهم يعتبرونها دون العبرانية ، ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية وجمهور علماء بروتستنت أيضاً يضطرون في بعض المواضع إليها ويقدمونها على العبرانية كما ستعرف إن شاء الله تعالى. وإذا علمت هذا فأقول:

	النسخة العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم عليه السلام	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث عليه السلام	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
آنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠
مهلائيل	٦٥	٦٥	١٦٥

بارد	١٦٢	٦٢	٢٦٢
حنوك	٦٥	٦٥	١٦٥
متوسالح	١٨٧	١٨٧	١٨٧
لامك	١٨٢	١٨٢	١٨٨
نوح عليه السلام	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠

الشاهد الأول :

إن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦وعلى وفق اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون ٢٢٦٢ وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين ١٣٠٧ وفي تفسير هنري واسكات جدول كتب فيه في مقابلة اسم كل شخص غير نوح عليه السلام من سنى عمر هذا الشخص سنة تولّد له فيها الولد ، وكتب في مقابلة اسم نوح عليه السلام من سني عمره زمان الطوفان. والجدول المذكور هذا يبين أن فى النسخ المذكورة في بيان المدة المسطورة فرق كثير واختلاف فاحش؛ لا يمكن التطبيق بينها ولما كان نوح عليه السلام في زمن الطوفان ابن ستمائة سنة على وفق النسخ الثلاث وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة فيلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العبرانية واليونانية على وفق ١٦٥٦ ١٣٠٧ ٢٢٦٢ الأولى بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة وعلى وفق الثانية بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة ٧٣٢ ولأجل الاختلاف الفاحش ما أعتمد يوسفيس

انبهودي المؤرخ المشهور المعتبر عند المسيحيين على نسخة من النسخ المذكورة ، واختار أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست وخمسون سنة .

الشاهد الثاني :

أن الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم عليه السلام على وفق العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة ٢٩٢ وعلى وفق اليونانية ألف واثنتان وسبعون سنة ١٠٧٢ وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنتان وأربعون سنة ٩٤٢ وفي تفسير هنري واسكات أيضاً جدول مثل الجدول المذكور لكن كتب في هذا الجدول في محاذاة اسم كل رجل غير سام من سني عمره سنة تولدّ له فيها ولد وكتب في محاذاة اسم سام زمان تولد له فيه ولد ، بعد الطوفان والجدول المذكور هذا:

الأسماء	النسخة العبرانية	السامرية	اليونانية
سام	٢	٢	٢
ارفخشد	٣٥	١٣٥	١٣٥
قينان	*	*	١٣٠
شالح	٣٠	١٣٠	١٣٠
عابر	٣٤	١٣٤	١٣٤
فالغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
رعو	٣٢	١٣٢	١٣٢
سروغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
ناحور	٢٩	٧٩	٧٩
تارح	٧٠	٧٠	٧٠

فههنا أيضاً اختلاف فاحش بين النسخ المذكورة لا يمكن التطبيق بينها ولما كانت ولادة إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنين وتسعين سنة ٢٩٢ على وفق النسخة العبرانية وعاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ٣٥٠ كما هو مصرح به في الآية الثامنة والعشرين من الباب التاسع من سفر التكوين فيلزم أن يكون إبراهيم عليه السلام حين مات نوح عليه السلام ابن ثمان وخمسين سنة. وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه ٢٩٢ ٩٤٢ ١٠٧٢ اليونانية والسامرية إذ ولادة

إبراهيم عليه السلام بعد موت نوح عليه السلام بسبعمائة واثنين وعشرين سنة على وفق النسخة الأولى وبخمسمائة واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة الثانية تزيد في النسخة اليونانية بطن واحد بين أرفخشد وشالح وهو قنان، ولا يوجد هذا البطن في العبرانية والسامرية. واعتمد لوقا الإنجيلي على اليونانية فزاد قينان في بيان نسب المسيح ، ولأجل الاختلاف الفاحش المذكور اختلف المسيحيون فيما بينهم ، فنبذ المؤرخون النسخ الثلاث في هذا الأمر وراء ظهورهم وقالوا إن الزمان المذكور ثلاثمائة واثنتان وخمسون سنة ٣٥٢ وكذا ما اعتمد عليها يوسيفس اليهودي المؤرخ المشهور وقال إن هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة ٩٩٣ كما هو يقول في تفسير هنري واسكات. واكستائن الذي كان أعلم العلماء المسيحية في القرن الرابع من القرون المسيحية وكذا القدماء الآخرون على أن الصحيح النسخة اليونانية واختاره المفسر هارسلي في تفسيره ذيل تفسير الآية الحادية عشر من الباب الحادي عشر من سفر التكوين وهيلز. على أن الصحيح النسخة السامرية ويفهم ميلان. محققهم المشهور هورن إلى هذا في المجلد الأول من تفسير هنري واسكات:" إن اكستائن كان يقول إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمان الأكابر الذين قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة، ولعناد الدين المسيحي، ويعلم أن القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة في سنة مائة

وثلاثين من السِّنين المسيحية " انتهى كلام التفسير المذكور " [انتهى من إظهار الحق]

٢- ومما فى كتاب الهدايـة - تـأليف المرسـلون الأمريكـان بمـصر سنة١٩٠٠م

إبراهيم والكواكب

سورة الأنعام ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ﴾ - أى على إبـراهيم - ﴿اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

ولمفسريهم فى هذه الأقوال آراء شتى فمنهم من قال : إن إبراهيم قال هذا القول قبل البلوغ . أى فى حال طفوليته قبل قيام الحجة عليـه واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ وهذا يدل على نوع تَحَيُّر. وقيل: إن كلامه هذا كان بعـد بلوغه. وأولوا عبارة القرآن بما يأتى: وهو أن إبراهيم أراد أن يعرفهم جهلهم وخطأهم فى تعظيم النجوم وعبادتها بأن أراهم النقص الـداخل عليها بسبب الغيبوبة والأفول. ثانيا: قالوا: إنه قال هذا القـول علـى سبيل الاستفهام وهو استفهام إنكار. وإسقاط حرف الاستفهام كثير فـى

كلام العرب. وثالثا: إنه قال هذه على وجه الاحتجاج. كأنه قال لهم: لو كان إلها كما تزعمون لما غاب. وغير ذلك من الأوجه التى اعتـــذروا بها عن وقوع إبراهيم فى عبادة الكواكب. والقول الحق الذى يغنى عن كثرة التأويل : هو الوارد فى التوراة من أن إبراهيم كـــان يعبـــد الله ، وكان والده من شَعْبِه تعالى: وقد تقدّم أن أبا إبراهيم كان من شعب الله المعترفين بوحدانيته المطيعين لأوامره فلا يتوقع أن إبراهيم المتربـــى فى مخافة الله يقول عن الكواكب : إنها ربه ، حتى وإن كانت غايتـــه إقناعهم ببطلان معبودهم ؛ فإنه تُوجد طُرُق كثيرة لدرك المقصود بغير هذه الطريقة . طريقة المواربة والمخاتلة . وحاشا لخليل الله من ذلك . وأنت ترى أنه لما رأى العلماء قُبح هذا الأمر ؛ أخذوا فى تأويل عبارة القرآن بطرق شتى .فالأسلم والأغنم التعويل على كتاب الله ، ونبذ مـــا سواه ظهريًا " أ . هـــ

٣- من الرد على شبهة إبراهيم والكواكب :

يقول مؤلفو الهداية : إن أبا إبراهيم كان مؤمنا بالله ، ولم يكـــن يعبد الأصنام .

والرد عليهم : هو أن التلمود ومخطوطات البحر الميت وإنجيـــل برنابا. كل هؤلاء ذكروا أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصـــنام ، وأن أبا إبراهيم كان يصنع الأصنام ويبيعها . وذكر يوسابيوس القيصرى : أن أبا إبراهيم كان اسمه " آزر "Edher وقـــال دنيـــسدال فـــى كتابـــه

المـــصادر الأصـــلية للقـــرآن The original source of the Quran : إن اليهود الشرقيين كانوا يقولون : إن اسم أباه آزر Zereh

وهذا هو نص قصة إبراهيم ﷺ من إنجيل برنابا :

" فقال عندئذ يسوع : إنكم تكونون مجانين إذا كنـــتم لا تعطـــون حواسكم لله لتشتروا أنفسكم حيث يستقر كنز المحبة ٠ لأن المحبة كنز لا نظير له ٠ لأن من يحب الله كان الله له ٠ ومن كان الله له كان لـــه كل شئ٠

أجاب بطرس : **قل لنا يا معلم كيف يجب على الإنسان أن يحب الله محبة خالصة ؟** فأجاب يسوع : الحق أقول لكم: إن من لا يبغض أباه وأمه وحياته وأولاده وامرأته لأجل محبة الله[١] ؛ فمثل هذا لـــيس أهلا أن يحبه الله ١٠ أجاب بطرس : يا معلم لقد كتب فى نـــاموس الله فى كتاب موسى : "أكرم أباك لتعيش طويلا علـــى الأرض[٢]" ٠ ثـــم يقول أيضا: "ليكن ملعونا الابن الذى لا يطيع أباه وأمه[٣]" ولذلك أمـــر الله بأن يُرجم مثل هذا الابن العقوق أمام باب المدينة وجوبا[٤] بغضب الشعب ٠ فكيف تأمرنا أن نبغض أبانا وأمنا ؟

أجاب يسوع : كل كلمة من كلماتى صادقة ٠ لأنها ليست منـــى بل من الله الذى أرسلنى[٥] إلى بيت إسرائيل ٠ لذلك أقول لكم : إن كل

---

(١) لو ١٤ : ٢٦

(٢) خر ٢٠ : ١٢

(٣) تث ٢٧ : ١٦

(٤) تث ٢١ : ١٨ - ٢١

(٥) يو ١٤ : ٢٤

ما عندكم قذ أنعم الله به عليكم ، فأى الأمرين أعظم قيمة؟ العطيـــة أم المعطى ؟ فمتى كان أبوك أو أمك أو غيرهما عثرة لك فى خدمة الله ؛ فانبذهم كأنهم أعداء ، ألم يقل الله لإبراهيم : "اخرج من بيـــت أبيـــك وأهلك وتعال اسكن فى الأرض التى أعطيها لك ولنسلك[1] " ولماذا قال الله ذلك ؟ أليس لأن أبا إبراهيم كان صانع تماثيل يصنع ويعبد آلهـــة كاذبة ؟ لذلك بلغ العداء بينهما حدا أراد معه الأب أن يحرق ابنه .

أجاب بطرس : إن كلماتك صادقة ، وإنى أضـــرعُ إليـــك أن تقص علينا كيف سخر إبراهيم من أبيه ؟ أجاب يسوع : كان إبراهيم ابن سبع سنين لما ابتدأ أن يطلب الله ، فقال يوما لأبيه :يا أبتـــاه مـــن صنع الإنسان ؟ أجاب الوالد الغبى : الإنسان ، لأنى أنا صنعتك وأبى صنعنى ، فأجاب إبراهيم :يا أبى ليس الأمر كذلك ، لأنـــى ســـمعت شيخا ينتحب ويقول :يا إلهى لماذا لم تعطنى أولادا ؟ أجاب أبوه :حقـــا يا بنى . الله يساعد الإنسان ليصنع إنسانا ولكنه لا يضع يده فيه ، فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويضرع إلى إلهه ويقدم له حُملانـــا وغنمـــا ليساعده إلهه ، أجاب إبراهيم :كم إلها هنالك يا أبى ؟ أجاب الشيخ : لا عدد لهم يا بنى .

فحينئذ أجاب إبراهيم : ماذا أفعل يا أبى إذا خدمت إلهـــا وأراد بى الآخر شرا لأنى لا أخدمه ؟ ومهما يكن من الأمر فإنـــه يحـــصل بينهما شقاق ويقع الخصام بين الآلهة ولكن إذا قتل الإله الذى يريد بى

---

(١) تك ١٢ : ١

شرا ؛ إلهى فماذا أفعل ؟ من المؤكد أنه يقتلنى أنا أيضا ؟ فأجاب الشيخ ضاحكا : لا تخف يا بنى لأنه لا يخاصم إله إلها • كلا فإن فى الهيكل الكبير ألوفا من الآلهة مع الإله الكبير بَعْل • وقد بلغت الآن سبعين سنة من العمر، ومع ذلك فإنى لم أر قط إلها ضَرَب إلها آخر • ومن المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إلها واحدا • بل يعبد واحد إلها، وآخر آخر • أجاب إبراهيم : فإذًا يوجد وفاق بينهم ؟ أجاب أبوه: نعم يوجد • فقال حينئذ إبراهيم :يا أبى أى شئ تشبه الآلهة؟ أجاب الشيخ : يا غبى إنى كل يوم أصنع إلها أبيعه لآخرين لأشترى به خبزا ، وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة ؟ وكان فى تلك الدقيقة يصنع تمثالا • فقال : هذا من خشب النخل وذاك من الزيتون وذلك التمثال الصغير من العاج انظر ما أجمله . ألا يظهر كأنه حى • حقا لا يُعوزه إلا النَّفَس • أجاب إبراهيم: إذًا يا أبى ليس للآلهة نَفَس فكيف يهبون الأنفاس؟ ولما لم تكن لهم حياة فكيف يعطون إذًا الحياة؟ فمن المؤكد يا أبى أن هؤلاء ليسوا هم الله • فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلا: لو كنت بالغا من العمر ما تتمكن معه من الإدراك ؛ لشججتُ رأسك بهذه الفأس • ولكن اصمت إذ ليس لك إدراك • أجاب إبراهيم: يا أبى إن كانت الآلهة تساعد على صنع الإنسان فكيف يتأتّى للإنسان أن يصنع آلهة؟ وإذا كانت الآلهة مصنوعة من خشب فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى • ولكن قل لى يا أبت: كيف وأنت قد صنعت آلهة هذا عددها لم لم

تساعدك الآلهة لتصنع أولادا كثيرين فتصير أقوى رجل فـــى العـــالم؟ فحنق الأب لما سمع ابنه يتكلم هكذا.

فأكمل الابن قائلا : يا أبت هل وجد العالم حينا من الدهر بدون بشر؟ أجاب الشيخ نعم . ولماذا ؟ قال إبراهيم : لأنى أحب أن أعرف من صنع الإله الأول فقال الشيخ :انصرف الآن من بيتى ودعنى أصنع هذا الإله سريعا ولا تكلمنى كلاما فمتى كنت جائعا فإنك تشتهى خبــزا لا كلاما • فقال إبراهيم :إنه لإله عظيم. فإنك تقطّعه كما تريد وهــو لا يدافع عن نفسه • فغضب الشيخ وقال: إن العالم بأسره يقول إنه إلـــه وأنت أيها الغلام الغبى تقول كلا ؟ فو آلهتى لو كنت رجلا لقتلتك ولما قال هذا ضرب إبراهيم ورفسه وطرده من البيت .

فضحك التلاميذ من حمق الشيخ، ووقفوا منذهلين من فطنة إبراهيم • ولكن يسوع وبّخهم قائلا : لقد نسيتم كلام النبى القائل : "الضحك العاجل نذير البكاء الآجل[1]"وأيضا:" لا تذهب إلى حيث الضحك بل اجلس حيث ينوحون لأن هذه الحياة تنقضى فى الشقاء"ثم قال يسوع : ألا تعلمون أن الله فى زمن موسى مَسَخ ناسا كثيرين فى مصر حيوانات مخوفة لأنهم ضحكوا واستهزءوا بالآخرين احذروا من أن تضحكوا من أحد مًّا ؛ لأنكم بكاء تبكون بسببه. أجاب التلاميذ: إننا ضحكنا من حماقة الشيخ.

---

(١) جا ٧ : ٣

فأجاب حينئذ يسوع : الحق أقول لكم : كل نظير يحب نظيره فيجد فى ذلك مسرة ، ولذلك لو لم تكونوا أغبياء لما ضحكتم من الغباوة ، أجابوا :ليرحمنا الله قال يسوع : ليكن كذلك

حينئذ قال فيلبُّس: **يا معلم كيف حدث أن أبا إبراهيم أحب أن يحرق ابنه؟** أجاب يسوع : لما بلغ بلغ إبراهيم اثنتى عشرة سنة من العمر قال له أبوه يوما مّا : غدا عيد كل الآلهة ، فلذلك سنذهب إلى الهيكل الكبير ونحمل هدية لإلهى بَعْل العظيم ، وأنت تنتخب لنفسك إلها، لأنك بلغت سنا يحق لك معه اتخاذ إله ، فأجاب إبراهيم بمكر: سمعا وطاعة يا أبى فبكرا فى الصباح إلى الهيكل قبل كل أحد ، ولكن إبراهيم كان يحمل تحت صدرته فأسا مستورة ، فلما دخلا الهيكل وازداد الجمع ؛ خبأ إبراهيم نفسه وراء صنم فى ناحية مظلمة فى الهيكل ، فلما انصرف أبوه ؛ ظن أن إبراهيم سبقه إلى البيت ولذلك لم يمكث ليفتش عنه .

ولما انصرف كل أحد من الهيكل أقفل الكهنة الهيكل وانصرفوا، فأخذ إبراهيم إذ ذاك الفأس وقطع قوائم جميع الأصنام إلا الإله الكبير بعلا فإنه وضع الفأس عند قوائمه بين جذاذ التماثيل التى تساقطت قطعا لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء ولما كان إبراهيم خارجا من الهيكل رآه جماعة من الناس فظنوا أنه دخل ليسرق شيئا من الهيكل فأمسكوه .

ولما بلغوا به الهيكل ورأوا آلهتهم محطمة قطعا صرخوا منتحبين : أسرعوا يا قوم ولنقتل الذى قتل آلهتنا ٠ فهرع إلى هناك نحو عشرة آلاف رجل مع الكهنة وسألوا إبراهيم عن السبب الذى لأجله حطم آلهتهم ٠ أجاب إبراهيم: إنكم لأغبياء ٠ أيقتل الإنسانُ الله٠ إن الذى قتلها إنما هو الإله الكبير ٠ ألا ترون الفأس التى له عند قدميه إنه لا يبتغى له أندادا.

فوصل حينئذ أبو إبراهيم الذى ذكر أحاديث إبراهيم فى آلهتهم٠ وعرف الفأس التى حطّم بها إبراهيم الأصنام ٠ فصرخ : إنما قتل آلهتنا ابنى الخائن هذا ؛ لأن هذه الفأس فأسى ٠ وقصّ عليهم كل ما جرى بينه وبين ابنه ٠ فجمع القوم مقدارا كبيرا من الحطب ٠ وربطوا يدى إبراهيم ورجليه ٠ ووضعوه على الحطب ووضعوا نارا تحته٠ فإذا الله قد أمر النار بواسطة ملاكه جبريل أن لا تحرق عبده إبراهيم ٠ فاضطرمت النار باحتدام وحرقت نحو ألفى رجل من الذين حكموا على إبراهيم بالموت ٠ أما إبراهيم فقد وجد نفسه مطلق السراح . إذ حمله ملاك اله إلى مقربة من بيت أبيه دون أن يرى مَنْ حمله٠ وهكذا نجا إبراهيم من الموت .

حينئذ قال فِيلِبُّس : ما أعظم هى رحمة الله للذين يحبونه ٠ قل لنا يا معلم كيف وصل إلى معرفة الله ؟ أجاب يسوع : لما بلغ إبراهيم جوار بيت أبيه خاف أن يدخل البيت فانتقل إلى بعد عن البيت ، وجلس تحت شجرة نخل حيث لبث منفردا ٠ وقال: لا بد من وجود إله ذى

حياة وقوة أكثر من الإنسان لأنه يصنع الإنسان ٠ والإنسان بـــدون الله لا يقدر أن يصنع الإنسان.

حينئذ التفت حوله وأجال نظره فى النجوم والقمر والشمس فظن أنها هى الله ولكن بعد التبصر فى تغيراتها وحركاتها قال : يجـــب أن لا تطرأ على الله الحركة ولا تحجبه الغيوم وإلا فنى الناس ٠ وبينمـــا هو متحير سمع اسمه يُنادَى : يا إبراهيم ٠ فلما التفت ولم ير أحــدا فى جهة قال : إنى قد سمعت : يا إبراهيم ٠ ثم سمع كـــذلك اســمه يُنادى مرتين أخريين : يا إبراهيم ٠ فأجاب : من ينـــادينى ؟ حينئـــذ سمع قائلا يقول : إنه أنا ملاك الله جبريل ٠ فارتاع إبراهيم : ولكـــن الملاك سكّن روعه قائلا : لا تخف يا إبراهيم لأنك خليلُ الله ٠ فإنـــك لما حطّمت آلهة الناس تحطيما ؛ اصطفاك إله الملائكة والأنبياء حتـــى أنك كُتبت فى سِفر الحياة[١].

حينئذ قال إبراهيم : ماذا يجب على أن أفعل لأعبد إله الملائكة والأنبياء الأطهار؟ فأجاب الملاك : اذهب إلى ذلك الينبـــوع واغتـــسل لأن الله يريد أن يكلمك ٠ أجاب إبراهيم : وكيف ينبغى أن أغتـــسل ؟ فتبدّى له حينئذ الملاك يافعا جميلا واغتسل من الينبوع قـــائلا : افعـــل كذلك بنفسك يا إبراهيم فلما اغتسل إبراهيم قال الملاك : ارتق ذلـــك الجبل لأن الله يريد أن يكلمك هناك ٠ فارتقى إبراهيم الجبل كما قال له الملاك.

---

(١) ق ٤ : ٣

ولما جثا على ركبتيه قال لنفسه : متى يا ترى يكلمني إله الملائكة؟ فسمع صوتا لطيفا يناديه : يا إبراهيم . فأجابه إبراهيم : من يناديني ؟ فأجاب الصوت : أنا إلهك يا إبراهيم . أما إبراهيم فارتاع وعفّر بوجهه الأرض قائلا : "كيف يُصغي عبدك إليك وهو تراب ورماد[1] ؟" حينئذ قال الله : "لا تخف بل انهض لأني قد اصطفيتك عبدا لي وإني أريد أن أباركك وأجعلك شعبا عظيما . فاخرج إذًا من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن في الأرض التي أعطيكها أنت ونسلك". فأجاب إبراهيم : إني لفاعل كل ذلك يا رب ولكن احرسني لكيلا يضرني إله آخر . فتكلم الله قائلا :" **أنا الله أحد . ولا إله غيري .** أضرب وأشفي أميت وأحيي . أُنزل إلى الجحيم وأخرج منه . ولا يقدر أحد أن ينقذ نفسه من يدي[2]"

ثم أعطاه الله عهد الختان .وهكذا عرف الله أبونا إبراهيم ولما قال يسوع هذا رفع يديه قائلا : الكرامة والمجد لك يا ألله ليكن كذلك " [برنابا ٢٦ – ٢٩]

الأحكام الفقهية
في التوراة

وقد اهتم علماء علم مقارنة الأديان اهتماما عظيما بإظهار التحريف القصدي المتعمد في كتاب التوراة . خاصة أسفار موسى

---

(١) تك ١٨ : ٢٧

(٢) تث ٣٢ : ٣٩

الخمسة ، ولم يهتموا كثيرًا بإظهار الأحكام الفقهية الشرعية حتى نسى الناس أن التوراة كتاب فقه .

لذلك ألفتُ كتابنا الموسوم بالأحكام الشرعية فى التوراة - النص والتفسير؛ لأظهر للناس فى جميع أنحاء العالم أن التوراة كتاب فقـــه . والفقه فيها فيه إصر وأغلال . وأن الله أنزل القرآن ليرفـــع الإصـــر والأغلال . ولذلك يجب عليهم أن يشكروا الله على نعمة القرآن لأنـــه أنزله لمصلحتهم . وبينت فى هذا الكتاب ما فى التوراة عن محمد ﷺ .

وأذكر ههنا نصًا من كتابنا الأحكام الفقهية فى التوراة يشير إلى الإصر والتخفيف ، وأن محمدا رسول الله حقا وصدقا .

النص :

يقول الله تعالى فى محكم كتابه الكريم :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾

والدين الذى شرعه الله لنوح عليه السلام لجميع المؤمنين الناجين معه من الغرق ؛ هو أن يستسلم المرء لإرادة الله ويقوّم سلوكه على تشريعات الله . وقد شرع الله للمؤمنين الناجين وألزمهم بما شرعه لهم. ومما جاء فى كتاب التوراة عن هذه الشريعة :

" وبارك الله نوحا وبنيه و قال لهم أثمروا و اكثروا و املأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل اسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم. كل دابة حية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه و من يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد الإنسان أخيه سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لان الله على صورته عمل الإنسان فأثمروا أنتم وأكثروا وتوالدوا في الأرض و تكاثروا فيها" [تك ٩: ١-٧]

فقد أباح فيها كل المطعومات ولم يستثنى من المطعومات شيئا. لا الميتة ولا لحم الخنزير ولا الدم. وانتشرت هذه الشريعة فى كل مكان حل فيه إنسان من المؤمنين الناجين وعلمها أولاده . وهكذا إلى

أن أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام وحلل فيها وحرم وجعلها شريعة لقومه وللأمم إلى أن يأتى نبى أمى من بنى إسماعيل عليه السلام .

والتوراة لأنها تؤدب الناس إلى مجئ هذا النبى الأمـى، وتهيـئ عقولهم لتقبُّل شريعته ، ولان هذا النبى سيكون نبيّا لجميـع الأمـم ؛ جعلها الله شريعة عامة ليسهل على الأمم الإيمان بمحمد ﷺ وكان بنـو إسرائيل شهداء على الناس بمجئ محمد ﷺ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

وغزا أنبياء بنى إسرائيل بلاد الكفر وعلموهم ديـن الله . ومـن أحكامه: الإيمان بمحمد إذا ما ظهر . فإن فى التوراة : " يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك . مثلى له تسمعون " [تث ١٨]

وقال داود عليه السلام عن محمد ﷺ : " ويملك من البحر إلى البحـر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض" وقال : إن الله يصلى عليـه دائمـا " ويُصلِّى لأجله دائما . اليوم كله يباركه " [مز ٧٢]

ومن ذلك يُعلم أن محمدًا ﷺ كان الناس فى جميع الأمم يسمعون عـن مجيئه. ولذلك سارعوا فى الدخول فى الإسلام وسهلوا على العرب فتح البلاد ، وحسن إسلامهم .

وإذا ثبت أن التوراة من أحكامها حكم الإيمان بنبى يظهر من بعد موسى ؛ يثبت أن شريعة التوراة شريعة مؤقتة . غير مؤبدة...إلخ"

وقد بين المؤلف فى هذا الكتاب النفيس أن دين الإسلام هو الدين الذى اصطفاه الله للعالم أجمع وأن التوراة محرفة وكذلك الإنجيل وأثبت صحة القرآن ونبوة محمد ﷺ ودفع مطاعن المبشرين بالمسيحية عن الإسلام . فجزى الله المؤلف خير الجزاء ، وجعل هذا الكتاب فى ميزان حسناته ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

نادى فرج درويش العطار

١٥ يوليو ٢٠٠٤م

كلية الشريعة / جامعة الأزهر
وقسم الدراسات العليا فى
كلية الحقوق / جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمدًا لمن أنزل على عبده الفرقان، وخصهُ بالحفظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان. والصلاة والسلام على مَن خُصَّ بنسخ جميع الشرائع والأحكام، سيدنا محمَّد المبعوث إلى كافة الأنام المنعوت. فى التوراة والإنجيل، المتحققة بظهورهَ دعوة أبيه إبراهيم الخيل. صلى الله عليهِ وعلى آله ذوى المجد والشان، وأصحابهِ المؤَيدين بأقوى الحجة والبرهان.

أما بعد

فيقول راجى العفو والفتوح من مولاه الكريم البارى، **بكر بن السيد عمر بن السيد أحمد بن السيد موسى التميمى الدارى**: إن بتوفيق الله قد وقفت على رسالة لبعض أذكياء المسيحيين، من فرقة بورتستنت فى الرد على أئمة المسلمين فى مسألتى النسخ والتحريف عدد صحائفها ثمانية عشر. صحيفة بالقطع الثُّمن. مطبوعة بحروف

مصرية سنة ألف وثمانمائة وثلاث وثمانين ميلادية. بمطبعة الإنكليز في مدينة أورشليم– أى القدس الشريف– التابعة إدارتها إلى الدولة العثمانية الإسلامية. سماها " البرهان الجليل على صحة[1] التوراة والإنجيل "

زعم فيها: أنه أقام الحجة القاطعة على المسلمين فى مسألتى النسخ والتحريف، وأنه استنبط من الآيات القرآنية صحة التوراة والإنجيل وأن النسختين الموجودتين فى أيديهم؛ الآن هما عين الموجود ذكرهما فى القرآن. وقد أوجب فيها على أهل الإسلام الاهتمام بشأنهما، والقيام بما فيهما من الأحكام؛ لينالوا بذلك السعادة الأبدية والحياة السرمدية .

مع ما فى آخرها من الطعن والتكذيب الصريح والاستخفاف بالحضرة النبوية.

---

[1] يعرف المسلمون: أن التوراة التى بيد اليهود؛ يقدسها النصارى كتقديسها لها. ولذلك أول نقد يتوجه به المسلم لليهودى وللنصرانى هو إثبات المسلم لأى واحد منهما أن التوراة محرفة باللفظ. أى أن اليهود كتبوها بأيديهم، بعدما كانت مكتوبة بيد الله عز وجل. وبعدما يثبت المسلم تحريف التوراة، يخص النصرانى بتحريف آخر. وهو تحريف الإنجيل.

واليهودى والنصرانى يقوم كلا منهما بإظهار تحريف فى القرآن. وما ذلك منهما إلا خوفا من إسلام اليهود والنصارى. وعدم انتفاعهم بأموالهم. وهم يعلمون أن القرآن خالى من التحريف. فقد قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

وقد نشرها مبشروهم فى الأقطار، من القرى والأمصار، مع أن نشر مثل هذه الرسالة وطبعها فى بلاد الإسلام؛ اعتداء زائد خارج عن رسوم النظام. لكن الباطل كسيح بل قبيح، وأن غطّى وجههُ بكل مليح.

ولما كان ديننا القويم وصراطنا المستقيم. يطالبنا بردّ الشكوك والشُّبَه ويرخص لنا بمكافأة المعتدين بمثل ما اعتدوا به ؛ أردت أن أرد على هذا المفترى، وأُبيّن له إِفكهُ وخطأه الجلىّ . وإنى وإن كنت ليس لى أهلية لهذا الشان لحدوث سنى وقرب العنفوان. ولشغل البال بحوادث الأحوال ، لكن الاتكال على معونة الواحد المنان، يرفع عن العبد قيودات الأزمان؛ فلذلك شرعتُ فى المطلوب، راجيا تمام المرغوب. مراعيًا صحة النقل لما يلزم عن الثقات الفخام، مستمدًّا التوفيق من الملك العلام. وسميته " السيف الصقيل فى الرد على رسالة البرهان الجليل " ليقطع لسانها، ويمزق حجتها وبرهانها. ثم المأمول ممن عثر فى هذا الكتاب، من ذوى الألباب، على شئٍ زلَّ به الفهم القاصر، والعزم الفاتر. أن ينظر إليه بنظر الإصلاح، ويستره بذيل السماح. فإن الاعمال بالنيات والإنسان محل الهفوات. والفقير معترف بقلة البضاعة، وعدم ممارسة هذه الصناعة. لكن عناية الملك اللطيف، إذا لاحظت قد يسبق الضعيف كما قيل :

إن المقادير إذا ساعدت   ألحقت العاجز بالقادر

فالله أسأل، وبنبيه أتوسل. أن يجعله خالــصًا لوجهــهِ الكــريم، موصلاً للفوز بجنات النعيم. وأن يرشدنى إلى الحق والصواب، ويسهل لى جميع الصعاب. إنه أكرم مأمول، وأعظم مسئول .

وها أنا شارع فى المقصود، بعون عناية الملك المعبود. فأقول :

التحريف فى التوراة والزبور والأناجيل الأربعة

قال القسيس النبيل، صاحب البرهان الجليل، بعد البسملة والحمدلة والبعدية هكذا: " **فلما كانت التوراة والإنجيل والزبور هى الكتب المعتبرة، وبالعمل بها تنال سعادة الدنيا والآخرة، ورأينا بعض أحبابنا المسلمين غير مهتمين بقراءَتها؛ فسألناهم عن سبب ذلك فقالوا: إن علمائنا قالوا بحرمة مطالعتها لاشتمالها على التغيير والتبديل والزيادة والنقصان؛ أردنا أن نذكر بعض براهين تبطل ذلك مستنبطة من القرآن** "

أقول[1] وبالله التوفيق، وبهِ الهداية إلى أقوم طريق : إنما قال علماء المسلمين بحرمة مطالعة هذه الكتب الثلاث التى ذكرها حضرة القسيس وغيرها من بقية كتب العهد العتيق والجديد؛ لما اشتملت عليه من المفاسد والمناقضات والاختلافات والغلط الكثير. وما ذلك إلا بسبب

---

[1] التحريف ينقسم إلى قسمين ١-تحريف لفظى ٢- وتحريف معنوى والمؤلف المسيحى ينكر التحريف اللفظى. والمؤلف المسلم يثبته بأدلة من التوراة والزبور والأناجيل.

والمؤلف المسيحى يذكر آيات من القرآن الكريم تنفى التحريف اللفظى-فى نظره- والمؤلف المسلم يفسر آيات القرآن تفسيرا يثبت التحريف اللفظى. فعندنا قضيتان:

القضية الأولى: إثبات التحريف اللفظى فى التوراة والزبور والأناجيل والقضية الثانية: تفسير آيات القرآن الكريم التى تتكلم على التحريف اللفظى تفسيرا يدل على أن القرآن الكريم قد شهد بتحريف التوراة والزبور والأناجيل لفظيا وتحريفا معنويا.

وقوع التغيير والتبديل بالزيادة والنقصان، كما ستقف عليه فى محله إن شاء الله تعالى بالتفصيل الشافى، والبيان الكافى. فمن قال بحرمة مطالعة هذه الكتب؛ فهو مضطر ومعذور لأن الكلام الإلهى مصان عن المناقضات والاختلافات والغلط. ونسبة ذلك إلى الله ﷻ كفر. وكذا يصان عن تفسيق الأنبياء الكرام وتنقيصهم، ونسبة الكذب والزنا والكفر إليهم؛ لأن الله تعالى لما اصطفاهم لهذه الرتبة الشريفة؛ حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمنهى عنه- نهى تحريم أو كراهة- وإنك لتعلم أيها العاقل اللبيب أن تلبسهم بذلك؛ يوجب تنفير أقوامهم المرسلين إليهم فلا ينقادون لهم ؛فتبطل فائدة بعثتهم، ويفوت الاستصلاح والغرض إلا من رسالتهم، وهو محال .

وإنا نرى هذه الكتب التى عناها حضرة القسيس تصرح وتُنادى بتفسيقهم وتنقيصهم. وما نرى من نبى ذكر فيها من نوح إلى المسيح إلا ويكون فاسقًا أو كافرًا أو زانيا أو من أولاد الزنا- أعاذنا الله من أمثال هذه الإعتقادات الفاسدة فى حق الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام-وإنى وإن كنت أرى أن أنقل ما نسبوه فى كتبهم المقدسة إلى الأنبياء الكرام من الذنوب والكفريات المفتريات ولو على سبيل الإلزام؛ لكنى لما رأيت علماء بروتستنت فى هذا الزمن الأخير؛ أطالوا ألسنتهم فى كتبهم. كمؤَلف رسالة الكندى، وصاحب ميزان الحق فى الدين المبين والصراط المستقيم. سيما فى حق سيد المرسلين. إطالة فاحشة لتغليط العوام الذين لا وقوف لهم على كتبهم وإفكهم؛ أحببت أن أنقل

بعضها على سبيل الإلزام وأتبرأ من اعتقادها بالقلب واللسان وأستغفر الله العظيم الشان. وليس نقلها إلا كنقل كلمات الكفر ونقل الكفر ليس بكفر. فأقول :

من ذلك: ما جاء فى العدد الثامن عشر من الأصحاح التاسع من سفر التكوين من الترجمة الطبوعة سنة ١٨٧٠ فى حق نوح عليه السلام هكذا :" فكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث.وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح.ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء.فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال: ملعون كنعان.عبد العبيد يكون لاخوته"إلى هناأهـ

ففى هذا الكلام تصريح بأن نوحًا شرب الخمر وسكر وصار مكشوف العورة. وفيه شئ آخر: وهو أن المذنب بالنظر إلى عورته؛ حام أبو كنعان والذى عوقب باللعنة ابنه كنعان، مع أن أخذ الابن بذنب الأب، خلاف العدل .

قال النبى حزقيال أحد أنبيائهم عليه السلام فى العدد العشرين من الأصحاح الثامن عشر من كتابه هكذا:" النفس الى تخطئ فهى تموت

الابن لا يحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه[1] "

---

[1] نص كلام حزقيال – الأصحاح الثامن عشر:

"وكان إليّ كلام الرب قائلا ما لكم انتم تضربون هذا المثل على ارض إسرائيل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست حي أنا يقول السيد الرب لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل ها كل النفوس هي لي نفس الأب كنفس الابن كلاهما لي النفس التي تخطئ هي تموت والإنسان الذي كان بارا و فعل حقا و عدلا لم يأكل على الجبال ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ولم ينجس امراة قريبه ولم يقرب امرأة طامثا و لم يظلم إنسانا بل رد للمديون رهنه و لم يغتصب اغتصابا بل بذل خبزه للجوعان وكسا العريان ثوبا و لم يعط بالربا ولم يأخذ مرابحة وكف يده عن الجور وأجرى العدل و الحق بين الإنسان والإنسان وسلك في فرائضي وحفظ أحكامي ليعمل بالحق فهو بار حياة يحيا يقول السيد الرب فان ولد ابنا معتنفا سفاك دم ففعل شيئا من هذه ولم يفعل كل تلك بل أكل على الجبال و نجس امرأة قريبه و ظلم الفقير و المسكين و اغتصب اغتصابا ولم يرد الرهن و قد رفع عينيه إلى الأصنام و فعل الرجس وأعطى بالربا و اخذ المرابحة افيحيا لا يحيا قد عمل كل هذه الرجاسات فموتا يموت دمه يكون على نفسه وان ولد ابنا رأى جميع خطايا أبيه التي فعلها فراها و لم يفعل مثلها لم يأكل على الجبال و لم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ولا نجس امرأة قريبه و لا ظلم إنسانا ولا ارتهن رهنا ولا اغتصب اغتصابا بل بذل خبزه للجوعان و كسا العريان ثوبا ورفع يده عن الفقير ولم يأخذ ربا و لا مرابحة بل أجرى إحكامي و سلك في فرائضي فانه لا يموت بإثم أبيه حياة يحيا أما أبوه فلأنه ظلم ظلما و اغتصب أخاه اغتصابا وعمل غير الصالح بين شعبه فهوذا يموت بإثمه وانتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب أما الابن فقد فعل حقا وعدلا حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياة يحيا النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون و شر الشرير عليه

على أنه لو فرضنا أن الابن يحمل إثم الأب وكان ذلك من العدل فما وجه تخصيص كنعان من بين أولاد حام الناظر إلى عورة أبيه، مع أن أولاده كانوا أربعة كوش ومصرايم وفوط وكنعان كما هو مصرح به على هذا الترتيب فى العدد السادس من الأصحاح العاشر من سفر التكوين؟ على أنه ما سُمع أن كنعان ولا بنوه كانوا عبيدًا. ولا فى وقت من الأوقات بل كانوا سادة وملوكا وجبابرة فلسطين وغيرهاكما يعلم ذلك من سفر التكوين.

يكون فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها و حفظ كل فرائضي و فعل حقا و عدلا فحياة يحيا لا يموت كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره الذي عمل يحيا هل مسرة اسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا برجوعه عن طرقه فيحيا وإذا رجع البار عن بره و عمل إثما و فعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير افيحيا كل بره الذي عمله لا يذكر في خيانته التي خانها وفي خطيته التي اخطأ بها يموت وانتم تقولون ليست طريق الرب مستوية فاسمعوا الآن يا بيت إسرائيل اطريقي هي غير مستوية أليست طرقكم غير مستوية إذا رجع البار عن بره وعمل إثما ومات فيه فبإثمه الذي عمله يموت وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل وعمل حقا وعدلا فهو يحيي نفسه رأى فرجع عن كل معاصيه التي عملها فحياة يحيا لا يموت وبيت إسرائيل يقول ليست طريق الرب مستوية اطرقي غير مستقيمة يا بيت إسرائيل أليست طرقكم غير مستقيمة من اجل ذلك اقضي عليكم يا بيت إسرائيل كل واحد كطرقه يقول السيد الرب توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلبا جديدا وروحا جديدة فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل لأني لا اسر بموت من يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا"

وجاء فى العدد العاشر من الأصحاح الثانى عشر من سفر التكوين فى حق إبراهيم عليه السلام هكذا :" وحدث جوع في الارض.فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك.لان الجوع في الارض كان شديدا. وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراي امرأته اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر. فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته.فيقتلونني ويستبقونك.قولي انك أختي.ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك فحدث لما دخل ابرام الى مصر ان المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون.فأخذت المرأة الى بيت فرعون. فَصُنِعَ الى ابرام خيرا بسببها.وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام.فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي.لماذا لم تخبرني انها امرأتك. لماذا قلت هي اختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي.والآن هوذا امرأتك.خذها واذهب" أ هـ

فظهر من هذه الحكاية: أنه لو لم يقل عن زوجته إنها أخته؛ ما كان أخذها فرعون، وإن الكذب بقوله هى أختى ما كان لمجرد الخوف بل كان لرجاء حصول المنفعة والخير أيضًا، بل رجاء حصول الخير والمنفعة كان أقوى. ولذلك قدمه فى كلامه. على أن خوفه من القتل مجرد وَهم. سيما إذا كان راضيا بتركها فإنه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً، وكيف يجوّز العقل –أيها العاقل– صدور مثل هذا عن إبراهيم

عليه السلام وكيف يرضى بترك حريمه وتسليمها للغير، ولم يدافع دونها. حاشا جنابه الشريف أن يرضى بذلك، بل لا يرضى بمثله من له أدنى غيرة، فكيف إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء وصفوة الأمناء .

ومثل هذا: ما جاء في حق ابنه إسحق عليه السلام من أنه لما حدث في الأرض جوع؛ ارتحل إلى أرض فلسطين وسكن في "جرار" فسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته فقال عنها إنها اخته لئلا يقتلوه من أجل حسنها. كما هو مصرح به في العدد السابق من الأصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين .

قال القسيس وليم اسمث في الصفحة ١٦٩ من كتابه المسمى طريق الأولياء بعد أن نقل هذه الحكاية هكذا :" يا أسفي يا أسفي أنه لا يوجد كمال في أحد من بني آدم غير الواحد العديم النظير. والعجب أن شبكة الشيطان التي وقع فيها إبراهيم وقع فيها إسحق وقال عن زوجته إنها أخته. فيا أسفي أن أمثال هؤلاء المقربين عند الله محتاجون إلى وعظ " انتهى كلام القسيس المذكور بلفظه. أقول: ولما تأسف هذا القسيس تأسفًا شديدًا على عدم وجود كمال في أحد من الناس غير المسيح الواحد العديم النظير، وعلى أن هؤلاء المقربين محتاجون إلى واعظ يعظهم؛ فلا نطيل الكلام فيه لكنني أتأسف على عدم وجود هذا القسيس في تلك الأيام حتى يكون واعظًا لهؤلاء المقربين والأنبياء الصالحين. ربنا لا تجعلنا من القوم الضالين، ولا من العقول مسلوبين.

ومن طالع الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين وجد فيه نسبة الكذب إلى سيدنا يعقوب عليه السلام ثلاث مرات وأنه خادع أباه -حاشا جنابه الشريف أن يصدر عنه ذلك- أما الخداع الذى نسب إليه فى الأصحاح المذكور: فهو أن أباه إسحاق عليه السلام لما شاخ وكبر طلب من ولده عيسو طعاما لكى يدعو لهُ بالبركة التى يكون مستحقا بها وأهلاً لمنصب النبوة. فلما سمع بذلك يعقوب عليه السلام ذهب وجاء إلى والده بالطعام المطلوب وقال له: ها أنا ولدك عيسو قد فعلت لك الطعام كما أمرتنى. قم يا والدى وكل؛ لكى تباركنى نفسك. فلما أكل إسحاق عليه السلام من ذلك الطعام دعا لولده يعقوب عليه السلام بدعاءٍ كثير وباركه لكن بنيته أنه عيسو، لا أنه يعقوب. ومع ذلك فقد صار يعقوب عليه السلام بسبب ذلك الدعاء مستحقا لمنصب النبوة. ولذلك حصلت له، بخلاف عيسو. فكما أثر ذلك الخداع عند إسحاق عليه السلام أثر عند الله تعالى أيضا فإن إسحاق عليه السلام كان بصميم قلبه واعتقاده داعيا إلى ولده عيسو لا لولده يعقوب عليه السلام لأن يعقوب جاءَه بصورة أخيه عيسو وكما لم يميز إسحاق عليه السلام بين الأخوين فى حال الدعاء؛ فكذلك لم يميز الله عز وجل بينهما عند إجابة الدعاء -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا- والعجب أن ولاية الله والنبوة والصلاح تحصل بالمحال على أصول كتبهم المقدسة فلو كان حال ديانة أبى الأنبياء الإسرائيلية هكذا أو حال علم الله هكذا فللمنكر أن يقول يجوز أن يكون مبنى معاملات سائر الأنبياء الإسرائيلية مع الله تعالى على الخداع والمكر كأبيهم الأعلى -والعياذ

بالله تعالى من هذه الأمور الواهية التى يكذبها البرهان وتقشعر من ذكرها جلود أهل الإيمان-

ولقد جاء فى العدد الثلاثين من الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين فى حق لوط عليه السلام هكذا :" وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه.لانه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه.فنحيي من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة.ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها.ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد ان الكبرى قالت للصغرى اني قد اضطجعت البارحة مع أبى. فهلمّ نسقيه خمرا الليلة أيضا وقامت الصغرى واضطجعت معه.ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب.وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه عمان.وهو أبو العمانيين إلى اليوم " أهـ

أقول: لو فرضنا صدق هذا الحكاية المحال وقوعها، وأنها صادرة عن قلم موسى عليه السلام فما الحامل له على ذكرها؟ وما الغرض والفائدة من بثها مع أنه لم يُلْحِقها بوعيد عذاب ولا شديد عقاب؟ حاشا جنابه الشريف أن يتعرض لهتك أعراض الأنبياء المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض. وما هى إلا دسيسة دسها من لا يخشى الله تعالى فى الكتب السماوية. وهذا الإنجيل المتداول يشهد بأن

لوطًا عليه السلام بارٌ قديس. لم يعق الوهن فى قديسيتهِ وبرارتهِ بعد نسبة هذه الحركة الشنيعة له. ففى العدد السابع من الأصحاح الثانى من رسالة القديس بطرس الثانية هكذا:

"وأنقذ لوطًا البارُ من سيرة الأردياء فى الدعارة إذ كان البار بالنظر والسمع وهو الساكن بينهم يعذب يومًا فيومًا نفسه البارة بالأفعال الأثيمة " أ هـ

فهذا بطرس الحوارى قد أطلق عليه لفظ البار ومدحه على شدة طاعته لله تعالى، وأنا أشهد أيضًا أنه كان بارًا، بريًا مما نسبوه إليه على أنا ما سمعنا أن السكر يوصل إلى هذه الحركة الشنيعة. فإن السكران لا يخلو إما أن يكون سكره متوسطًا أو فى أعلى طبقة. فإن كان متوسطا يبقى له تمييز فيميز بناته عن الأجنبيات، وإن كان سكره فى أعلى طبقة يسقط حينئذ تمييزه، لكن لا يبقى فى هذا الوقت قابلا للجماع. كما شهد بذلك الأطباء والمولعون بشرب الخمر، وإلى هذا الحين ما سمعنا أن فى الدنيا بأسرها أن رزيلاً من الأرزال الذين يكونون فى أغلب أوقاتهم مخمورين أنه فعل مثل هذا الفعل الشنيع، وإذا كان الخمر موصلاً إلى هذه الرتبةالسافلة فوا أسفى على حال المولعين بشرب الخمر، كيف يرجى نجاة بناتهم وأمهاتهم من أيدى الآباء والأبناء والإخوة، سيما إذا أضفنا ذلك إلى من يجمع نسائهم ورجالهم كأس واحد. والعجب كل العجب من هذا القديس البار بحكم الإنجيل كما ابتلى فى الليلة الأولى ابتلى فى الليلة الثانية وما انتبه فيها

لما فعلته معه ابنته الكبرى فى الليلة الأولى. وذلك مما لا يمكن تصوره .

وكيف يجوّز العقل السليم وقوع ذلك الفعل الشنيع من ابنتى لوط ﷺ بعد أن نظرتا وقوع الخسف والعذاب فى قوم أبيهما بسبب فعل الفاحشة التى كانوا يفعلونها بالأجانب فضلاً عن الأقارب؟ ولو فرضنا وقوع ذلك المحال وقوعه؛ لِمَ لَمْ تخسف بهم الأرض كما خُسفت بأقوامهم؟ بل كان يجب أن يعذبوا بأشد أنواع العذاب حيث رأوا القصاص على مثل ذلك الفعل الشنيع بأعينهم. وقد نجاهم الله منه ولم يخشوه فيما بعد وما اتعظوا. لعل أن يقال من طرف حضرة القسيس: أن فعل هذا الأمر كان مقضيًا مرضيًا ليتولد داود وسليمان وعيسى أبناء الله من نسل هذين الولدين السعيدين؛ لأن عُوبِيد جد لداود ﷺ واسم أمه راعوث. كما هو مُصرَّح به فى العدد الخامس من الأصحاح الأول من إنجيل متى. وراعوث هذه كانت موآبية من أولاد موآب ابن سيدنا لوط عليه السلام كما هو مصرح فى سفر راعوث ولأن رحبعام بن سليمان ﷺ من أجداد عيسى ﷺ كما هو مصرح به فى العدد السابق من الأصحاح الأول من إنجيل متى واسم أمه نعمة. ونعمة هذه التى هى أم رحبعام الذى هو جد للمسيح ﷺ كانت عمانية من أولاد عمان بن لوط ﷺ كما هو مصرح به فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول. فهذه نعمة من جدات ابن الله الوحيد بل الله على زعمهم. فأى شرف لموآب وعمان ولدى

الزنا؟ أأزيد من أن بعض بنات الأول صارت جدة معظمة لأبناء الله - على زعمهم- وبعض بنات الثانى الذى هو عمان صارت جدة خاصة لابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم؟

وحيث ثبت لك أيها اللبيب أن نسب المسيح عليه السلام قد وصل إلى موآب وعمان باعتبار تولده من هاتين الجدتين؛ فقد صار المسيح عليه السلام موآبيًا وعمانيًا وما كان للعمانيين والموآبيين أن يدخلوا فى جماعة الرب إلى الأبد. كما هو مصرح به فى العدد الثالث من الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ميلادية. فكيف دخل المسيح عليه السلام فى جماعة الرب بل صار رئيسهم -على زعمهم- ولا يصح أن يقال إن اعتبار النسب بالآباء لا بالأمهات فلا يكون المسيح عليه السلام عمانيًا ولا موآبيًا لأنا نقول: لو كان الأمر كذلك يلزم أن لا يكون المسيح أيضًا إسرائيليًا ولا يهوذاويًا ولا داوديًا ولا سليمانيًا؛ فإن حصول هذه الأوصاف له من جانب الأم لا من جانب الأب؛ فلا يكون حينئذ مسيحًا موعوداً به. واعتبارهم هذه الأوصاف باعتبار الأم وعدم اعتبارهم كونه عمانيا موآبيا من جهة الجدات؛ ترجيح بلا مرجح. وهو باطل. وهذا وارد على نبوة داود وسليمان عليهما السلام أيضا باعتبار راعوث. لكن لا نطيل الكلام فيهما. فتأمل.

ومثل هذا ما جاء فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين فى حق رأوبَيْن عليه السلام هكذا "ومضى

رأوبَيْن[1] وضاجع بلهة سرية ابيه وسمع أبوه بذلك " فانظر أيها اللبيب إلى ما نسبوه إلى رأوبَيْن الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام أنه زنـى بزوجة أبيه، وأبوه قد سمع بذلك ولم يُجرى الحد والتعزير عليه ولا على هذه الزوجة. والظاهر أن حد الزنا بالنار كما يفهم ذلك من العـدد الرابـع والعشرين من الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين .

ولقد جاءَ مثل هذا الفعل الشنيع فى العدد السادس من الأصـحاح المذكور فى حق يهوذا ابنه الآخر هكذا:" واخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها ثامار. وكان عير بكر يهوذا شريرا في عينـي الـرب.فأماتـه الرب. فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له.فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلا لأخيه. فقبح في عيني الرب ما فعله.فأماته أيضا. فقال يهوذا لثامار كنته: اقعدي أرملة في بيت أبيـك حتى يكبر شيلة ابني.لأنه قال لعله يموت هو أيضا كأخويـه.فمـضت ثامار وقعدت في بيت أبيها.

ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا.ثم تعـزّى يهـوذا فصعد الى جزاز غنمه إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلامي. فأخبرت ثامار وقيل لها: هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجزّ غنمه. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلفّفت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة.لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تُعط له زوجة. فنظرها

---

[1] فى الأصل: روبيل.

يهوذا وحسبها زانية.لأنها كانت قد غطت وجهها. فمـال إليهـا علـى الطريق وقال هاتي أدخل عليك.لانه لم يعلم أنها كنتـه.فقالـت: مـاذا تعطيني لكي تدخل عليّ؟ فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم.فقالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله. فقال: ما الرهن الذي أعطيك؟فقالـت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك.فأعطاها ودخل عليها.فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه العدلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة.فلم يجدها. فسأل أهل مكانها قائلا: أين الزانية التي كانت في عينايم علـى الطريق؟ فقالوا لم تكن ههنا زانية. فرجـع إلـى يهـوذا وقـال لـم أجدها.وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن ههنا زانية. فقال يهـوذا لتأخـذ لنفسها لئلا نصير إهانة.إني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها ولما كان نحو ثلاثة اشهر أخبر يهوذا وقيل له: قد زنت ثامار كنتك.وها هي حبلى أيضا من الزنى.فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق. أمـا هـي فلمـا أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي هذه له أنا حبلـى؟ وقالت: حقّق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه؟ فتحققها يهوذا وقـال: هي أبرّ مني لاني لم أعطها لشيلة ابني.فلم يعد يعرفها أيضا.

وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان. وكان فـي ولادتهـا أن أحدهما أخرج يدا فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزا قائلـة: هـذا خرج أولا. ولكن حين ردّ يده إذ أخـوه قـد خـرج.فقالـت: لمـاذا

اقتحمت؟عليك اقتحام.فدعي اسمه فارَص. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز.فدعي اسمه زارَح " أ هـ

أقول: لا عجب ولا استغراب من نسبة هذا الفعل الشنيع ليهوذا عليه السلام على حسب أصولهم المقدسة. لكنى أتعجب من نظم وتركيب هذه الحكاية ومن قولهم إن يهوذا أعطى خاتمه وعصاه وعَمامته لكنَّته رهناً على أجرة ذلك الفعل الشنيع .

وكيف يُتصور أيها العاقل اللبيب من يهوذا أن يذهب من ذلك المكان فى رابعة النهار إلى محلة بلا عَمامة ومكشوف الرأس مع أنه كان رئيسًا فى قومه. وإلى هذا الحين ما سمعنا فى الدنيا بأسرها أن رزيلاً من الأرزال الذين يكونون فى أغلب أوقاتهم فى محلات الفواحش أنه أعطى عمامته رهنًا على أجرة فعل مثل هذا الفعل الشنيع. والأغرب منه قولهم: إن يهوذا أمر بإحراق كنته لما أخبروه أنها حبلى من الزنا، ولما أعلمته أنه هو الذى كان قد زنا بها وحبلها؛ أمر بتركها وشهد لها بشدة البر وأنها أبرُّ منه. فنعم البار ونعمة البارة الفائقة بالبر. فكيف لا وهى التى لم تكشف عورتها إلاَّ على حميها وما زنت إلاَّ به وقد حصلت منه بسبب هذا الزنا الواحد على ابنين كاملين تولد من أحدهما -الذى هو فارص- أنبياء كرام داود وسليمان وعيسى[1] عليهم السلام كما هو مصرح به فى الأصحاح الأول من

---

(١) لا يصح الإيهام بأن عيسى تولّد من "فارص" لأن عيسى عليه السلام مخلوق من الله بغير أب. وهذا فى القرآن. وأما عند اليهود فإنهم يقولون بأنه مخلوق من أب هو "باندارا"

إنجيل متى. فأى شرف لثامار أعظم من أن ابنها فارص المولَّد لها من حميها صار جدًا لأبناء الله داود وسليمان والمسيح ابن الله الوحيد بل الله -على زعمهم-؟ والأعجب من هذا قولهم إن الرب قتل عيرًا زوج ثامار الأول لكونه رديًا. ورداءته لم تعلم من أى جهة كانت. أكانت هذه الرداءة أعظم من رداءة أبيه حيث زعموا أنه زنى بزوجته بعد موته، أو من رداءة عمه الكبير حيث زعموا أنه زنا بسرية أبيه، أو من رداءة فلان حيث زعموا أنه زنا ببنتيه بعد أن نجاه الله من عذاب قومه؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرأفة وعدم القتل. وكان عير الذى لم تعلم خطيئته مستحقًا للقتل فقتله الرب. والأغرب منه قولهم إن الرب قتل أونان أيضا زوج ثامار الثانى على خطأ عزل المنى، وما قتل أباه وأجداده وعمه على تلك الخطيئات. أهذا العزل أشد ذنبًا من تلك الخطيئات؟ نعوذ بالله أن نكون من القوم الكافرين الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

وحيث عرفت أيها اللبيب أن داود ﷺ من ذرية فارص بن ثامار المولود منها بالزنا، وداود ﷺ هو البطن العاشر من فارص

الرومانى. وهم -لعنهم الله- يعلمون أن مريم أمه- شرفها الله تعالى وعظمها- كانت محتجبة عن الناس جميعا فى هيكل سليمان. لأنها كانت منذورة لله تعالى. وأما النصارى ففى إنجيل متى: أنها ولدت المسيح وهى عذراء. ومن بعد ولادته من عذراء تزوجت مريم. وهذا من عبث النصارى فى الأناجيل. لأنها كانت منذورة بإرادتها لخدمة الرب إلى الموت والمنذورة لا تتزوج. ففى الأصحاح الأول من إنجيل متى:"ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع" [متى ١:٢٥]

المذكور كما يعلم ذلك من الأصحاح الأول من إنجيل متى وما كان لابن الزنا أن يدخل فى جماعة الرب حتى يمضى عليه الجيل العاشر، كما هو مصرح به فى العدد الثانى من الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية، فكيف دخل داود وآباؤه فى جماعة الرب بل صار من رؤساء الأنبياء الكرام وصاحب كتاب وإلهام؟ فهو لا يخلو إما أن يكون هذا الحكم ليس من جانب الله تعالى وما صدر عن قلم موسى ﷺ أو أن قصة يهوذا مع كنته ثامار ليست حقيقية وإنما هى من جملة مفتريات بنى إسرائيل. دسها من لا يخشى الله تعالى فى الكتب السماوية حسدًا منه فى الأنبياء الكرام ليجعلهم من غير أبناء الرشد. وليس ذلك ببعيد على قوم عبدوا العجل بعد أن رأوا الآيات البينات والمعجزات الباهرات ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾.

ولقد جاء فى العدد الرابع من الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج فى حق هارون ﷺ من أنه صوَّر العجل وعبده، وأمر بنى إسرائيل بعبادته. ونظير ذلك: ما زعموه فى حق موسى ﷺ من أنه أمر بأن يصنع من ذهب صورة كروبين باسطين أجنحتهما إلى فوق ووجه كل واحد الآخر. يوضعان فوق غطاء تابوت الشهادة الذى فيه نسخة التوراة كما هو مصرح به فى الأصحاح السابع والثلاثين من سفر الخروج مع أن موسى ﷺ قد نهى عن اتخاذ الصور أشد النهى كما هو مصرح به فى العدد الرابع من الأصحاح العشرين من سفر

الخروج أيضًا. وقد زعموا فى حقه أيضًا من أنه استعفى واستقال من النبوة والرسالة فاشتد غضب الله تعالى حيث قال الرب:"ارغب منك يا سيدى أن ترسل غيرى" كما أشير إلى ذلك فى الأصحاح الرابع من سفر الخروج أيضًا .

فكيف يتصور أيها العاقل غضب الرب على موسى عليه السلام مع أنه من أنبيائه وأصفيائه. وغضبه إنما يكون على أعدائه؟ ونظير هذا: ما زعموه فى حقه أيضًا من أن الله تعالى حرمه وأخاه هارون عليهما السلام عن الدخول إلى الأرض المقدسة لكونهما عصياه ولم يقدساه ولم يصدقاه. أمام بنى إسرائيل كما هو مصرح به فى العدد الثانى عشر من الأصحاح العشرين من سفر العدد من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ميلادية .

وقد صرَّح فى العدد الخمسين من الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية أن آخر حياتهما ختمت بإعراض الله عنهما -والعياذ بالله تعالى- والأعجب من هذا ما نسبوه لسليمان عليه السلام من أنه فى آخر عمره ارتد وعبد الأصنام وبنى لها المعابد. كما هو مصرح به فى الأصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول. فانظر أيها النبيل إلى جراءَة بنى إسرائيل على الأنبياء العظام كيف أنهم لم يكتفوا بنسبة المعاصى والكبائر إليهم بل تجاوزوا الحد حتى أخرجوهم عن دائرة الدين بالكلية. ويا عجبًا من بنى إسرائيل كيف ساغ لهم أن يدخلوا فى التوراة هذا البهتان المبين. وإذا حملهم الحسد لأنبيائهم الذين هم من

جنسهم فافتروا عليهم هذه الأمور التى يكذبها البرهان وتقشعر من ذكرها جلود أهل الإيمان؛ فلا عجب ولا استغراب من إنكارهم اسم نبينا وحذفه، وهو من غير جنسهم، ولا يستبعد ذلك من قوم قذفوا المسيح وأمه الطاهرة البتول وقد قتلوا جملة من الأنبياء الكرام بعد أن رأوا منهم الآيات البينات والمعجزات الباهرات .

وحيث ظهر لك أيها اللبيب أنهم يكفّرون نبى الله سليمان عليه السلام تعرف سرّ قوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وإنه وارد للرد على من افترى ذلك وتكذيبه وليس واردا مورد المدح وإلا لم يكن فيه كبير فائدة. ألا ترى أنه لو قيل عن أحد من آحاد الناس فى مقام المدح أنه ليس بكافر لم يعدَّ كبير مدح وربما أغضب من قيل فيه ذلك لأن الكفر من أقبح أنواع العيوب ونفيه يشعر بإمكان ثبوته ولا يستلزم نفى غيره بخلاف ما إذا أريد بذلك الرد على المفترى. فتأمل .

وقد زعموا فى حق والده داود عليه السلام من أنه افتتن بزوجة أُورِيّا الحِثّى فقاربها وحملت منه بولد وأهلك زوجها بالمكر والخداع، ثم تزوجها. كما هو مصرح به فى الأصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى. وزعموا أن الرب قد حكم على داود عليه السلام نظرًا إلى هذا الفعل الذميم على لسان النبى ناثان عليه السلام من أن الولد الذى تولد بزناه؛ موتًا يموت. كما هو مصرح به فى العدد الرابع عشر من الأصحاح الثانى عشر من السفر المذكور. فانظر أيها اللبيب إلى حكم الرب وعدله كيف حكم عليه وقاصصه بموت ابنه وفلذة كبده المتولد

من زناه. وأما حد الزنا الذى هو القتل ما أمره بإجرائه عليه ولا على هذه الزانية. لعل الحدود والتعزيرات المذكورة فى التوراة فرضها الرب للإجراء على الفقراء والمساكين المغلوبين لا على الملوك والسلاطين -نعوذ بالله أن نكون من القوم الكافرين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون على الله ما لا يعلمون-

والأغرب من هذا أن الرب قد حكم عليه أيضًا على لسان النبى ناثان بهذا الحكم وهو هكذا:" قال الرب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نساءك أمام عينك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذا الشمس لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس" كما هو مصرح به فى العدد الحادى عشر من الأصحاح المذكور وقد زعموا أنه وفى بما وعد وهيّج -والعياذ بالله تعالى- ولدًا من أولاده اسمه أبشالوم فنصب خيمة على السطح ودخل على جميع سرارى أبيه فاضطجع معهن تجاه جميع بنى إسرائيل وقدام الشمس كما هو مصرح به فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح السادس عشر من السفر المذكور ثم حارب أبشالوم أباه داود عليه السلام حتى قتل فى تلك المحاربة عشرون ألفًا من بنى إسرائيل كما هو مصرح به فى الأصحاح الثامن عشر من السفر المذكور. فهذا الولد السعيد الذى لداود عليه السلام قد فاق رأوبين الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام بثلاثة أوجه.

الأول: أنه زنا بجميع سرارى أبيه بخلاف رأوبين فإنه زنا بسرية واحدة.

الثانى: أنه زنا بهن تجاه بنى إسرائيل علانية وقدام الشمس بخلاف رأوبين فإنه زنا خفية.

الثالث: أنه حارب أباه حتى قتل عشرون ألفا من بنى إسرائيل بخلاف رأوبين لكن لا استغراب ولا تعجب من هذه الأمور لأن أمثالها لو صدرت عن أولاد الأنبياء بل الأنبياء ليست عجيبة على حكم وأصول كتبهم المقدسة بل أتعجب من أن زنا أبشالوم بسرارى أبيه كان بحكم الرب وعدله، وأنه هو الذى هيَّجه على هذا الفعل الشنيع -تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا- ولا شك أن هذا كله محض افتراء يجب رده وإنكاره. قال الشيخ السنوسى فى مبحث العصمة للأنبياء بعد أن أنكر هذا القصة أشد إنكار:" ولا شك أن فى كتب بنى إسرائيل تخليطًا عظيمًا لا يليق أن يلتفت إليه.

وقد قال على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه: من حدَّث بما قال هؤلاء القصاص -يعنى اليهود- جلدته حدين لما انتهك من حرمة من رفع الله قدره"

ومن عجيب ما جاء فى الإنجيل أن قيافا رئيس كهنة اليهود كان نبيا بشهادة يوحنا الإنجيلى كما صرح بذلك فى العدد الحادى والخمسين من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله وكلامه فى حقه هكذا:" وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ

عَنِ الأُمَّةِ" فقوله "تنبأ" يدل على أن نبوته يقينية. وهذا النبي قد أفتى بقتل المسيح عليه السلام وقد كفره وأهانه أيضاً. فلو كان صدور هذه الأمور عن قيافا بالنبوة والإلهام الإلهي فعيسى عليه السلام إذًا واجب الرد -والعياذ بالله تعالى- والأعجب من هذا ما صرح به بولس من أن مسيحهم لما صلب على خشبة صار ملعوناً ومطروداً من رحمة الله -والعياذ بالله تعالى- وهذا يشعر بغضب الله عليه فإنه لا يطرد من الرحمة إلا الجاحد المتوغل في الكفر كإبليس الملعون -والعياذ بالله تعالى-

فعذراً يا صاحب البرهان إذا قلنا بحرمة مطالعة هذه الكتب المشتملة على هذه المفاسد. فإن الآثام والذنوب الناتجة عن مطالعتها أكثر من الخير بل لا خير[1] في مطالعتها أصلا. إذ مطالعتها ما هي

---

[1] تحريم قراءة كتب التوراة والزبور والإنجيل على المسلمين؛ ليس من نص قرآني، وإنما هو مفهوم ضمنا من حديث نبوى. مروى بطريق الآحاد. ولو كان هذا الحديث صحيحا. ما كان يعمد المؤلف ﷺ إلى قراءة كتب التوراة والزبور والأناجيل؛ ليحتج بها على اليهود والنصارى. وكتابه هذا يدل دلالة قاطعة على أنه كان على جانب عظيم من الفهم وجودة القريحة وقوة العقل، فضلا عن حسن نيته وسلامة طويته. وذلك لأن العالم اليهودى لن يُسلم، ولن يخرج من التوراة آيات ينقض بعضها بعضا؛ ليأخذها المسلم ويحتج بها على اليهود. وكذلك العالم المسيحى. فهل يسكت المسلمون عن البحث فى كتبهم المزورة فى آيات كثيرة بينما هو لا يسكتون عن تكذيب القرآن فى قوله إنهم حرفوا كتبهم، حرفوا التوراة والإنجيل؟ ما عندنا فى ديننا تحريم في شأن هذه الكتب. من جهة الاطلاع عليها. وعلماؤنا الأفاضل لهم جهود عظيمة فى قراءة التوراة والإنجيل، وإظهار عيوبها ونقائصها، وبيان ما فيها من حق وباطل. والمؤلف نفسه فى

إلا هتك حرمة من رفع الله قدرهم وشرفهم علـــى كثيـــر مـــن خلقـــه وخصهم بنبوته وأكرمهم برسالته وأئتمنهم على وحيه، وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه .

فلا يليق أيها القسيس أن ينسب إلى هؤلاء الأنبياء الكرام ما لـــو نسب إلى خوري أو قسيس بل لو نسب إلى آحاد الناس، لاســـتنكف أن يحّدث به عنه؛ فكيف يجوز أن تنسب هذه الرذائل إلى أعراض الأنبياء والصفوة الأمناء المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعـــراض ولعمري. إن ما نسب إليهم محض اختلاف وحاشا أن يكون من كـــلام الخلاّق، وحيث كان الأمر كذلك فقول حضرة القسيس من أن التـــوراة والإنجيل والزبور أي المشتملة على هذه المفاسد هي الكتب المعتبرة ، وبالعمل بها تنال سعادة الدنيا والآخرة غير صحيح قطعـــاً؛ فإنهـــا لا تكون كذلك إلا إذا خلت عن هذه المضامين الفاسدة وأمثالها ، واشتملت على الأمر بعبادة الله تعالى وحده والدعاء إلى توحيده وتعظـــيم أمـــره وتصديق رسله وتنزيههم عن النقائص والرذائل والتزهيد فـــي الـــدنيا والترغيب في الآخرة، بل إذا كانت كذلك يكون الاهتمام بها والعمـــل بمضامينها سبباً موجباً لشقاوة الدنيا والآخرة، سيما إذا أضفنا إلى ذلك

كتابه هذا يقول: إن عندى من كتبهم أكثر مما عندهم. وهو قد أثنى حسنا على الأســـتاذ الشيخ رحمة الله الهندى ونقل منه كثيرا من كتابه القـــيم إظهـــار الحـــق. وذكـــر مـــن مراجعه: الإعلام للقرطبى المحدّث. وغيره.

كونها مشحونة بالأغلاط والاختلافات الغير محصورة؛ فإنه لا سبيل إلى تمييز حقها من باطلها وصدقها من كذبها.

٭٭٭

أما قول حضرة القسيس " أردنا أن نذكر بعض براهين تبطل ذلك مستنبطة من القرآن "

فمحض دعوى من غير دليل. إذ ليس فى القرآن المجيد ما ينهض دليلا لمرامه من عدم وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل، وإنما فى القرآن الكريم ما يدل على وقوع ذلك صراحة، والآيات الواردة فيه الدالة على وقوع التحريف بالتغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل؛ كثيرة جدًا كادت أن لا تحصى من كثرتها. فمن ذلك: قوله تعالى فى سورة المائدة:﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ وقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ معناه: لأى شئ تخلطون الحق الذى أنزله الله تعالى بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه بأيديكم حتى يشتبه أحدهما بالآخر؟ فإن اللبس[1] هو الخلط يقال لبس الشئ بالشئ إذا خلط أحدهما فى الآخر بحيث يتعذر انفصال أحدهما عن الآخر .

---

[1] ١- لبس الحق بالباطل: هو أن كاتب التوراة يكتب الحق، ويضع بعده كلمة ليست من الحق ؛ ليتحير الناس فى فهم المعنى المراد. مثل:" خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق"[تك ٢٢] فإسحق كلمة باطلة وضعها بعد الحق. والدليل على أنها كلمة باطلة: هو أن الوحيد إسماعيل الذى هو مولود قبل إسحق بسبع سنين. وفى قراءة بأربعة

وقد توعد الله لهم على ذلك الفعل بشدة العذاب فى الدار الآخرة بقوله فى سورة البقرة :﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ فهذه الآيات الشريفة صريحة الدلالة على وقوع التغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل. والحسّ والمشاهدة شاهدان على ذلك -كما سيأتى لك أيها اللبيب تحقيقه وإثباته فى صفحات سجل محكمة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى بما يشفى العليل ويروى الغليل-

★★★

عشرة سنة.

٢- تحريف الكلم من بعد مواضعه: هو أن الكاتب يرفع الكلمة الإلهية من التوراة، ويضع بدلها كلمة تحتمل معنى الكلمة الإلهية، وتحتمل معنى الكلمة الوضعية مثل "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك"[تث ١٨] فإن الكلمة الإلهية المرفوعة هى "بنى إسماعيل" لأنه مبارك فيه.[تك ١٧] ووضع بدلها "من إخوتك" التى تحتمل الدلالة على بنى إسماعيل أو على نبى سوف يكون من اليهود.

٣- تحريف الكلم عن مواضعه: هو أنه لما تعذر على اليهود من بعد تحريف التوراة من عزرا؛ تغيير اللفظ. وذلك لانتشار التوراة فى العالم؛ أوحو إلى علمائهم بتأويل الكلام تأويلا فاسدا. أى تفسير النصوص لصالح منفعتهم.

٤- وأما لىّ اللسان: فهو قراءة نصوص التوراة بألحان الموسيقى؛ لوهموا العالم بأنهم يقرأون نصوصا إلهية.

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل :" **وإنما اقتصرنا على البراهين المستنبطة من القرآن ولم نذكر غيرها. كالمستنبطة من التاريخ الدالة على ما صدر فى كل زمان لأن هذه الرسالة ليس المقصود من تأليفها إلا إقناع أحبابنا المسلمين** "

أقول وبالله التوفيق: فكما علمت أيها الصديق بأن ليس فى القرآن المجيد شاهد لحضرة القسيس على صحة دعواه من عدم وقوع التحريف للتوراة والإنجيل، فكذلك التواريخ ليس فيها شاهد على صحة دعواه، وما أعرض عنها فى استنباط البراهين إلا بكونها تصرح وتنادى بأعلى نداء على وقوع التحريف للتوراة والإنجيل فى كل زمان من الأزمان بأقسامه الثلاثة أعنى بتبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها. وأنا أنقل لك أيها اللبيب أقوال المؤرخين من أئمة المسلمين وأقوال المؤرخين من الوثنيين والماديين والطبيعيين وأقوال المؤرخين من المسيحيين عن تواريخهم وتفاسيرهم المعتبرة عندهم فى ثبوت وقوع ذلك .

فأقول : من ذلك ما نقله القسيس هنرى فى المجلد الأول من تفسيره عن القسيس اكستاين ونص عبارته هكذا :" إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمن الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمان موسى عليه السلام وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى. ويعلم أن القدماء من المسيحيين

كانوا يقولون مثله يعنى مثل اكستاين وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة[1] فى سنة مائة وثلاثين من الميلاد" انتهى

فعلم من هذا القول أن اكستاين والقدماء المسيحيين كانوا يعترفون بتحريف التوراة ويدعون أن هذا التحريف وقع فى سنة ١٣٠ من الميلاد لتصيير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى .

وقال المؤرخ يوسى بيس المشهور فى الباب الثامن من الكتاب الرابع من تاريخه هكذا: "ذكر جستن الشهير فى مقابلة طريفون اليهودى عدة بشارات فى حق المسيح وادعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة" انتهى.

فهذا المؤرخ الشهير قد أقر أن جستن الشهير الذى كان من أجل قدماء المسيحيين ادعى أن اليهود أسقطوا بشارات عديدة فى حق المسيح ﷺ من الكتب المقدسة وقد صدقه على هذه الدعوى أغلب علماء المسيحيين من المؤرخين والمفسرين .

وقال المفسر هارسلى فى الصحيفة ٢٨٢ من المجلد الثالث من تفسيره فى مقدمة كتاب هوشع هكذا: "إن المتن المقدس حُرّف. لا ريب فيه. وظاهر من اختلاف النسخ؛ لأن العبارات الصحيحة فى العبارات المختلفة لا تكون إلا واحدة. وهذا الأمر مظنون بل أقول قريب من

---

[1] التحريف فى ذاك الزمان. أى فى سنة مائة وثلاثين ميلادية كان فى أسفار الأنبياء. ولم يكن فى الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ﷺ . وهذا معروف من قرارات مجمع يمنيه؛ فإن اليهود سلموا إلى النصارى فى هذا المجمع كل الكتب المقدسة.

اليقين أن العبارات القبيحة جدًا دخلت فى بعض الأحيان فى المتن المطبوع لكن لم يظهر لى دليل على أن التحريفات فى كتاب هوشع أكثر من سائر كتب العهد العتيق" انتهى.

ثم قال فى الصفحة ٢٨٥ من المجلد المذكور هكذا: "هذا القول صادق البتة أن المتن العبرى فى النقول التى كانت عند الناس كان بعد حادثة بختنصر بل لعل قبلها أيضا قبلية يسيرة فى أشنع حالة التحريف بالنسبة إلى الحالة التى حصلت له فى وقت ما بعد تصحيح عَزْرا" انتهى.

أقول لما كان هذا القول فى غاية الوضوح؛ فغير محتاج إلى البيان. وجاء فى المجلد الرابع من الكتاب المسمى بانسائى كلوبيد باريس نقلاً عن دا كتر كنكات هكذا: "إن نسخ العهد العتيق التى هى موجودة كتبت ما بين ألف وألف وأربعمائة. واستدل كنكات من هذا وقال : إن جميع النسخ التى كتبت فى المائة السابعة والثامنة أُعدمت بأمر محفل الشورى لليهود لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التى كانت معتمدة عندهم. ونظرًا إلى هذا قال القسيس والتن أيضًا: إن النسخ التى مضت على كتابتها ستمائة سنة قلما توجد والتى مضت على كتابتها سبعمائة سنة وثمانمائة سنة؛ ففى غاية الندرة" انتهى.

فهذا كنكات المشهور الذى عليه اعتماد فرقة بروتستنت فى تصحيح كتب العهد العتيق، ووالتن المذكور قد اعترفا أن النسخ التى كتبت فى المائة السابعة والثامنة قد أعدمت بالكلية وما وصلت إلى يد

كنكات حين التصحيح بل التى وصلت إليه النسخ التي كتبت ما بعد الألف إلى الأربعمائة. وبين وجه ذلك: وهو أن اليهود ضيعوا الكتب الأول بأمر محفل الشورى لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة لنسختهم المعتمدة عندهم.

وفى تفسير القسيس آدم كلارك هكذا: "كان اليهود فى عهد "يُوسِيفُوس" -يعنى اليهودى المؤرخ المشهور- يريدون أن يزينوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء واختراع الأقوال الجديدة" انتهى.

ثم قال: انظروا إلى الإلحاقات الكثيرة فى كتاب أستير والى حكاية الخمر والنساء والصدقة التى زيدت فى كتاب عَـزْرا ونَحَمْيا. ويسمى الآن بالكتاب الأول لعزرا، وإلى غناء الأطفال الثلاثة الذى زيد فى كتاب دانيال[1]، وإلى الإلحاقات الكثيرة التى ذكرت فى كتاب يوسيفوس" انتهى.

---

[1] كتاب دانيال والكتب التى يشير إليها المؤلف. كل ذلك مذكور فى الأسفار المحذوفة لدى البروتستانت. وأذكر ههنا من هذه الأسفار المحذوفة هذا النص. وهو من قصة الصنم بال.

"وتوفى الملك أُسطواج وانضم إلى آبائه، وأخذ كورش الفارسى ملكه. فعاش دانيال برفقة الملك الذى أكرمه فوق جميع أصدقائه. وكان لأهل بابل صنم اسمه بال، ينفقون له كل يوم ستو قناطير من السميذ وأربعين شاة وقنطارا من النبيذ. وكان الملك يعبد بالا، وينطلق كل يوم فيسجد له، أما دانيال فكان يسجد لإلهه وحده.

فسأل الملك دانيال: "لماذا لا تسجد لبال؟" أجاب دانيال: "لأنــى لا أعبــد أصــناما صنعتها الأيدى"، بل الإله الحى خالق السماوات والأرض الذى له السلطان علــى كــل كائن حى" فقال له الملك: "أتحسب أن بالا ليس إلها حيا، أولا ترى كم يأكل ويشرب كل يوم؟" فضحك دانيال وقال: "لا تضل أيها الملك، فهذا صنم من الطين المطلى بالنحــاس، وهم لم يأكل قط ولم يشرب" فغضب الملك ودعا كهنته وقال لهم: "إن لم تقولوا لى مــن الذى يأكل ما نقدمه للإله بال، تموتون، وإن بينتم أن بالا يأكل هــذه التقــدمات يمــوت دانيال لأنه جدف على بال" فقال دانيال للملك: "ليكن لى كما قلت" وكــان كهنــة بــال سبعين كاهنا، ما عدا النساء والأولاد.

وجاء الملك ودانيال إلى معبد بال، فقال كهنة بال: "ها نحن ننصرف إلى الخــارج، وأنت أيها الملك ضع الأطعمة على المائدة وأمزج الخمر ثم أغلق الباب واخــتم عليــه بخاتمك. وحين ترجع غدا، إن لم تجد أن بالا أكل كل شئ فإنــا نمــوت، وإلا يمــوت دانيال الذى افترى علينا" واستخف كهنة بال بالأمر لأنهم صنعوا تحت المائــدة مــدخلا خفيا يدخلون منه كل يوم ويأكلون كل شئ.

فلما خرج الكهنة وضع الملك الأطعمة لبال، فأمر دانيال خدمه، فأتوا برمادٍ ورشوه فى الهيكل كله بحضرة الملك وحده، ثم خرجوا وأغلقوا الباب وختموا عليه بخاتم الملك وانصرفوا فجاء الكهنة فى تلك الليلة كعادتهم، هم ونساؤهم وأولادهم، فــأكلوا وشــربوا كل شئ.

وبكر الملك وذهب فى الغد إلى المعبد ودانيال معه، فقــال الملــك: "هــل الخــواتم سالمة، يا دانيال؟" أجاب "هى سالمة، أيها الملك" ولما فتحت الأبواب نظر الملــك إلــى المائدة الفارغة فهتف بصوت عال: "عظيم أنت يا بال، أنت حقا إله ولا غــش فيــك"، فضحك دانيال وأمسك الملك وقال له: "قبل أن تدخل إلى داخل، أنظر الــبلاط وتعــرف إلى هذه الآثار". فقال الملك: " إنى أرى آثار رجال ونــساء وأولاد" وغــضب الملــك، وقبض على الكهنة ونسائهم وأولادهم، فأروه الأبواب الخفية التى يدخلون منها كل ليلة، ويأكلون ما على المائدة، فقتلهم الملك وأسلم بالا إلى دانيال الذى حطم الصنم وهيكله"

أقول: وقد قال المفسر المذكور مثل هذا فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل العدد التاسع من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى هكذا: "قد وقعت فى كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة إلى المواضع الأخرى. والاجتهاد فى التطبيق عبث، والأحسن أن يسلم فى أول الوهلة الأمر الذى لا قدرة على إنكاره. ومصنفو العهد العتيق وإن كانوا ذوى إلهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك" انتهى.

أقول: قد أنصف والله هذا المفسر من أول الوهلة. وقد أقر بوقوع التحريف فى العهد العتيق، لكنه لم يقدر على التعيين حيث اعترف أن التحريفات الواقعة فى كتب العهد العتيق كثيرة.

وجاء فى تفسير كريزاستم على إنجيل متى هكذا: "انمحى كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتبًا لأجل غفلتهم، بل لأجل عدم ديانتهم، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها" انتهى.

فظهر من هذا أيها العاقل اللبيب أن اليهود مزقوا بعض الكتب المقدسة وأحرقوا بعضها لأجل عدم ديانتهم. وقد انعدمت -حفظك الله- بإعدامهم عن صفحة العالم. وإذا كان حال ديانة أهل الكتاب بالنسبة إلى الكتب الإلهية هكذا فأي استبعاد عقلي أو نقلى لو قلنا إنهم فعلوا مثل هذا الفعل بالعبارات التي كانت دالة على نبوّة محمد ﷺ وقد عرفت أيها اللبيب من قول كنكات السابق ذكره الذي عليه اعتماد فرقة بروتستنت في تصحيح كتب العهد العتيق من أن اليهود كانوا ضيعوا

النسخ التى كانت كتبت فى المائة السابعة والثامنة ومحوها عن صفحة العالم لمخالفتها للنسخ المعتمدة عندهم. وما وصل إلى يده حين التصحيح إلا النسخ التى كتبت فيما بعد الألف إلى الأربعمائة. وحيث أن تحريفهم فى ذاك الزمان قد وصل إلى هذه الرتبة وأثر هذا التأثير البليغ؛ فلا استبعاد فى تحريفهم الكتب بعد ذاك الزمان أيضًا؛ فإن لهم مجالاً واسعا للتحريف فى كتبهم فى كل زمان من الأزمان سيما إذا كان ذلك قبل إيجاد صنعة الطبع، بل الحق أن أهل الكتاب لا يمتنعون من ذلك ولا يبالون فيه بعد إيجاد صنعة الطبع أيضًا سيما إذا أضفنا ذلك إلى فرقة بروتستنت؛ فإن التبديل والإصلاح بمنزلة الأمر الطبيعى لهم. ولذلك تراهم إذا طبعوا كتابًا من كتبهم المقدسة أو غيرها مرة أخرى يقع غالبًا فيه تغيير وتبديل كثير بالنسبة إلى المرة الأولى. إما بتبديل بعض المضامين أو بزيادتها أو نقصانها أو تقديم بعض العبارات أو تأخيرها. وإذا كان حالهم هكذا فلا بد للإنسان أن يكون على تنبه تام فى هذا الأمر لئلا يتهم الناقلين عن كتبهم أو يوقعهم فى شبكة الغلط. فمن لم يكن واقفًا على عاداتهم يظن أن الناقل قد أخطأ والحال أنه مصيب. فاحذر وتنبه من هذا الأمر أيها العاقل اللبيب .

ولنرجع إلى ما نحن فيه فأقول: **ومن الأقوال التاريخية الدالة على وقوع التحريف للتوراة والإنجيل:** ما قاله القسيس نورتن المشهور فى تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٧ من الميلاد من أن التوراة جعلية يقينًا ليس من تصنيف موسى عليه السلام لكنه أقر بالإنجيل، مع

اعترافه بالتحريفات الكثيرة فيه وأن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه والتحريف واقع فيه يقينًا فى مواضع كثيرة وأطال الكلام جدًّا فى إثبات ما ادعاه بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة. فمن شاء الوقوف على ذلك فليرجع إلى كتابه المذكور وقال لاردنر فى المجلد الثالث من تفسيره ذيل بيان فرقة مانى كيز ناقلاً عن اكستاين قول فاستس الذى كان من أعظم علماء هذه الفرقة فى القرن الرابع من القرون المسيحية هكذا: "قال فاستس: أنا أنكر الأشياء التى ألحقها فى العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعيبوا صورته الحسنة وأفضليته؛ لأن هذا الأمر محقق: أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفًا من أن لا يعتبر الناس تحريره ظانين أنه غير واقف على الحالات التى كتبها وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغًا بأن ألف الكتب التى توجد فيها الأغلاط والتناقضات" انتهى.

فهذا الفاضل المسيحى الذى كان فى القرن الرابع من القرون المسيحية كان ينادى بأعلى نداء: أن أهل التثليث قد ألحقوا الأشياء التى لم تكن فى العهد الجديد، وأنه من تصنيف رجل مجهول، ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم، وأنه يوجد فيه الأغلاط والمناقضات. ولعمرى إنه لصادق فى هذه الدعاوى الثلاثة، وإن كان من الفرقة المبتدعة بزعم ملة بروتستنت ولقد جاء فى الصحيفة ١٢٤٤ من المجلد الخامس من تفسير القسيس لاردنر المذكور هكذا: "حكم على الأناجيل المقدسة

لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسطيؤس في الأيام التي كان مسألة حاكما في القسطنطينية؛ فصححت مرة أخرى " انتهى.

أقول قد ثبت من هذا القول أن هذه الأناجيل كانت غير ثابتة الإسناد من أنها إلهامية إلى عهد السلطان المذكور، ولو كانت إلهامية وثابت إسنادها إلى الحواريين في هذا العهد المذكور فلا معنى لنسبة الجهالة لمصنفيها وتصحيحها مرة أخرى. وما يدعيه علماء بروتستنت في بعض الأحيان من أن سلطانا من السلاطين أو حاكما من الحكام ما تعرض لهذه الكتب ولا تصرف فيها؛ فباطل يقينا بشهادة تواريخهم وتفاسيرهم هذه.

وهذا القول يعضد قول علماء الجرمن والوثنيين في هذا الباب؛ فإن سلسوس كان من علماء المشركين الوثنيين في المائة الثانية من الميلاد وكتب كتابًا في إبطال الدين المسيحي ونقل اكهارن الذي هو من علماء أهل الجرمن قول ذلك الفاضل المشرك في كتابه هكذا: "بدّل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلا كأنَّ مضامينها بدلت" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى هذا المشرك كيف ينادي ويخبر بأن المسيحيين كانوا بدلوا أناجيلهم إلى عهده المذكور أزيد من أربع مرات.

وأنا اكتفى على نقل هذا القول من أقوال المشركين هربا من التطويل. وأما أقوال الفرقة التى تنكر النبوّة والإلهام التى كثرت الآن فى ديار أوربا التى يسميها علماء بروتستنت بالملحدين. فلو نقلت أقوالها فى باب التحريف فقط لطال الكلام لكن أنقل لك قولاً واحدًا من أقوالها، وأكتفى عليه خوف الإطالة. ومن شاء أزيد من ذلك؛ فليرجع إلى كتبهم المنتشرة فى الأقطار المسكونة.

فأقول: قال الفاضل ياركز -الذى هو أشهر علماء الملحدين- هكذا: "قالت ملة بروتستنت إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهد العتيق والجديد عن أن تصل إليهما صدمة خفية لكن هذه المسألة لا تقدر أن تقوم فى مقابلة عسكر اختلاف العبارات التى هى ثلاثون ألفا" انتهى.

فانظروا يا منصفين إلى هذا الملحد كيف أورد الدليل الإلزامى على علماء بروتستنت استهزاء بهم، لكنه اكتفى فى قوله هذا على تحقيق القسيس ميل. ولذلك قال التى هى ثلاثون ألفًا وإلا لقال مائة وخمسون ألفا بل ألف ألف على تحقيق بعض فضلاء الملحدين. ولعمرى أن هذا الفاضل لصادق فى هذا القول وليس هو من باب المبالغة لأنه قلما يخرج أصحاح أو عبارة من العهد العتيق والجديد ويكون خاليًا عن الغلط والاختلاف. ومن طالع هذه التوراة وهذا الإنجيل من أذكياء المسيحيين الغير متعصبين؛ يظهر له صدق هذه الدعوى بأدنى تأمل. وهذا ما أردنا إيراده فى هذا الباب من أقوال

المؤرخين والمفسرين من أهل التثليث والمخالفين من الملحدين والمشركين. **وأما ما جاء فى هذا الباب من أقوال المؤرخين من أهل الدين الإسلامى المبين؛ فلا حاجة لنقلها لاشتهارها وتواترها.** يكفى النص عليه فى الكلام القديم على لسان الصادق الأمين. وهؤلاء الموافقون والمخالفون منادون بأعلى نداء من أول القرن المسيحى إلى هذا القرن بوقوع التغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل، وليست هذه الدعوى مختصة بأهل الإسلام كما يظهر ذلك من تقرير علماء بروتستنت تغليطاً للعوام .

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا " فقلت إن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان لكي يعبده ويمجده جل جلاله كما ورد في القرآن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق. إنما أتى حضرة القسيس بهذه الآية الشريفة ههنا تمهيدًا لكلامه الآتي، وسيقت في كلامه تعالى لبيان قبح الكفرة والمشركين من ترك ما خلقوا له، حيث خلقوا مهيئين ومستعدين وصالحين للعبادة فخلقهم الله تعالى ممتازين عن سائر الحيوانات بالعقل والفكر والإدراك التام؛ ليستدلوا به على وجوده واتصافه بالوحدانية والقدرة والحكمة والإرادة. وهلم جرًّا. وخلق فيهم القدرة والحواس التي تتحصل بها العبادة؛ فأعرضوا عن ما خلقوا له، مع ما فيهم من الاستعداد والصلاحية والتهيئ الذي هو الغاية بالحقيقة .

فالمعنى على هذا : وما خلقت الجن والإنس إلا مهيئين ومستعدين وصالحين لعبادتي لا كالبهائم والحمير، لكن بعضهم صرف استعداده وصلوحيته في شهوات نفسه وعصيانه وكفر به في الدار الآخرة كما توعد بذلك فيما بعد هذه الآية بقوله :" ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

ولئلا يكون لهم حجة إن لم يقفوا موقف الاعتراف بما له عليهم من التقديس والتمجيد؛ اصطفى من بين خلقه أقوامًا رسلاً يدعون إليه ويرشدون إلى سبيله وأمرهم بأوامر إلزامية افترضها على عبيده وجعلها مباينة للأغراض النفسانية والشهوات الإنسانية حتى يظهر الخبيث من الطيب والعاصى من المطيع وجعل لكل زمان ولكل أمة رسولاً يدعوهم للاعتراف بوحدانيته، وإلزامهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها. ولما كان العقل بانفراده يحيل المكالمة بينه وبين خلقه؛ جعل لرسله من المعجزات والأمور المخالفة للعادة والطبيعة ما يجر رَسَنَ التصديق إلى كل ما يأتون به من رب العالمين.

فمنهم من كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ولكن بإذن الله تعالى، ومنهم من كانت له النار بردًا وسلامًا، ومنهم من كان يدخل يده فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، ويضرب بعصاه الحجر فيخرج منه الماء، ومنهم من سخرت له الرياح تجرى بأمره، ومنهم من أُلين له الحديد. فكان كل ذلك داعيا إلى التصديق بكل ما جاؤوا به أنه من رب العالمين. فمن الناس من كفر بآيات الله وصد عن السبيل، ومنهم من هداه الله فكان من المقربين. ففريق فى الجنة وفريق فى السعير.

ثم ختم رسله بسيد ولده آدم وأيده بالمعجزات الباهرات فانشق له القمر ونبع الماء الطاهر من بين أصابعه الشريفة المرة بعد المرة، وحن له الجذع، وكلمه الضب، وسعت إليه الأشجار وأخبر عن الغيوب

المستقبلة فكانت كما أخبر، وأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به فى تلك الليلة إلى السماء العلا. ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. وكان من أكبر معجزاته الدائمة التى لا انقضاء لها القرآن العظيم المنزل على قلبه بلسان عربى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فسبحان من جعله فى الصدور محفوظًا وفى السطور مسطورًا وصير كل بليغ عن الإتيان بمثله حصيرًا ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ فأرسله إلى كافة الناس كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ سواء فى ذلك العاكف والبادى والعربى والعجمى فبلغ الرسالة وأدَّى الأمانة إلى أهلها وقاسى الشدائد والأهوال من قومه فى سبيل هدايتهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم وأتاه من الله التأييد والنصر على أعدائه حتى قويت شوكة الإسلام والمسلمين وأشرقت شموس التوحيد، وزالت رسوم أهل الشرك والتلحيد. وقامت الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، على تصديقه بكل ما جاء به واتباع سنته وسبيله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهـــان الجليــل :" **وجعــل الله سبحانه وتعالى فى مقابلة ذلك للطائع سعادة أبدية وأفراحًا مـــستمرة مقصودة بالذات فى الدار الآخرة، ولكن لا يمكن الإنسان الوصول إلى تلك الرتبة الجليلة إلا بعد التأديب والإرشاد والتطهير والتنوير. ومن المحال أن ينال القرب من الله والتمتع بلذات الآخرة من غير أن يكون فى حياته أهلاً لذلك؛ لأنه سبحانه ضرورة إله قدوس، والسماء التى يرغب العاقل فى دخولها بقعة طاهرة وزمرة المقربين الواقفين. أمـــا عرش الجبار الذين يسرهم الانتظام فى سلكهم أطهار؛ فينبغى لمـــن أراد أن يكون له حظ فيما ذكر أن يكون طاهراً حتى يستأنس الطاهر بالطاهر، وإلا فمن لم يهذب ويؤهل أولاً لنيل تلك الرتبة الرفيعة فكيف يطمع فى الوقوف أمام الحضرة الإلهيـــة وفـــى معاشـــرة الملائكـــة والمؤمنين الأطهار؟**"

أقول: إن هذه الجُمَل؛ لَمِن محاسن الكَلِم، وجعلها حضرة القسيس أول رسالته موافقة لأخلاق أهل الإسلام يرجو بـــذلك رواجهـــا عنـــد العوام. إذ الطهارة والتنوير اللّذْين يتأهل العبد بهما لنيل القرب من الله ﷻ والرتبة الرفيعة؛ من جملة أخلاقهم الذكية[1]. فالطهارة من حيـــث

---

[1] التوراة تعلّم بنى إسرائيل سوء الخلق. ويدل على ذلك: الأصحاح الرابع مـــن ســـفر هوشع. ونصه: "اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل إن للرب محاكمة مع ســـكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض لعن وكذب وقتـــل وســـرقة وفـــسق

هى قسمان طهارة ظاهرية وطهارة باطنية. وكلا القسمين حسن. ومن أخلاق المسلمين الطاهرين من ربقة الشرك. أما الطهارة الظاهرية فهى تنظيف الأعضاء بالماء الطاهر على وجه مخصوص وإزالة الأوساخ والنجاسات والأحداث كالحيض والجنابة والنفاس. كما جاء الأمر بذلك فى كتابه العزيز.

يعتنفون ودماء تلحق دماء لذلك تنوح الأرض وينبل كل من يسكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء واسماك البحر أيضا تنتزع ولكن لا يحاكم احد ولا يعاتب احد و شعبك كمن يخاصم كاهنا فتتعثر في النهار ويتعثر أيضا النبي معك في الليل وأنا أخرب أمك قد هلك شعبي من عدم المعرفة لانك انت رفضت المعرفة أرفضك انا حتى لا تكهن لي ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضا بنيك على حسبما كثروا هكذا اخطاوا إلي فأبدل كرامتهم بهوان يأكلون خطية شعبي وإلى إثمهم يحملون نفوسهم فيكون كما الشعب هكذا الكاهن وأعاقبهم على طرقهم وارد أعمالهم عليهم فيأكلون ولا يشبعون ويزنون ولا يكثرون لانهم قد تركوا عبادة الرب الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب شعبي يسال خشبه وعصاه تخبره لان روح الزنى قد أضلهم فزنوا من تحت إلههم يذبحون على رؤوس الجبال ويبخرون على التلال تحت البلوط واللبنى والبطم لان ظلها حسن لذلك تزني بناتكم و تفسق كناتكم لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين و لا كناتكم لأنهن يفسقن لأنهم يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنى وشعب لا يعقل يصرع إن كنت أنت زانيا يا إسرائيل فلا يأثم يهوذا و لا تأتوا إلى الجلجال و لا تصعدوا إلى بيت اون ولا تحلفوا حي هو الرب انه قد جمح إسرائيل كبقرة جامحة الآن يرعاهم الرب كخروف في مكان واسع افرايم موثق بالأصنام اتركوه متى انتهت منادمتهم زنوا زنى أحب مجانها أحبوا الهوان قد صرتها الريح في أجنحتها و خجلوا من ذبائحهم.

وقد جاء الأمر به أيضًا فى التوراة عند إرادة الدخول فى العبادة. ولقد فعله الأنبياء والرسل الطاهرون ونحن على آثارهم مقتدون. وأما الطهارة الباطنية فهى طهارة القلب من الأوصاف الذميمة كالكبر والحقد والحسد والكذب والغضب وسوء الخلق وإضمار البغضاء لإخوانه والرياء والعجب بشأنه والغيبة والنميمة والسب والشتيمة ولله الحمد. فللمسلمين من هذه الطهارة الحظ الأكبر. وأما التنوير فهو تنوير القلب بالإيمان بالله تعالى إيمانًا كاملاً بأن تجزم بأن الله تعالى إله واحد منفرد فى أُلوهيته مقدس عن جميع النقائص موصوف بصفات الكمال منزه عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد، وأنه تعالى حى قيوم قديم أزلى أبدى عليم سميع بصير مريد حكيم خبير رحيم رحمن صبور عادل قدوس محيى مميت منزه عن أن يحل فى المخلوقات أو يحل فيه مخلوق وأن ذاته لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تشبه الصفات. فهو الغنى المطلق وكل موجود مفتقر إليه منزه عن كل وصف لا كمال فيه. واجب الوجود لذاته منفرد باستحقاق العبودية على جميع خلقه وهو الذى خلقهم وأوجدهم من العدم إلى الوجود .

وكذلك يتنور القلب بالإيمان بيوم المعاد وبحشر الأجساد ومجازاة العباد، وأن الجنة دار النعيم لمن أطاعه والنار دار الجحيم لمن عصاه. وكذلك يتنور القلب بالإيمان بجميع الأنبياء الكرام والرسل الفخام إيمانًا كاملاً بأن تجزم بأنهم مرسلون من جانب رب العالمين لهداية خلقه وتكميل معاشهم ومعادهم، وأنهم معصومون من ارتكاب جميع

المعاصى ما ظهر منها وما بطن، ومن جميع النقائص والمخالفات، وإنهم بلّغوا جميع ما أُمروا به بتبليغه تبليغًا تامًا وإنهم فى أعلى مراتب الصدق والأمانة والفطانة. فمن طهر قلبه بهذه العقائد المحمودة؛ فقد تنور وصار مؤدبًا ومهذب الأخلاق وأهلاً لنيل الرتبة الرفيعة فى الدار الآخرة.

ولا شك أن هذه العقائد المرضية من جملة عقائد أهل الدين الإسلامى المبين فهم إذ أهل الرتبة العلية والسعادة الأبدية وإذا كانت هذه العقائد ليست محمودة ولا ينال معتقدها تلك الرتبة الرفيعة فى الدار الآخرة؛ فأى اعتقاد يكون حسنا وموجبا لنيل تلك الرتبة الرفيعة؟

نعم أيها القسيس إنا معاشر المسلمين لا نعتقد أن الإله الواحد المنفرد فى ذاته وصفاته ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، وأن المسيح أحد هذه الثلاثة صلب على خشبة وصار ملعونًا مطرودًا من رحمة الله تعالى كما صرح بذلك قديس المسيحيين بولس بقوله "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لأجلنا لعنة لأنه مكتوب فى الناموس ملعون كل من عُلّق على خشبة" وكذا لا نعتقد كما تعتقد فرقة كاثوليك من أنه لا بد أن تصنع الصور والتماثيل ويسجد قدامهن وأن خشبة الصلب وتصاوير الآب الأزلى والروح القدس يُسجد لها بالسجود الحقيقى العبادى وأن صور القديسيين والقديسات يسجد لها بالسجود الإكرامى، وأنه لا خلاص بدون الإيمان بالبابا، وإن كان غير صالح فى نفس الأمر، وأن للبابا ومن دونه الغفران للعصاه والمذنبين ويمحو عنهم الذنوب ولو

كانت من أكبر الكبائر سيما إذا استوفوا ثمنًا وافيًا من أجلها، وأن كل خمر وخبز من الخبزات ولو كانت بمقدار مليونات غير معدودة يستحيل في العشا الرباني في آن واحد ولو في أمكنة مختلفة إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته الذى تولد من العذراء. ولو فرض أن مليونات من الكهنة في أطراف العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا قدسوا في آن واحد يستحيل إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته وأن خبزا واحدا إذا كسره الكاهن. ولو إلى مائة ألف مليون كسرة. كل كسرة منه تصير مسيحا كاملاً. وكذا لا نعتقد أن الخورى والأساقفة يجب منعهم عن الزواج حتى يفعلوا ما لا يفعله المتزوجون.

وكذا لا نعتقد أن داود ﷺ زنى بامرأة الغير وقتله بالحيلة وأن ابنه أبشالوم زنى بجميع سرارى أبيه بأمر الرب وعدله، وأن أخاه أمنون زنى بأخته لأبيه وفض بكارتها وسمع أبوهما بذلك ولم يجرِ الحد والتعزير عليهما. كما هو مصرح به في الأصحاح الثالث عشر من سِفر صموئيل الثاني، وأن شمشون الرسول زنى بامرأة زانية وأنه تعشق امرأة اسمها دليلة من أهالي وادى سُورق، وكان يدخل إليها. كما هو مصرح به في الأصحاح السادس عشر من سفر القضاة، وكذا لا نعتقد أن يهوذا ﷺ من أولاد ولده فارص المتولد من زناه بكنته- على زعمهم- وكذا لا نعتقد أن الرب ندم وتأسف في قلبه على خلقه الإنسان. ولذلك محاه بماء الطوفان. كما هو مصرح به في العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين .

وكذا لا نعتقد أن الرب[1] صارع يعقوب وقوى يعقوب عليه وما أطلقه حتى باركه وسماه إسرائيل. كما هو مصرح به فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التكوين. فكل هذه العبارات الفاسدة وأمثالها من المقالات الكاسدة لا نعتقد صدقها بل ننكرها أشد الإنكار. والعجب كل العجب من هذا القسيس كيف يعرض ويدعى فى مقالته هذه أن المسيحيين هم الطاهرون المتأهلون لنيل الحياة الأبدية والسعادة السرمدية وهم يعتقدون صدق هذه العبارات الفاسدة والمقالات الكاسدة، التى لو عرضت على السموات لانفطرت وعلى الأرض لانشقت، وعلى الجبال لاندكت. لكن لله در من قال:

---

[1] قال هوشع فى الأصحاح ١٢ من سفره إن الذى صارع يعقوب ملك من الملائكة. ونص كلامه: "افرايم راعي الريح وتابع الريح الشرقية كل يوم يكثر الكذب والاغتصاب ويقطعون مع أشور عهدا والزيت إلى مصر يجلب فللرب خصام مع يهوذا وهو مزمع أن يعاقب يعقوب بحسب طرقه بحسب أفعاله يرد عليه في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه وجده في بيت آيل وهناك تكلم معنا والرب اله الجنود يهوه اسمه وأنت فارجع إلى إلهك احفظ الرحمة والحق وانتظر إلهك دائما مثل الكنعاني في يده موازين الغش يحب أن يظلم فقال افرايم إني صرت غنيا وجدت لنفسي ثروة جميع أتعابي لا يجدون لي فيها ذنبا هو خطية وأنا الرب إلهك من ارض مصر حتى أسكنك الخيام كأيام الموسم و كلمت الانبياء وكثرت الرؤى وبيد الانبياء مثلت أمثالا إنهم في جلعاد قد صاروا اثما بطلا لا غير في الجلجال ذبحوا ثيرانا و مذابحهم كرجم في اتلام الحقل وهرب يعقوب إلى صحراء آرام وخدم إسرائيل لأجل امرأة ولأجل امرأة رعى وبنبي اصعد الرب إسرائيل من مصر وبنبي حفظ أغاظه إسرائيل بمرارة فيترك دماءه عليه ويرد سيده عاره عليه"

وإذا أراد الله فتنة معشر وأضلهم؛ رأوا القبيح جميلاً

فالإرادة الأزلية فرقت بين العالمين. فمنهم من أضـله الله علـى علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة. فأولئك الـذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل مـا كـانوا يعملون. ومنهم من هداه الله إلى سبيل رشاده، وألزمه خطـة هدايتـه، ومنحه منحة كرامته وتوجه بتاج محبته فانتزعه مـن قيـود شـهواته الطبيعية، وأخرجه من ظلمات الغواية إلى نور الهداية، وطهـره مـن دنس الاعتقادات الفاسدة والمقالات الكاسدة بماء الشهود فى حـضرات القدس المنزه عن كدورات النقائص المردية؛ فأصبح للكمال قد حـاز، وبحلاه تجمّل. ليس بينه وبين الله حجاب يحجبه من التجليات الإلهيـة والأسرار الربانية الصمدانية، وهو قد عكـف علـى القيـام بحقـوق عبوديته، فأجهد النفس فى تحصيل مرضات ربه، ووقف عند حـدوده التى حدّها له وعلّمه إياها؛ فأجاب دعوته التى دعاه إليها ولبـاه تلبيـة الصادق المخلص فى سر سريرته وحقو ضميره وأخلص له الظـاهر والباطن والتزم أوامره فأدَّاها حق الأداء كما يجب أن تؤدى، واجتنب منهياته كما يحب ويرضى، واعتمد عليه فى السراء والضراء والنعمة والنقمة والمحبوب والمكروه وانتدب لشريعته الغراء التى أنزلها علـى أشرف مخلوق وأجل مقرّب -صلوات الله تعالى وسلامه عليه- فـآمن به وصدقه واتبع كوكب الصبح الذى أنزل معه. وهو الكتاب المبـين،

والفرقان العظيم، والقول الفصل، والآيات البينات التى لم يدخلها ريب ولا شك ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

فالمستمسكون له مستمسكون بحبل غير منفصم؛ فإنه القول الجامع والحكمة البالغة والدين الحق والصراط المستقيم والحاكم العادل والنور الهادى والداعى إلى موارد الإحسان والجامع لشتيت الديانات. سابقها ولاحقها ظاهرها وباطنها علنها وخفيها، فكل مشرَب من موارد الشرائع السابقة مغترف من بحر مائه العذب الزلال، ومقتطف من ثمار أزهاره الزاهية. قد أعد الله لمن جعله قبلة هدايته جنات تجرى من تحتها الأنهار. له فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خالدين فيها ما دامت السموات والأرض. ذلك الدين القيم والملة الحنيفية السمحاء والعروة الوثقى التى لا انفصام لها. يهدى الله إليها من شاء ممن اختاره من خواص عباده الذين اصطفاهم لإعلاء كلمته وانتدبهم لإقامة محجته، وأيدهم بالنصر والظفر وقابلهم بالإحسان، وأعدَّ لهم الحسنى وزيادة. والله ولى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "**فالواسطة التى يهذب ويؤهل الشخص بها لعبادة الله فينال سعادة الآخرة؛ هى الدين الحق الحقيقى المخلّص من الجحيم والموصل إلى النعيم. فلا يستطيع الإنسان أن يقف على جميع أحكامه بمجرد نور عقله القاصر، بل يفتقر أيضًا للحصول على كمال معرفتها إلى هداية إلهية خاصة، التى هى الوحى. ولا يُنكر الافتقار إلى هداية الله سبحانه وتعالى إلا من كان جاهلاً فى الأمور الروحية وأحوال الإنسان وحاجاته الباطنية**"

أقول وبالله التوفيق: إن كلام حضرة القسيس فى أمر الافتقار إلى الهداية الإلهية التى هى الوحى؛ أمر مسلم عند ذوى العقول السليمة والأفكار المستقيمة، ولا ينكره إلا من كان جاهلاً غاية الجهالة. إذ البعثة أساس العمران، وبها صوالح العباد فى المعاش والمعاد. والطعن فى ذلك إنما يكون مجرد عناد ومكابرة للمعلوم بالضرورة والبداهة؛ فلا يسمع كلامه وينبذ به وراء الظهور. فلولاها ما انتظم سير العالم ولا استقام له حال ولا كانت زراعة ولا صناعة ولا تجارة ولا إدارة، إذ بها زمام العدل والإنصاف ورفع الجور والإجحاف، وعليها المدار فى اتحاد الكلمة الموجبة للألفة والمحبة والمعاونة والمساعدة. فإنكار البعثة والافتقار إليها كإنكار طلوع الشمس وهى فى كبد السماء ليس

دونها سحاب، والمنكر ينظر إليها بعينه ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

ولا نطيل الكلام فيما نحن ليس بصدده. لكنى أتأسف على هذا القسيس المعترض، مع قوة فكره وشدة ذكائه؛ ما اهتدى على الدين الحق الحقيقى الذى هو الدين الإسلامى المبين المخلّص من الجحيم، والموصل إلى النعيم. كيف لا وهو الدين القويم والصراط المستقيم الجامع لكل منفعة وخير، والمبعد عن كل شر وضير. المتكفل بتربية الأرواح وتهذيب النفوس وتنوير القلوب وحفظ الأنفس والأموال والأعراض فى السر والعلانية، الداعى إلى مكارم الأخلاق وأحاسن الخصال ومحامد الفعال ومحاسن الأمور، التى يكون بها الإنسان إنسانا طاهرا متنورا متأهلا لنيل السعادة الأبدية والحياة السرمدية.

فهذا دين الله المتين الذى اصطفاه إلى خير خلقه، وأقام دعائمه على محبته، وهدم أركان الضلال بركنه القويم وصراطه المستقيم، وسقى من عطش من حياضه وجعله لا انفصام لعروته، ولا فك لحلقته ولا انهدام لأساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرته ولا خفاء لشريعته ولا جزّ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا سواد لوُضحه ولا انطفاء لمصابيحه ولا اعوجاج لاستقامته ولا مرارة لحلاوته. ولا غرو فقد ثبت أساسه وأثمرت أشجاره وفاضت أنهاره النافعة على قلوب ذويه. فمن اعتصم بحبله واستقى بوبله؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى

التى لا انفصام لها، وآل به إلى أكناف الدّعة وأوطان السعة ومعاقل الحرز ومنازل العزّ فى العاجل والآجل .

وماذا يقول القائل فى الدين الإسلامى المبين وفضائله، وقد صار عند الناس صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم وشريفهم ووضيعهم وجليلهم وحقيرهم ومتكلمهم وأخرسهم وعالمهم وجاهلهم وشجاعهم وجبانهم وكريمهم وبخيلهم وطائعهم وعاصيهم ومؤمنهم وكافرهم وحيهم وميتهم، مذ جاء به سيدنا ومولانا محمد ﷺ هو الدين القويم والصراط المستقيم الذى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

فهذه الجمعية التى أُلّفت حديثًا فى مدينة "نيويورك" عاصمة جماهير "أميركا" المتحدة، من العلماء والفلاسفة؛ فإنها قررت وجوب اتباع الدين الإسلامى المبين، ولزوم نشره فى "أميركا" باتفاق مائة وستين رأيًا يخالفهم أربعون. ولقد نشرت بعض الجرائد أن المخابرة لم تزل جارية عن ذلك بين "نيويورك" و "لوندرة".

ومن هذا. ما نشره أحد علماء الفرنساويين فى مدينة "باريس" منذ أشهر قليلة من وجوب قيام حكومة جمهورية فرنسا بحماية نشر الدين الإسلامى فى إفريقيا، وأظهر ما ينجم عن ذلك من المنافع السياسية والاستعمارية وغيرها، وأنه أقرب تأثيرًا فى الأنفس، وأقرب إلى الاتحاد.

قلت: قال ولولا اشتماله على جميع مصالح العباد؛ ما دخله الناس أفواجا أفواجا. فلقد نقل فى بعض التواريخ الصحيحة: أن أكثر من مائة مليون من الناس على اختلاف أصنافهم وتغاير أوصافهم قد دخلوا فى الدين الإسلامى فى أقل من قرن. ولم يعهد ذلك فى دين من الأديان.

ومن هذا. ما نشره أرباب الجرائد فــى هــذه الــسنين مــن أن المتشرفين بالدخول فى الدين الإسلامى فى القرن الماضى أعنى القرن الثالث عشر من القرون الإسلامية أكثر من نحو مائة مليون أيضًا من الأصناف المختلفة فى المسكونة سيما فى قارة إفريقيا .

وهذا سليم بيك حموى المسيحى المصرى صاحب امتياز جريدة الفرح؛ نشر منذ سنة فى العدد ٢١٢ من جريدته المذكورة: أن ســكان إفريقيا نحو مائتى مليون بين سود وبيض ومتوســط بينهمــا؛ صــار أكثرهم مسلمين ولم يزل الإسلام يمتد فيهم يومًــا فيومًــا مــع عــدم المبشرين به والداعين إليه.

ومن مدة سنتين نشرت جريدة مكارم الأخلاق فى عددها الثــانى والخمسين نقلاً عن جريدة الاتحاد وهى عن جريدة الحاضرة أن عــدد المسلمين بلغ فى هذه السنين فى العــالم ثلاثمائــة وأربعــين مليونًــا وأربعمائة ألف نفس منهم ١٢١٥٠٠٠٠ بأوربا وفى الروسيا وجزيــرة البلقان و ٨٠٠٠٠٠٠ بإفريقيا و ٥٠٠٠٠٠ بأمريكــا والبــاقى بآســيا وجزائر الأقيانوس منهم ٨٠٠٠٠٠٠ بالصين و ٦٠٠٠٠٠٠ بالهند.

قال: وإن الوثنيين بالصين والهند وإفريقيا متزاحمون على الدخول فى دين الله أفواجا. أكثر الله سواد الإسلام وأعلى كلمة الحق والإيمان.

والحاصل: أن الأمم بأسرها سيما أمم الإفرنج وعلمائهم مع عدم اطلاعهم على حقيقة قضايا الشريعة الإسلامية والحكم القرآنية نـراهم ميالين بأطباعهم السليمة إليه. فهذا القـسيس الكبيـر إسـحق طيلـر الإنكليزى الذى قام خطيبًا فى محفل حافل من الإنكليز يـدعوهم إلـى الرجوع إلى الحق من جميع أطرافه، وطرح أردية التعـصبات التـى تُؤل بهم إلى الخسران المبين فى الدار الآخرة .

وقد نقل هذه الخطبة سليم بيك حموى المسيحى المـصرى عـن جريدة البارطان غازت الإنكليزية ثم ترجمها من اللغة الإنكليزية إلـى اللغة العربية ونشرها فى جريدته المسماة بالفلاح. ثم نـشرها أربـاب الجرائد فى المسكونة لما اشتملت عليه من الحجج والبراهين القاطعـة الدالة على أفضلية دين الإسلام المبين.

وحيث كان لها مناسبة قوية فى هذا المقام ولا تخلو عن فائدة بل فوائد؛ أحببت أن أنقلها لك ههنا حرفًا بحرف عن العدد الـسادس مـن جريدة مكارم الأخلاق المصرية للفاضل الأديب والحـسيب النـسيب السيد أحمد أفندى الشريف من أهالى وسكان محروسة القاهرة. وهاك هى بحروفها:

"قال قرأ القسيس إسحق طيلر بالأمس صـحيفة قـال فيهـا: إن الإسلام من حيث هو دين تبليغى. أى جعل أساسه على تبليغ عقائـده

إلى الناس بطريق الدعوة، وإقامة الدليل والحجة، وتفويض الأمر للنظر والفكر فى الوصول إلى المطلوب علمه من تلك العقائد، ولم يحصل أساسه على الإلزام بما لا يعقل بطريق جبرى؛ بهذا نجح فى قطعة عظيمة من العالم نجاحًا يفوق الديانة المسيحية "

تحيرٌ من السامعين

الداخلون فى الإسلام من الوثنيين لا أقول فيهم إنهم أكثر عددًا من الداخلين منهم فى المسيحية فقط، بل أزيد على ذلك أن المسيحية تخنس بالفعل بين يدى الإسلام. والمساعى المبذولة لتنصر الأمم المسلمة؛ ترجع إلى الخيبة رجوعًا ظاهرًا. ليس أمرنا واقف عند العجز من إحداث موطئ جديد لأقدامنا فقط ولكن المقام الذى نحن فيه قد نعجز عن حفظه أيضًا. إن الدين الإسلامى قد انتشر آنفًا من "مراكش" إلى "جاوا" ومن "زنجبار" إلى "الصين" وهو الآن ينتشر فى إفريقيا بسرعة لا يأتى عليها الوصف. فقد ضرب هذا الدين بِجِرانه على أرض "الكونغو" "وزمبيسى" و "أوغاندا" فهذه المملكة القوية الزنجية صارت محمدية من زمن قريب.

التمدن الأوروبى الذى يهدم الوثنية الهندية فى الهند إنما يوطئ طريقًا جديدًا للدين الإسلامى؛ فإن أرض الهند مائتان وخمسة وخمسون مليونًا من السكان فيهم خمسون مليونًا مسلمين، وليس بينهم من المسيحيين إلا النذر اليسير والمسلمون من أهالى إفريقيا يزيدون على نصف سكانها. ولا يتعلق بغرضنا الآن بيان كيفية انتشار الدين

الإسلامى فى بداية أمره، ولكن علينا أن نبين حالته فى ثباته ودوامه وأخذه بقلوب المتمسكين به؛ فإن الديانة المسيحية أقل سطوة منه على القلوب. لذلك ترى القبيلة الإفريقية تدخل فى الدين الإسلامى ثم لا ترتد إلى الوثنية قط ولا تتنصر أبدًا.

نرى الإسلام أوفق ما يكون لتهذيب الأمم المتوحشة وترقية حالها. أما الديانة المسيحية فهى أبعد من أن تنالها عقول السذج وهى على ما نعلم من دقتها : الإسلام قد نفع التمدن أكثر من المسيحية .

تعجب من السامعين

انظروا فى تقارير أرباب المناصب من الإنكليز والعامة من السائحين انهم اتفقوا على فوائد الدين الإسلامى فى إصلاح الأعمال البشرية. فإن الديانة المحمدية إذا دخلت فى قبيلة زنجية محت من بينها الديانة الوثنية وعبادة الشياطين ورفعتها عن السجود للأباطيل وكرّهت إليها أكل لحوم البشر، وذبح الإنسان، وقتل الأولاد، ونزهتها عن معاطاة السحر، وهيأت لها من ذلك كله خلاصًا أبديًا. وأول ما يبتدأ به الوحشيون بعد الدخول فى الإسلام: لبس الثياب والنظافة ثم تنشأ فيهم عزة النفس ويكسوهم الوقار ويصير قِرى الضيف عندهم بمنزلة فريضة شرعية ويندر السُكْر وينقطع القمار. ولا يبقى أثر للمراقص المخزية ويحظر اختلاط الرجال بالنساء، وتعدّ العفة فى الإناث من خلائق التقوى، ويبدل الكسل بالعمل، وتأخذ الشريعة مكان الأهواء، ويتحكم النظام والكياسة، وتحرم الدماء، وظلم العبيد والبهائم، ثم يفشوا

التناصح بالإحسان والأخوة والإحساس بالوجدان الأنسى. أما الاسترقاق وتعدد الزوجات فيأخذن وجهًا من الترتيب وتمحى مساوئهما.

الجمعية الإسلامية هى المستعلية على الكل بشدة قواها واجتنابها للمسكرات:

أما انتشار التجارة الأوربية فليس إلا انتشار السكر والقبائح والأخلاق السافلة، والإسلام يروج بين الناس تمدنًا فى رتبة غير سافلة لاحتوائه على تعلم القراءة والكتابة وستر العورة والنظافة والصدق والحياء. إن رواج الإسلام وحمله الناس على التمدن من العجائب وما أقل ما نجد لو طلبنا عوضًا للمبالغ الوافرة من الأموال التى أسرفنا فى تبذيرها فى إفريقيا فالمتنصرون يعدّون بألوف، والداخلون فى الإسلام يعدون بملايين. تلك أحوال يسؤنا أمرها. وجهلها حماقة.

فيجب علينا أن نتبصر أمرا؛ وهو أن الدين الإسلامى لا يناقض الديانة المسيحية، بل يتفق معها. فإن ذلك الدين صوت إيمان إبراهيم وموسى عليهما السلام وفيه كثير من الأصول المسيحية وهو يخالف اليهودية فى أنها كانت خاصة.

وهو دين عام لا يختص بأمة واحدة بل يعم العالم:

المسلمون يعترفون بأربعة مرشدين كرام سيدنا إبراهيم خليل الله، وسيدنا موسى كليم الله، وسيدنا عيسى كلمة الله، وسيدنا محمد رسول الله. ولسيدنا عيسى مقام جليل فى الأربعة. ولو فرضنا أن الديانة

الإسلامية لا ترمى إلى مرامى تعليمات القديس بولس؛ فهى لا تخالف المسيحية بل هى قريبة منها. وهى خيــر مــن اليهوديــة لإقرارهــا بمعجزات المسيح ونبوته. وفيمــا يُنــسب إلــى الديانــة المــسيحية موضوعات خيالية وضعها بعض الرؤساء من عند أنفسهم؛ فــصارت بها الأقوام مشركين فى أعمالهم يعبدون جماعة من القديسين والشهداء والملائكة، وظنوا أن من بعض أحكامها أن الوســاخة مــن خــصال القديسين. فجاء الإسلام وكسح مجموع هذه المفاسد والأباطيل وأظهــر الأحكام الأساسية الدينية، وهى توحيد الله وتعظيمه وبــدَّل الرهبانيــة بالإنسانية، وأرشد الناس إلى الأخــوة الــصحيحة ومعرفــة الحقــائق الأساسية الطبيعية الإنسانية. والدين الإسلامى لا يفرض على النــاس خلع سلطان الطبيعة البشرية من مقامها الفطرى، كما تفــرض ذلــك الديانة المسيحية فى نحو الأمر بمحبة الأعــداء مثــل محبــة الــنفس والأصدقاء، وبالتَجرد عن قنية الأموال، وبإدارة الخــدّ الأيــسر لمــن ضربك على الخد الأيمن وما أشبه ذلك.

لكنه يطالب العقول بما تحتمله كالاعتدال والنظافة والعفة والقسط والثبات والشجاعة وإكرام الضيف. فإذا أكسبهم هذه الخصال سهّل لهم طريق الفضائل السامية، وجنبهم جميع الرذائل والكبائر.

الدين المسيحى يطالب بمواخاة الناس كافة:

وتلك غاية لا تنال لكن الإسلام ينادى بمؤاخاة فعلية يحتوى فيها المسلمون عامة، وهذه الإخوة جعالة عظيمة يقدمها الإسلام للــداخلين

فيه. فمن قبل الإسلام دخل فى جمعية مؤتلفة القلوب على الإطـــلاق، وصار عضواً لمجمع عددهم ١٥٠٥٠٠٠٠٠ والـــداخل فـــى الديانـــة المسيحية جديداً لا ينظر إليه بين النصارى بنظر المساواة لكن الإخوة الإسلامية أمر حقيقى. وهذه أخلاق أهل الإسلام فـــى إفريقيـــا وهـــى الجدير بها المسلمون كافة، ولكن من الأسف أن المسلمين فى جهـــات كثيرة فقدوا هذه الأخوة الحقيقية. عندنا يا إخوانى كثير من الأحبة فـــى منبر الكنيسة لكن قليلا ما نشاهدهم فى المعيشة اليومية .

ضحك من السامعين:

حقا إن القرآن بشر بجنة جسمانية لكن لها فى الفضائل الإنـــسية التى لا بد منها فى هذا العالم أقوى تأثير. الإسلام لا ينقطع بالإنـــسان إلى الروحانية المحضة كما ترشد إليه التعاليم المسيحية لكنه المكتـــب الفرد الذى يمكن أن يتربى فيه الإفريقى ويستعد به إلى الكمال الأعلى من الإيمان. العقبتان العظيمتان المانعتان من إسلام أهالى إفريقيا همـــا تعدد الزوجات والاسترقاق. أما الاسترقاق فليس هو من لوازم العقيدة الإسلامية وإنما رخص فيه الشرع المحمدى لأنه سر اضطرارى كمـــا رخص به موسى ومار بولس. ويد المسلم فيه أرفق وألـــين مـــن يـــد المستعبدين فى الممالك المتحدة. وتعدد الزوجات فى شرع موسى عليه السلام وعمل بها داود عليه السلام والإنجيل لم يصرح بمنعها مع مخالفتها لأصوله. محمد ﷺ جعل حدًا معينا لعدد الزوجات. فخفف شره ووجدت له منافع كثيرة. فهو الذى نسخ قتل الإناث وأقام لك امرأة قيما شرعيًا وبـــسببه

خلصت البلاد المحمدية من الفواحش الرسمية، وهى على أعظم شناعة فى المسيحية من تعدد الزوجات على قواعده المنتظمة عند المسلمين أنجح تأثيرًا فى صيانة النساء عن الرذائل وأخف ضررًا على الرجال من مخالطة امرأة واحدة لرجال كثيرين تلك لعنة البلاد المسيحية ولا وجود لها فى بلاد الإسلام. الإنكليز الذين يجوزون توارد رجال كثيرين على امرأة واحدة فى المواخير. أى محلات الفواحش لا يليق بهم أن ينكروا على المسلمين الناكحين مثنى وثلاث ورباع.

انصتوا انصتوا:

فلنخرج الجذع الكبير من أعيننا، قبل أن نهتم بإخراج القذى من عيون إخواننا[1] إن الشرور الأربعة التى نعدها فى البلاد المحمدية وهى تعدد الزوجات والاسترقاق والتمتع بالإماء وإباحة الطلاق ليست من خصائص الإسلام بل كان معمولاً بها على أشنع صورها فى الممالك المتحدة. وهى أرض مسيحية وسكانها من الإخوة الإنكليز إن المعلمين الأوربيين لا يستطيعون أن يدخلوا إفريقيا فى النصرانية. فهذا شئ جرب ولم يفد. فعلينا أن نعدل عن تهييج الخصام بيننا وبين المسلمين وتكذيب نبيهم وتكفيرهم ونجتهد فى تفهيمهم أن المسيحية لا

---

(1) يشير إلى قول المسيح عيسى عليه السلام فى موعظة على الجبل "لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ ، وَبِالْكَيْلِ الَّذي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي ، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ ،وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ"

تخالف الإسلام بل تشابهه جدا. وعلينا أن نذكر أن الدين الإسلامى أشد تأثيرًا فى إخضاع النفوس لمشيئة الله وردعها عن السُكْر، وحملها على الصدق وتمكين عرى الألفة والإخوة الإيمانية بينهما، وأنفذ فعلاً مما عندنا. فلنا فيهم أسوة حسنة إذا اقتدينا بهم أحسن. إن الإسلام قد نسخ السكر والقمار والبغاء. وهن ثلاث لعنات أهلكن البلاد المسيحية.

"فليعتبر المقامرون حاسبهم الله" الإسلام قريب جدا من المسيحية والمسلمون كأنهم مسيحيون. فتعالوا بنا نساعدهم على الكمال فى دينهم ولا نسعى سعيّا عبثًا لإبطاله لعلنا نجد فى الإسلام مسيحية، ونجد أن محمدًا ﷺ آخذا بعضد المسيح فى دينه .

بشاشة من الحاضرين:

انتهى. ولعمرى أن هذا القسيس ما أقدم على هذا الأمر إلا لما بحث فى كنه الإسلام وعرف مغزاه، وعرف أيضًا فى قومه المبادرة إلى الحق والصواب، وكلامه -حفظه الله- وإن كان فيه ضرب من الهذيانات فى أمر التوفيق بين الديانتين، لكن جُل مقصده من ذلك؛ التوصل إلى غرضه الذى هو تبيين فضائل الدين الإسلامى المبين، وكشف الحقيقة لبنى جلدته ليتبعوا الحق والصواب .

وقد نقل الفاضل الشيخ حسين افندى الجسر الطرابلسى فى رسالته الحميدية فى حقيقة الديانة الإسلامية: أن رجلا فاضلا من علماء الإنكليز المتضلعين فى اللغات والفنون قد سعى فى بناء معبد

للإسلام فى البلاد الإنكليزية. وأنه فى عزمه؛ أن يباشر هنـاك بنـشر جريدة عربية ليكون جُل مقصده البحث عن حقيقة الـدين الإسـلامى وإشهار فضائله لغير العارفين به.

ولقد نشرت جريدة بيروت في العدد ٤٢٩ الصادرة فـى اليـوم التاسع من شهر شوال من سنة سبع وثلاثمائة بعد الألـف أن بعـض علماء الإنكليز فى بلاد الهند دخلوا فى الدين الإسلامى بعـد البحـث والتنقير فى سائر الأديان. فحكموا بكونه الدين الحق، وأخذوا ينصحون جماهير الخلق ويدعونهم إلى الإسلام علنًا فنجحوا فى فعلهـم. وأخـذ الإسلام ينتشر فى أقطار المسكونة ولا سيما فى الهنـد والبرتوغـال وجزائر صوماترا.

وذكرت جريدة لافجرى أن عدد المسلمين زاد فـى صـوماترا زيادة عظيمة منذ عشر سنين إلى الآن. فإن المجوس وعبدة الأوثـان اهتدوا إلى الإسلام بواسطة الوعاظ من المسلمين الذى ساروا إلى هناك وأخذوا يحضونهم بالتبشير والإنذار؛ فدخلوا فى دين الله أفواجًا، ونبذوا نحلهم السيئة، تاركين الخرافات والأضاليل .

وقال أحد العثمانيين الذين ساروا إلى جزيرة صوماترا:

إن الأهالى المقيمين فى الثغور قد خضعوا لحكومة البرتوغـال بخلاف المقيمين فى الجبال فإنهم كثيرا ما تاقوا إلى استجلاب الدولـة العلية العثمانية لحمايتهم. ومع ذلك فإن فيهم من العلماء الأعـلام مـن

يطوف فى الضياع والقرى وينشرون دين الإسلام بين النصارى النساطرة والمجوس وغيرهم. فتجتمع فيهم أحكام الدين المبين.

وبالجملة فإن الإسلام أخذ الآن ينتشر فى تلك الجهات انتشارًا عظيما لم يسبق له مثيل فى غابر الأزمان أ هـ.

وفى هذه الأيام لقد شاعت وذاعت الأخبار فى جميع الأقطار من القرى والأمصار بأن سبعين شخصًا من نصارى الإنكليز فى مدينة ليفربول وخمسة أنفار من نصارى لوندرة. فالجملة خمسة وسبعون شخصًا من نصارى الإنكليز قد اعتنقوا الدين المحمدى من تلقاء أنفسهم. وهؤلاء الجماعة المؤمنون ظهروا بمظهر جماعة خاصة، ونصبوا عليهم رأسا اسمه الموسيو وليم. وهو أول من اعتنق هذا الدين المتين فى مدينة ليفربول. وقد اتفقت آراء هؤلاء المسلمين على عقد مجلس مخصوص برئاسة الموسيو وليم المشار إليه للقيام بأمور الدين فى الجمعة وإجراء المواعظ. وقد اتخذوا لهم مسجدًا. عدا ذلك المجلس فهم يجتمعون يوميًا فى الأوقات الخمسة لإقامة الصلوات بعد الأذان المحمدى.

وقد ألف المسيو وليم كتابًا فى اللغة الإنكليزية لإثبات حقيقة دين الإسلام وطبعه وأذاعه، وقد وصل هذا الكتاب إلى مسلمى الهند وترجموه إلى لغة أردو. وقد ترجم أيضاً: إلى اللغة العربية وطبع فى مدينة بيروت الجليلة بمطبعة جمعية الفنون فى سنة تسع بعد الثلثمائة والألف، ونشر أيضًا وهو كتاب وجيز اسمه اعتقاد الإسلام. ثم إن

المومى إليه قد ألف كتابًا آخر فى الحكم الإسلامية. وهو الآن تحت الطبع على قدم النشر.

وقد أبان الموسيو وليم -المومى إليه- أنه على استعداد تام للاهتمام بنشر الدين الإسلامى فى انكلترا بما هيأه من الوسائل والأسباب اللازمة لذلك. وهذه الأخبار قد نشرتها جريدة الثمرات فى العدد ٨١٨ الصادر فى ٩جمادى الثانية من سنة ٣٠٨ بعد الألف نقلاً عن جريدة المهذب.

وقد ذكرت جريدة الثمرات أن هؤلاء المؤمنين الملتهبين غيرة فى حب الله وطلب الحق يسعون بجملتهم ويبذلون جهد الطاقة آناء الليل وأطراف النهار فى أن يدخلوا إنكلترا فى الملة الإسلامية مدفوعين إلى هذه الغيرة بآمالهم ونياتهم الدينية -أكثر الله سواد الإسلام وأعلا كلمة الحق والإيمان-

فهل لك يا صاحب البرهان أن تطرح عنك رداء التعصبات وتقتدى بهؤلاء العلماء الأعلام الذين كانوا من أبناء جلدتك وأهل مذهبك، ثم قادهم طبعهم السليم إلى اتباع الحق واليقين فتفوز معهم فوزًا عظيمًا بنيل السعادة الأبدية والحياة السرمدية أو تقتدى بالعالم الألمانى المدعو شومان من أهالى مدينة هاتوره، الذى جنحت نفسه الشريفة إلى التشرف بالدخول فى الدين الإسلامى الجليل وقدم عريضة لحضرة مولانا شيخ الإسلام السابق يلتمس من لدنه التفضل عليه ببيان حقيقة الدين وما يجب أن يعمله . فإذا كان ذلك الفيلسوف الأعجمى مع

جهله اللغة العربية وعدم اطلاعه على حقيقة كتاب الله تعالى وما فيه من الحكم والأخبار بل لمجرد الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة؛ انجذب ميله إلى الانقياد للإسلام والاندراج فى سلك أهل السلام. فلعمرى إنك أيها القسيس الهمام أجدر بأن يقودك طبعك السليم إلى إتباع الحق واليقين. إذ على ما بلغنى من بعض الصحب أنك ممن ربىّ بين تجار العلم والأدب وطالع المعقول والمنقول وحاز قصبات الفنون.

فإن كان حضرة القسيس جعل تلك العلوم والمعارف تدرعًا للمباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات أو إلى اكتساب حطام الدنيا الفانى من درهم ودينار؛ فقد أثقلنا أسفًا على ضياع وقته فيما لا يعنى، وأوجع خواطرنا فيما لا يغنى. وليس ذلك من البرّ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ ويقال: من غلَّب عقله على هواه؛ نجا، ومن غلب هواه على عقله؛ فقد ضل وغوى. ولا عذر لأحد فى جهل الدين الحق المخلّص من الجحيم، والموصل إلى النعيم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ وحجة الله قد قامت على الخلق بقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ وقد أرسل نبينا محمد ﷺ إلى جميع العقلاء من الإنس والجن كما قال تعالى :﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ فاسمع النصح هداك الله إلى سبيله القويم وصراطه المستقيم وإن كان فى نفس حضرة القسيس شبهة فى ذلك الدين القويم أو خدعة خدعها له الشيطان الرجيم؛ **فها أنا أدعوه، ومعه عقله السليم إلى الحضور لوطنى، ومحل إقامتى مدينة نابلس** التابعة إدارتها إلى ولاية بيروت الجليلة. وأنا بفضل الله تعالى أزيل كل شبهة قامت فى نفسه، وأدفع كل خدعة خدعها له الشيطان الرجيم، حتى يعود إن شاء الله تعالى مسلمًا مؤمنًا بكل ما جاء به سيد الأنام فى قليل من الأيام. ويذهب والأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ذاهبة معه فى الكليات والجزئيات التى يريد الوصول إليها وصولاً ينفى الشكوك والأوهام.

وهكذا أدعو غيره ممن يريد الوقوف على حقائق الدين المبين الظاهرة والباطنة، وكان ممن سبقت لهم السعادة بحيث يأتينى خاليًا عن ظلمات التعصبات التى تؤول به إلى الخسران المبين فى الدار الآخرة. ومهما سألنى عن شئ؛ أحدث له منه ذكراً. والله ولى التوفيق لا ربّ غيره ولا معبود سواه.

أقسام الدِّين

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل:"فالأمور المتعلقة بالدين التى يخاطب الإنسان بمعرفتها ثلاثة أقسام قسم يدرك بمجرد إرشاد العقل دون هداية الوحى كوجود إله واتصافه بالحكمة والقدرة والعدل وهلم جرًا فإنه مستفاد عقلاً لأن العاقل متى رأى شيئًا مصنوعًا يحكم بعقله أن هذا المصنوع لا بد له من صانع موجود يبرزه من حيز العدم إلى حيز الوجود وما استفيد هذا الحكم إلا من العقل وكذلك يستدل به على بعض صفات الصانع ككونه قادرًا مثلاً إذ لو كان عاجزًا لما وجد هذا المصنوع. وقسم لا مدخل لإرشاد العقل فيه البتة بل لا يدرك إلا بعد الهداية الإلهية وحصوله يكون بواسطة إلهام ووحى إلهى فمن هذا القسم صفة الذات الإلهية على أى هيئة هى وبعض صفاته الأخرى وأحوال الآخرة وكيفية العبادة المرضية لله والأحكام الشرعية. وقسم يدرك بنور العقل نوعًا ما غير أنه يحتاج زيادة تبين وتأكيد إلى إرشاد يفوق إرشاد عقله القاصر العاجزعن معرفة أمور الملكوت وهى الوحى الإلهى كالبعث وما يناله الإنسان بعد الموت من ثواب وعقاب. ولما كان أصحاب الأديان المدعون بالكتب الإلهية متفقين على افتقار الإنسان إلى الهداية الإلهية بواسطة الوحى لم نحتج لإيراد أدلة وبراهين مثبتة لحقيقة هذا الأمر "

أقول: إن ما أورده حضرة القسيس فى هذه المقالة من أمر الافتقار إلى الهداية الإلهية التى هى الوحى الإلهى بواسطة الرسل

الكرام؛ أمر مسلم عندنا معاشر المسلمين. وحيث أنه أقر واعترف أن أصحاب الأديان متفقون على افتقار الإنسان إلى الهداية الإلهية بواسطة الرسل؛ فلا نطيل فيه الكلام وإن كان هذا البحث من أهم الأبحاث لتجرء بعض الملحدين فى هذه الأيام على القدح فى بعثة الرسل الكرام بأنها لا حاجة إليها للعباد، وأنها بأى دليل من جهة العقل تثبت. لكن غرضنا بهذا الكتاب المختصر: الرد على صاحب البرهان فى أقواله التى أخطأ فيها طريق الحق والصواب، وإن شاء الله تعالى نفرد فى ذلك البحث رسالة مستقلة تشفى العليل وتروى الغليل.

الهداية الإلهية

"ولما كان الإنسان مفتقرًا إلى الهداية الإلهية وكان لها ثمرتان: الأولى الوقوف على معرفة الأمور التى لا مدخل للعقل فيها رأسًا؛ أنعم الله قديمًا على بنى آدم بإرسال رسل كرام وعلمهم حقيقة الهداية وأمرهم بتبليغها فبلغوها تبليغًا تامًا وأمرهم بكتب ما أوحى إليهم من نور وهدى وموعظة وقصص اقتضت الحكمة الإلهية ذكرها لئلا تفقد أو تعتريها زيادة أو نقص أو تبديل "

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق إن ما ذكره حضرة القسيس من أن الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- بلغوا ما أوحى إليهم تبليغًا تامًا؛ أمر مسلم عندنا معاشر المسلمين لأن الأنبياء الكرام كما أنهم معصومون فى غير التبليغ؛ فكذلك فى التبليغ، بل وجوب عصمتهم فى التبليغ من باب أولى. إذ لو جاز عليهم الكذب فى التبليغ لفات الغرض من بعثتهم ورسالتهم الذى هو إصلاح العباد. فكلام حضرة القسيس هنا فى محله هو الحق. لكن يا أسفى يا أسفى لو كانت كتبهم المقدسة تساعده على هذه الدعوة المسلمة عند ذوى العقول السليمة والأفكار المستقيمة، لكنها كما تصرح بتفسيقهم وتكفيرهم وعدم عصمتهم فى غير التبليغ، فكذلك تصرح وتنادى بأعلى نداء بعدم عصمتهم فى التبليغ والعبارات الواردة فى التوراة الدالة على كذبهم فى التبليغ كثيرة جدًا لا يمكن حصرها إلا بكلفة. فما ورد فيها مصححًا لما

ذكر ما جاء فى الأصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول من الترجمة المطبوعة فى مدينة لندن سنة ١٨٤٨ من الميلاد "وإذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت آيل ويربعام واقف لدى المذبح لكي يوقد فنادى نحو المذبح بكلام الرب وقال يا مذبح يا مذبح هكذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا و يذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك و تحرق عليك عظام الناس وأعطى في ذلك اليوم علامة قائلا هذه هي العلامة التي تكلم بها الرب هوذا المذبح ينشق و يذرى الرماد الذي عليه فلما سمع الملك كلام رجل الله الذي نادى نحو المذبح في بيت آيل مد يربعام يده عن المذبح قائلا امسكوه فيبست يده التي مدها نحوه ولم يستطع أن يردها إليه وانشق المذبح وذري الرماد من على المذبح حسب العلامة التي أعطاها رجل الله بكلام الرب فأجاب الملك وقال لرجل الله تضرع إلى وجه الرب إلهك وصل من اجلي فترجع يدي إلي فتضرع رجل الله إلى وجه الرب فرجعت يد الملك إليه وكانت كما في الأول ثم قال الملك لرجل الله ادخل معي إلى البيت وتقوت فأعطيك أجرة فقال رجل الله للملك لو أعطيتني نصف بيتك لا ادخل معك ولا أكل خبزا ولا اشرب ماء في هذا الموضع لأني هكذا أوصيت بكلام الرب قائلا لا تأكل خبزا ولا تشرب ماء ولا ترجع في الطريق الذي ذهبت فيه فذهب في طريق آخر ولم يرجع في الطريق الذي جاء فيه إلى بيت آيل وكان نبي شيخ ساكنا في بيت آيل فأتى بنوه و قصوا عليه كل العمل الذي

عمله رجل الله ذلك اليوم في بيت آيل و قصوا على أبيهم الكلام الذي تكلم به إلى الملك فقال لهم أبوهم من أي طريق ذهب وكان بنوه قد رأوا الطريق الذي سار فيه رجل الله الذي جاء من يهوذا فقال لبنيه شدوا لي على الحمار فشدوا له على الحمار فركب عليه و سار وراء رجل الله فوجده جالسا تحت البلوطة فقال له أأنت رجل الله الذي جاء من يهوذا فقال أنا هو فقال له سر معي إلى البيت وكل خبزا فقال لا اقدر ان ارجع معك ولا ادخل معك ولا اكل خبزا ولا اشرب معك ماء في هذا الموضع لأنه قيل لي بكلام الرب لا تأكل خبزا ولا تشرب هناك ماء ولا ترجع سائرا في الطريق الذي ذهبت فيه فقال له أنا أيضا نبي مثلك وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلا ارجع به معك إلى بيتك فيأكل خبزا ويشرب ماء كذب عليه فرجع معه وأكل خبزا في بيته وشرب ماء و بينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى النبي الذي أرجعه فصاح إلى رجل الله الذي جاء من يهوذا قائلا هكذا قال الرب من اجل انك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية التي أوصاك بها الرب إلهك فرجعت وأكلت خبزا وشربت ماء في الموضع الذي قال لك لا تأكل فيه خبزا ولا تشرب ماء لا تدخل جثتك قبر آبائك ثم بعدما أكل خبزا وبعد أن شرب شد له على الحمار أي للنبي الذي أرجعه وانطلق فصادفه أسد في الطريق وقتله وكانت جثته مطروحة في الطريق والحمار واقف بجانبها والأسد واقف بجانب الجثة وإذا بقوم يعبرون فرأوا الجثة مطروحة في الطريق والأسد واقف بجانب

الجثة فاتوا واخبروا في المدينة التي كان النبي الشيخ ساكنا بها ولما سمع النبي الذي أرجعه عن الطريق قال هو رجل الله الذي خالف قول الرب فدفعه الرب للأسد فافترسه وقتله حسب كلام الرب الذي كلمه به وكلم بنيه قائلا شدوا لي على الحمار فشدوا فذهب ووجد جثته مطروحة في الطريق والحمار والأسد واقفين بجانب الجثة ولم يأكل الأسد الجثة ولا افترس الحمار فرفع النبي جثة رجل الله ووضعها على الحمار ورجع بها ودخل النبي الشيخ المدينة ليندبه ويدفنه فوضع جثته في قبره وناحوا عليه قائلين آه يا أخي وبعد دفنه إياه كلم بنيه قائلا عند وفاتي ادفنوني في القبر الذي دفن فيه رجل الله بجانب عظامه ضعوا عظامي لأنه تماما سيتم الكلام الذي نادى به بكلام الرب نحو المذبح الذي في بيت ايل ونحو جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة" انتهى.

فهذه الحكاية التى لها حق بأن تفتخر برواجها على حكايات كتاب ألف ليلة وليلة؛ صريحة فى عدم عصمة الأنبياء فى التبليغ أيضًا. وهذا النبى الشيخ الصادق فى النبوة الذى ثبتت رسالته الحقة ونزل عليه الوحى من قبل الرب وهما على المائدة؛ قد افترى على الله وكذب فى التبليغ وخدع النبى الآخر رجل الله المسكين وألقاه فى غضب الرب حتى افترسه الأسد وقتله وحرم الله عليه أن يدخل قبر آبائه. فثبت من هذا: عدم صحة دعوى القسيس فى أمر التبليغ على حسب أصولهم وكتبهم المقدسة. وما ذكره وعرّض به من أن الرب أمر الأنبياء بكتب

ما أُوحى إليهم لئلا تفقد أو يعتريها زيادة أو نقص أو تبديل؛ غير صحيح أيضًا. إذ الغاية غير محققة. ولا يلزم من كتب الكتاب عدم فقدانه فيما بعد ذلك أو إدخال الزيادة فيه أو الإخراج منه أو تبديل بعض مضامينه بمضامين أخرى.

وهذه كتبهم المقدسة عندهم المنسوبة إلى الأنبياء الكرام المسماة بالتوراة والإنجيل مشحونة بالأغلاط والاختلافات الكثيرة. وما ذلك إلا بسبب وقوع التغيير والتبديل والزيادة والنقص. وستقف على كثير من ذلك فى محله إن شاء الله تعالى بالتفصيل الشافى والبيان الكافى. فما عرّض به هذا القسيس ههنا من عدم وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل[1] غير صحيح ومخالف للحس والمشاهدة، ولتصريح علماء اليهود ولتصريح المحققين من علماء المسيحيين كالمفسر آدم كلارك الذى هو من المفسرين المشهورين من فرقة بروتستنت، ولتصريح كثير من علماء هذه الفرقة وغيرها من فرقة المسيحية. كما عرفت

---

[1] **شك المسيحيين فى الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام:**

فى تفسير الكتاب المقدس –جماعة من اللاهوتيين ما نصه:

"كثير من العلماء يُنكر بشدّة الأصل الموسوى لهذه الأسفار الأولى، ويقسمون كل الأسفار الخمسة إلى طبقات يرجع أصلها إلى مدد مختلفة من تاريخ إسرائيل. هذه الطبقات تدعى "مصادر" أو "وثائق" ويفرضون أنها لم تُوصل ببعضها لتكوّن الوحدة الحاضرة قبل زمن عَزْرا الكاتب..." [ص٤٧ ج ١] وهذا معناه: أن التوراة الحالية المنسوبة إلى موسى عليه السلام من كتابه عزرا. فى مدينة بابل من بعد موسى بنحو ألف سنة.

ذلك فيما تقدم وستعرف غيرها فيما يأتى إن شاء الله تعالى بما يشفى العلّة ويروى الغلة.

وأما ما فقد ضُيّع من كتبهم المقدسة؛ فكثير جدًّا وقد علمت أيها اللبيب فيما تقدم من قول الفاضل كريزاستم وعلماء كاثوليك أن اليهود ضيعوا كتبًا من الكتب الإلهية، لا لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها. والكتب المفقودة التى أفصلّها لك الآن لا مجال لفرقة بروتستنت ولا لفرقة المسيحية ولا لأحد من العالم أن ينكر فقدانها من العهد العتيق والجديد. **فما فقد وضيّع هذه:**

الأول:

كتاب سفر حروب الرب الذى جاء ذكره فى العدد الرابع عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد من توراة موسى عليه السلام "قال هنرى واسكات فى تفسيره: الغالب أن موسى كتب هذا السفر لتعليم يوشع وكان فيه بيان حدود أرض موآب" انتهى سفر ياشر الذى جاء ذكره فى العدد الثالث عشر من الأصحاح العاشر من كتاب يوشع. وكذا جاء ذكره فى العدد الثامن الأصحاح من سفر صموئيل.

الثانى:

الثالث والرابع:

سفر أخبار ناثان النبى وسفر أخبار النبى جاد الرائــى الغيــب. اللذين جاء ذكرهما فى العدد الثلاثين من الأصحاح التاسع والعــشرين من سفر أخبار الأيام الأول.

الخامس والسادس:

كتاب شمعيا وكتاب عِدّو الرائى الغيب. اللذين جاء ذكرهما فــى العدد الخامس عشر من الأصحاح الثانى عشر من سفر أخبار الأيــام الثانى.

السابع والثامن:

كتاب مشاهدات عدّو الرائى وكتاب نبوة أخيّا الــشيلونى النبــى اللذين جاء ذكرهما فى العدد التاسع والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر أخبار الأيام الثانى. وفى هذا العدد ذكر كتاب ناثان النبى أيضًا.

التاسع:

كتاب ياهو النبى ابن حنانى الذى جاء ذكره فى العــدد الرابــع والثلاثين من الأصحاح العشرين من سفر أخبار الأيام الثانى.

العاشر:

إنجيل المسيح الذى جاء ذكره فى العدد السادس والــسابع مــن الأصحاح الأول من رسالة بولس إلى أهل غلاطية. ويُعلم من كلام هذا القديس فى هذين العددين أن المحرفين كانوا بــصدد تحريــف هــذا الإنجيل وقتئذٍ. وهذا هو بعد زمانه قد فقد بالكلية، ولم يبقى له إلا الاسم كالعنقاء.

فكل هذه الكتب العشرة التى جاء ذكرها فى كتبهم المقدسة قد انفقدت وانمحت عن صفحة العالم، ولم يبق لها إلا الاسم. ولا يقدر أحد من أهل الكتاب أن ينكر فقدانها.

ولا أقول إن كتب الأنبياء المفقودة أزيد من مائة كتاب. بل أقول ههنا كما قال حضرة طامس انكلس من علماء فرقة كاثوليك فى كتابه المسمى بمرآة الصدق الذى طُبع فى لسان الهند سنة ١٨٥١ ومعنى عبارته هكذا: "اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست أقل من عشرين كتابًا " انتهى .

ومن هنا تعلم أيها اللبيب: أن ما ادعاه صاحب "البرهان" فى هذه المقالة غلط أو تغليط، منشأه التعصب المحض. وحيث عرفت أن كثيرًا من كتب الأنبياء قد انمحت عن صفحة العالم وليس لها الآن وجود بالكلية وكان من علماء أئمة المسلمين من نقل عن الكتب الإلهية بعض بشارات محمدية، ولم توجد[1] الآن فى كتبهم المتداولة عندهم؛ تعلم

---

[1] البشارات بالنبى محمد ﷺ موجودة فى التوراة والإنجيل تحت كلمة "المَسِيًا" أو كلمة "المسيح الرئيس" فالنبى ﷺ بحسب لسانهم هو "المسيا" أو "المسيح" ويزعم النصارى أن عيسى بن مريم عليه السلام هو "المسيا" وزعمهم باطل. فإنه "مسيا" مثل أى نبى فى بنى إسرائيل، وهو أيضا "مسيح" مثل أى نبى فى بنى إسرائيل. فإن كل واحد منهم كان يلقب بمسيا أو بمسيح. ولكن "المسيا" بالألف واللام هو النبى الأمى الآتى إلى العالم وعبر عنه بالألف واللام للدلالة على تميزه عن غيره. والذين يعرفون لغات اليهود وألقاب هذا النبى هم الذين يعرفون كل البشارات عنه فى التوراة. وأذكر ههنا نصا من

كتبهم يظهر ألقاب هذا النبى وأوصافه:

فى تفسير الكتاب المقدس –جماعة من اللاهوتيين ص٩٣ تحت عنوان التنبؤ والرجاء بالمسيا ما نصه:

"يوجد جانب مهم آخر لعمل الأنبياء، لا ينبغى إغفاله، فى محاولة تقدير عملهم، نحو إعداد إسرائيل للقيام بنصيبيها فى فداء البشر. فبالإضافة إلى عملهم فى استخلاص دروس من الماضى، وتبيان واجبات الحاضر، فلقد وجهوا انتباه الناس إلى المستقبل. ففكرة "يوم الرب" الذى فيه يعلن نفسه بقوة، لم تكن جديدة فى القرن الثامن ق.م وكان الرأى الشائع، يعنى غالبا، وقتا فيه تنتصر إسرائيل، ويهلك أعداؤها هلاكا تاما. وقد صرح الأنبياء من الناحية الأخرى أن ذلك اليوم سيكون للشعب العاصى، يوم ظلام لا نور. وصفات الله تبدو جلية فى عقاب الأثمة، سواء أكانوا أمماً أم إسرائيليين، فإن التمتع بامتيازات أسمى ليس ملجأ للمذنبين، بل هو بالأحرى، تأكيد لعقاب أشد.

على أنه كان هناك للنظرة النبوية جانب أكثر إشراقاً. فقد أشار الأنبياء إلى المستقبل، ليس فقط لإشعار الخطاة وارهابهم بإدراك قضاء يهوه العادل، بل كشفوا، بالإضافة إلى ذلك، إتمام غرضه المجيد لشعبه المختار. فلقد كانت إسرائيل بحاجة، كغيرها من الأمم، إلى مثل أعلى، توجه حماسها وقواها لادراكه. وكان من الضرورى أن تثار حياتها الأدبية بالرجاء، كما تثار بالذكرى. وقد مرت عليها حقب فى تاريخها كانت تستهويها أعمال الشعوب التي حولها. ووجهت قلبها وطموحها، للحصول على قوة متزايدة كاسحة وعلى ثروة من دخل يأتيها من تجارة ممتدة إلى أطراف بعيدة. لكن هذه الأحلام للحصول على إقبال عالمى ونفوذ دنيوى، تحطمت بسلسلة من الهزائم والنكبات. إلا أن الرجاء لم يخمد وتعليم الأنبياء ركز الانتباه على مهمة الأمة الحقيقية، ووبخ القنوط، وذلك برؤيا مجد مستقبل، يفوق كثيرا أسمى ما حصلت عليه الأمة فى ماضيها المجيد. ومع أنه كان على الأمة أن تقاسى، نتيجة لخطاياها، آلاما مريرة، فتفقد الأرض، والهيكل، والاستقلال، إلا أنه سيأتى وقت فيه يرجع الشعب، ويطهر، ويغتنى، وينمو، ويكون قادرا أن يعلم شعوب العالم معرفة الرب، ويرشدهم فى طريق البر

والسلام. وإتمام هذه المواعيد هو غالبا مرتبط بشخص فريد يوصف بأوصاف متعـددة، وأطلق عليه فى الأيام الأخيرة لقب المسيا، ولو أن هذا اللقب لم يُذكَر كاسم علم إلا مرة واحدة فى الأنبياء (دا٩: ٢٥،٢٦) إنما ذكرت تنبؤات عديدة عن هذا الـشخص الآتـى من وقت بذرة الإنجيل(Protoevangelium) (تك ٣: ١٥) فـصاعدا. لكـن النبـوات المتعلقة بالمسيا بلغت ذروتها فى أنبياء القرن الثامن ق.م وما بعـده. فهـو يبـدو فـى كتاباتهم المثل الأعلى للنبى والكاهن والملك. والصورة للنبى تنجلى واضحة فى الجـزء الثانى من إشعياء، حيث يوصف كعبد الرب، الذى دعى مـن الـبطن (٤٩: ٢) وفمـه كسيف حاد، وهو نفسه سهم مبرى فى كنانة الرب (٤٩: ٢) توقظ أذنـه كـل صـباح ليسمع كالمتعلمين. وهو يعرف كيف يغيث المعيى بكلمة فى حينها (٥٠: ٤) ورسـالته هى بشارة للودعاء (٥١: ١) وهو رقيق فى معاملة المتضايقين وردّ الساقطين وهـو لا يقيم فقط أسباط إسرائيل، بل يكون نوراً للأمم، وخلاصا إلى أقصى الأرض (٤٩:٦) وهو إذ يعتمد علىمعونة الله، يقوم بعمله بكل عزم وبكل ثقـة، إزاء الازدراء والهـوان والاضطهاد (٤٩: ٧، ٥٠: ٥-٧)

وقد كانت دعوة إسرائيل طبعا، هى أن يكون نبيا للشعوب، والنبى المثـالى، يمثـل من هذه الوجهة، كل ما كان على إسرائيل أن يكونه. إنما توجد ناحيـة أخـرى لهـذه الصورة النبوية. هذا العبد يرى ظافرا عن طريق الألم. فرسالته لـيس مـن يـصدقها، وشخصه محتقر ومرذول، وآلامه يساء فهمها، وهو يساق إلى الذبح، صامتا لا يحـتج، ويقطع، ويجعل مع الأشرار قبره، مع أنه لم يفعل ظلما ولم يوجد فى فمه غـش. لكنـه يتألم من أجل الخطايا شعب الله، التى وضعت عليه. وعندما تجعل نفـسه ذبيحـة اثـم عنهم، يقام من الأموات، ليقسم غنيمة مع الأعزاء، ويفرح فى تبرير الكثيرين. وهكـذا يتمم نجاحه عن طريق الموت (اش ٥٢: ١٣- ٥٣: ١٢) والعهد الجديـد يفهـم هـذا الفصل باعتبار أن أمامه فردا واحدا (انظر أع ٨: ٣٥) هو الرب يـسوع المـسيح، ولا يفسره عن آلامه بجملتها.

أما فى الوقت الذى أعقب السبى، فيتكلم زكريا عن كاهن مثالى، هو أيضا فى نفس الوقت ملك متوج. ويبدو طبيعيا جدا أن نأخذ هذه الكلمات كأنها تشير إلى وظيفتين مارسهما شخص واحد. وهذه الصورة المثالية لا تتجلى بوضوح فى الأنبياء الآخرين، لكنها سبق أن ظهرت فى مز ١١٠ وفى العهد الجديد حيث تظهر أنها الفكرة الرئيسية فى الرسالة إلى العبرانيين.

إنما أوضح تمثيل وأشهر رمز للمسيا، نجده فى الملك الداودى. فهو يخرج من نسل داود ، فى ظروف متواضعة (إش ١١: ١) ويحل عليه الروح السباعى، ولهذا لا يقضى بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل بإدراك أدبى حقيقى. وحكمة يتميز بالبر، والإنصاف، والأمانة والعدل. وتحت حكمه الصالح تختفى القوة الوحشية، والشر الأدبى، عندما تغطى معرفة الرب الأرض. هو محط أنظار الشعوب، وفيه يجد اليهود والأمم مشتهاهم (إش ١١) وعلى عكس غيره من الملوك والعاهلين، هو لا يحصل على ملكوته، ولا يحميه بالقوة المادية. فهو لا يحتاج إلى قوة الفرسان، ولا المركبات، بل هو وديع راكب على أتان. لكن مع ذلك يمتد سلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى النهر إلى أقاصى الأرض (زك ٩: ٩، ١٠)

وتوجد مجموعة أخرى من الفصول تعطى دعاوى اسمى للحاكم المنتظر. فإشعياء يدعوه بكل جلاء، الإله القدير (٩: ٦) وارميا يطلق عليه لقب "الرب برنا" (٢٣: ٦] وميخا يصرح أن مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل (٥: ٢) ودانيال يتنبأ بأن "سلطانه أبدى لن يزول" (٧: ١٤) ونفس الإشارة عن العظمةالإلهية لشخصه ترى فى فصول أخرى، حيث لا تبدو فكرة الملكية بوضوح. ففى زكريا يوصف أنه رفيق لرب الجنود (١٣: ٧) وملاخى يعد أن الرب، رسول العهد، سيأتى بغتة إلى هيكله(٣: ١)

هذه مختارات قليلة من عدد كبير من الاشارات إلى المخلص فى الأنبياء المتأخرين، وهى تكفى، على أى حال، لتبين الخطوط الرئيسية لتدرج النبوات الخاصة بالمسيا فى هذه القرون، ولتشير إلى الطرق التى تكلم بها الأنبياء، عندما رأوا فى الأفق البعيد مجده يشرق ببهاء سماوى.

بالبداهة واليقين أن تلك البشارات كانت منقولة عن أمثال هذه الكتب المفقودة. فتنبه ولا تكن من القوم الغافلين.

الهدى والنور فى التوراة والإنجيل

فالكتب القديمة التى اشتملت على ما أوحاه الله سبحانه وتعالى للأنبياء فى الأمور المتعلقة بالدين والوسائط الموصلة إلى السعادة الأبدية هى التوراة والإنجيل وأتى على صحة ذلك القرآن حيث أتى فى سورة آل عمران ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ وفى سورة المائدة ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وفى سورة العنكبوت ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وفى سورة الشورى خطابًا لمحمد ﷺ ﴿ قُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: ما استدل به هذا القسيس صاحب "البرهان" من الآيات القرآنية على أن التوراة والإنجيل أنزلهما الله قديمًا نورًا وهدًى للناس فهو صحيح[1] ولا ينازع فى ذلك

---

[1] يقول المؤلف: إن الله وصف التوراة من قبل التحريف بالهدى والنور. وإن التوراة من بعد التحريف لا توصف بالهدى والنور. وكلامه صحيح. ولكنه لم يأت بآيات من القرآن تدل على أن التوراة من بعد التحريف صارت ظلمات. ففى أول سورة إبراهيم﴿

مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما النزاع في هذه الكتب المتداولة عند أهل الكتاب المسماة عندهم بالتوراة والإنجيل المشتملة على تفسيق الأنبياء الكرام وتنقيصهم وإهانتهم وتكفيرهم، الواقع فيها الأغلاط والاختلافات الكثيرة؛ هل اعتراها التغيير والتبديل والزيادة والنقصان أم لا؟ فالقرآن الكريم ما شهد لهذه الكتب بالصحة ولا تعرض لها بشئ من ذلك غير أنه كذب غالب مضامينها، وذم أهلها على تحريفها، ولبسهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يعلمون، وإرادتهم لإطفاء نور الله بأفواههم. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. فاحتجاج صاحب البرهان بشهادة القرآن للتوراة والإنجيل المنزلين من عند الله ﷻ بأنهما نور وهدى للناس على صحة النُسخ المتداولة الآن ليس في محله، بل هو تغليط وتمويه محض. منشأه التعصب من سوء الفهم. فإن التوراة عندنا معاشر المسلمين ما أُوحى إلى موسى عليه السلام والإنجيل ما أُوحى إلى عيسى عليه السلام وأتى على صحة ذلك القرآن حيث جاء في سورة البقرة: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ أي التوراة وفي سورة

الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

المائدة فى حق عيسى عليه السلام: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ ﴾ وفى سورة مريم حكاية عن كلام عيسى عليه السلام: ﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ أى الإنجيل وفى سورة البقـرة وآل عمران: ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ﴾ أى من التـوراة والإنجيـل. فهـذان الكتابان الجليلان اللذان جاء ذكرهما فى القرآن.

وأما هذه التواريخ والرسائل المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقـا ويوحنا ويعقوب ويهوذا وبطرس وبولس وراعوث والقضاة والحُرْمَـة أستير ونشيد الأنشاد وهوشع وصموئيل وعَزْرا وأخبار الأيام وغيرها من الكتب والرسائل الموجودة الآن المسماة بالعهد العتيـق والجديـد؛ ليست هى التوراة والإنجيل المذكورين فى القرآن الكريم؛ فليسا واجبى التسليم عندنا معاشر المسلمين، بل حكمهما: أن كل رواية من روايتهما إن صدقها القرآن المجيد الذى ثبتت صحته بالتواتر العام وقام البرهان القاطع على صدقه وصدق من جاء به؛ فهى مقبولة يقيناً، وإن كـذبها القرآن؛ فهى مردودة يقيناً. قال الله تعالى فى سورة المائدة خطابًا لنبيه الأكرم ورسوله الأفخم محمد ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ أى رقيبا وشاهدًا وأمينًا على سائر الكتب المنزلة. وفى معالم التنزيل للبغوى فى ذيل تفسير هذه الآية الشريفة: "ومعنـى أمانة القرآن: ما قاله ابن جريج رضي الله عنه القرآن أمين على مـا قبلـه مـن الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتبهم. فإن كان فى القرآن؛ فصدقوه وإلا فكذبوه. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضيًا. وقال الخليـل:

رقيبا وحافظا. ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن؛ فهو كتاب الله وما لا؛ فلا" انتهى.

وحيث كان هذا القرآن المجيد مكذبًا ومباينًا لغالب مضامين هذه الكتب المتداولة المسماة بالتوراة والإنجيل؛ علمنا بالبداهة واليقين أنهما ليسا اللذين قال الله فى حقهما على لسان رسوله ﷺ ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وأما آية سورة المائدة التى استدل بها صاحب البرهان على صحة التوراة والإنجيل الموجودين الآن؛ فلا دليل على صحة تلك النسخ ولا على صحة النسخ الموجودة فى زمن الحضرة النبوية أيضًا. فإن معناها على ما فى التفاسير المشهورة:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم ﴾ أى على آثار النبيين بعيسى ابن مريم حال كونه مصدقًا لما بين يديه من التوراة بأنها منزلة من عند الله ﷻ ﴿ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ للناس من الضلال ونور لهم من عمى البصيرة حال كونه مصدقًا أيضًا لما بين يديه أى لما قبله من التوراة بأنها منزلة من عند الله تعالى ولما فيها من الأحكام من عبادة الله تعالى وحده وقوله ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ﴾ إما بكسر لام يحكم أو بتسكينها. فعلى قراءة من كسرها فهى متعلقة بمحذوف يفسره المذكور قبله، والتقدير: وآتيناه الإنجيل لأجل أن يحكم أهل الإنجيل، وقت نزوله بما أنزل الله فيه من الأحكام. فإن المسيح عليه السلام قد نسخ بعض أحكام التوراة العملية. كما يدل عليه قوله تعالى فى

سورة المائدة فى حكاية عيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وأما على قراءة من سكّن لام يحكم فهو معطوف على فعل مقدر والتقدير ﴿﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ وقلنا ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ فيكون على هذا إخبارًا وحكاية عما فرض الله ﷻ على أهل الإنجيل فى وقت نزوله[1] من الحكم بما تضمنه الإنجيل من الأحكام.

فقد حصل من هذا أن هذه الآية لا تدل على صحة الإنجيل المتداول الآن ولا على صحة الإنجيل الموجود فى زمن الحضرة النبوية؛ حتى يتم لصاحب البرهان دليله من أن الإنجيل لو كان فيه تحريف أو تغيير أو تبديل فى زمن الحضرة النبوية لما أمر القرآن أهله وقتئذ أن يحكموا بما فيه من الأحكام. قلت: وعلى فرض إرادة المخاطبين بالأمر فى زمن الحضرة النبوية كما توهمه هذا القسيس؛ فلا دليل فيها أيضًا على صحة دعواه لأن من جملة الأحكام الموجودة فيه؛ الإيمان بنبوة محمد ﷺ ووجوب تصديقه وإتباعه. فإن الكتب

---

[1] ١- معنى أن المسيح كان يحل لهم: أنه كان يحل لهم بعض ما حرمه عليهم العلماء من تلقاء أنفسهم.

٢- فرق المؤلف بين الأناجيل التي كانت فى زمن محمد ﷺ وبين الأناجيل التي كانت من قبله والتى كانت من بعده. والحق فى هذا الموضوع: أن الأناجيل محرفة من سنة ٣٢٥ ب م وانتشرت فى العالم بعد هذا التاريخ. وهى من بعد تحريفها فى سنة ٣٢٥ب م إلى هذا اليوم لم تحرف. ومعنى ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ...﴾ أى أنه يحيلهم إلى التوراة ليحكموا بها. لأن المسيح ما نسخ التوراة. وفيها ما يدل على محمد ﷺ.

الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان به ناطقة بوجوب الطاعة له. فعلى هذا يكون المراد بهذا الطلب [1]الإيمان؛ بنبوة محمد ﷺ

فإذا آمن أهل الإنجيل به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه؛ فقد حكموا بما أنزل الله فى الإنجيل ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أى الكافرون. وعلى كل حال من الأحوال فلا دليل فى هذه

---

(1) من نصوص توراة موسى عليه السلام على محمد ﷺ :

"يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود اسمع صوت الرب الهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث و لم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"

يتحدث هذا النص عن أوصاف عشرة لنبى الإسلام ﷺ ١- نبى ٢- من بنى إسماعيل ٣- مثل موسى فى الحروب وفتح البلاد والانتصار على الأعداء وعمل المعجزات ٤- ينسخ شريعة موسى لقوله "له تسمعون" ٥- ملك لقوله "له تسمعون" ٦- أمّى "وأجعل كلامى فى فمه" ٧- أمين على الوحي ٨- سيقضى على بنى إسرائيل الكافرين به والأمم التي تكذب بنبوته فى الأيام الأولى لظهوره فى معركة يأجوج ومأجوج وفى هرمجدون -وهما فى زمن واحد وهما أيضا معركة واحدة. الجزء الأول منها فى فارس والجزء الآخر فى هرمجدون ٩- لا يقتل بيد أعدائه ١٠- يتحدث عن غيب؛ فيكون.

الآية على صحة الإنجيل المتداول الآن، ولا علـــى صـــحة الإنجيـــل الموجود فى زمن الحضرة النبوية أيضًا. وطلب حكم الإيمـــان بنبـــوة محمد ﷺ لا يلزم منه عدم تحريفه وتغييره وتبديله كما لا يخفى. وكذلك آية العنكبوت التى أوردها حضرة القسيس فلا دليل له فيها أيضًا على صحة التوراة والإنجيل المتداولين. إذ المعنى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود والنصارى إلا بالمجادلة ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ بأن تدعوهم إلـــى دين الله تعالى والتنبيه على حججه وآياته باللين والرفق والملاطفة، لا بالغلظة والغضب والمخاشنة رجاء إجابتهم وانقيادهم إلى الحق. وفـــى هذه الآية دليل واضح على جواز المناظرة والمجادلة مع أهل الكتـــاب لكن لا بد أن تكون على طريق اللين والرفق لا على طريق الإغـــلاظ والغضب والمخاشنة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أى من أهـــل الكتـــاب بـــأن أفرطوا فى الاعتداء والعناد، وادعوا بأن لله شريكًا أو صاحبة أو ولدًا ولم يقبلوا النصح ولم ينفع معهم الرفق والملاطفة، أو أبوا أن يـــؤدوا الجزية والخراج. فجادلوهم بالغلظة والسيف،وقولوا يا معاشر المؤمنين لمن لم يفرط بالكفر والاعتداء والعناد من أهل الكتاب إذا أخبروكم عن كتبهم: ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ بأن أصله منزل مـــن عنـــد الله ﴿ وَإِلَٰهُنَا ﴾ الذى أنزل علينا كتابنا ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ ﴾ الذى أنزل عليكم كتابكم إلـــه ﴿ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ أى منقادون ومطيعون له خاصة، ولا نتخذ معه

أنبيائنا وأحبارنا ورهباننا أربابًا من دون الله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

فانظر وتأمل يا صاحب "البرهان" ولا تكن من أهل الزيغ والبهتان.

وكذلك آية الشورى ليس فيها دليل على عدم تحريف التوراة والإنجيل الموجودين فى زمن الحضرة النبوية؛ فإن معناها على ما فى التفاسير المعتبرة: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد: حين تدعو الناس من أهل الكتاب إلى التوحيد والدين الحق ﴿ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ﴾ أى آمنت بكل كتاب نزل من عند الله سبحانه وتعالى ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ وقل يا محمد: أُمرت بأن أعدل بينكم فى الخصومات إذا تخاصمتم ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ وكلنا عبيده. وهو الذى ربّانا ورباكم وأنشأنا وأنشأكم من العدم إلى الوجود، لكن ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ يعنى: لا نؤاخذكم بأعمالكم ولا تؤاخذون بأعمالنا. فكل منا يجازى بحسب عمله. إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ فى إثبات التوحيد والدين الحق؛ لأنكم من أهل الكتاب والبراهين الدالة على دين الله. ونبوتى قد ظهرت، والحجج قد قامت وظهرت المعجزات وصرتم محجوجين ولم يبق إلا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ أى فى يوم القيامة

﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أى المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وبينكم وينتقم الله منكم. وليس فى هذه الآية إلا ما يدل على المتاركة فى المحاجة اللسانية بينه ﷺ وبين اليهود حتى تكون منسوخة بآية السيف والقتال كما قيل.

ويدُلك على هذا: ما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ معناها: والذين يحاجون ويجادلون فى دين الله نبيه محمدا ﷺ من بعد ما استجاب له وصدقه بظهور المعجزات ودخول الناس فى دينه؛ حجتهم داحضة. أى باطلة فى يوم القيامة. فإنه لو لم يرسله الله ﷻ لما أيده بظهور المعجزات، ولا استجاب له بدخول الناس فى دينه أفواجًا [1]أفواجًا.

---

[1] قوله تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ يدل على طائفتين. الطائفة الأولى طائفة اليهود المعبر عنهم بقوله﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ والطائفة الأخرى هى النصارى. وقد أباح الله للمسلم مجادلة النصارى. وحرم الله على المسلم مجادلة اليهود. لأنهم ظلموا أنفسهم بإنكار نبوة محمد ﷺ وهم موصوفون فى القرآن بالظالمين ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾- ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ والكافر فى القرآن: هو اليهودى. وقد منع الله المسلم من الرد على اليهود إذا جادلوا بقوله:﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ – وبقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾

وقد جاء فى كتب أهل الكتاب المقدسة: أن مدعى النبوة والرسالة كذبًا يُقتل ويهلك هو ومن يتبعه. ودعوته لا تستمر ولا تمتد. وأما محمد ﷺ فقد انتصب لهذا الأمر العظيم مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره ولم يحسن الكتابة ولا القراءة، وقام مخالفًا لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وأمرائهم وجبابرتهم وملوكهم وسلاطينهم من عرب وعجم ووثنيين وطبيعيين ويهود ونصارى. إذ كانوا كلهم على رسومات فاسدة واعتقادات كاسدة محتاجين إلى من يهديهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم؛ فإن العرب كانوا على عبادة الأوثان، ودفن البنات فى الحياة. والترك كانوا على تخريب البلاد وقتل العباد. والفُرس كانوا على اعتقاد وجود إلهين ووطئ البنات والأمهات. والهند والصين كانوا على عبادة البقر والشجر والحجر. واليهود كانوا على شدة الكفر والجحود ودين التشبيه وترويج الأكاذيب المفتريات. والنصارى كانوا على القول بالحلول واعتقاد التثليث وعبادة الصليب وصور القديسين والقديسات.

وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ والاستجابة لإبراهيم. أى أن اليهود يجادلون- بلسان الحال- من بعد ما دعا الله أن يبعث فيهم رسولا منهم وقال له بحسب ما فى التوراة: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك" وفى ترجمة: "فقد استجبت لك فيه" يجادلون بلسان الحال ويقولون لله: لماذا رفضتنا وجعلت النبوة فى بنى إسماعيل؟ وقد رد الله عليهم بلسان الحال: هلا كان ذلك منكم من قبل أن أستجيب دعوة إبراهيم؟

وهكذا كانت سائر الفرق فى أودية الضلال والانحراف عن طريق الحق والاشتغال [١] بالمحال؛ فقام عليه الصلاة والسلام بأمر مولاه ودعاهم إلى هذا الدين القويم والصراط المستقيم وضلّل آرائهم وسفّه أحلامهم وأبطل ملكهم وهدم دولتهم وصيَّر كل عزيز ذليلاً وكل جمع كثيرٍ قليلاً، وظهر دينه على الأديان فى مدة قليلة، وانتشر شرقًا وغربًا فى أقطار المسكونة، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عددهم، وشدة شوكتهم، وفرط تعصبهم وبذل غاية جهدهم على إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه. بل أشرقت شموس التوحيد وزالت رسوم أهل التلحيد؛ فهل يكون ذلك لأحد إلا بعون إلهى وتأييد سماوى ؟ كلا والله.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾

---

[١] العرب لم يعبدوا الأوثان، ولم يدفنوا البنات فى الحياة. وذلك لأن الله تعالى استجاب فيهم دعوة إبراهيم وهى: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ ولم يكن له وقت الدعوة إلا إسماعيل. وأما اليهود فإنهم هم الذين عبدوا الأصنام والعرب لم يئدوا البنات فى الحياة، ولم يئدوا الأولاد فى الحياة. وإنما الذين وأدوا البنات والبنين وقدموهم قرابين للأصنام هم اليهود. ففى سفر المزامير. المزمور ١٠٦ما نصه:

"بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان واهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان و تدنست الأرض بالدماء وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم فحمي غضب الرب على شعبه وكره ميراثه وأسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم وضغطهم أعداؤهم فذلوا تحت يدهم مرات كثيرة أنقذهم أما هم فعصوه بمشورتهم وانحطوا بإثمهم"

وما أطربنى من قول عمالائيل -معلم اليهود- فى حق الحواريين الذى جاء نقله فى الأصحاح الخامس من كتاب أعمال الرسل هكـذا:" أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فـي ما أنتم مزمعون ان تفعلوا لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قـائلا عـن نفسه إنه شيء الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائـة الـذي قتل. وجميع الذين انقادوا إليه؛ تبددوا وصاروا لا شيء. بعد هذا قـام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب و أزاغ وراءه شعبا غفيرا. فذاك أيضا هلك. وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا. والان أقول لكـم تنحـوا عـن هؤلاء الناس و اتركوهم لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمـل مـن الناس؛ فسوف ينتقض وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقـضوه لـئلا توجدوا محاربين لله أيضا ."

ولعمرى إن علماء بروتستنت فـى تكـذيب الـدين المحمـدى لمحاربون الله تعالى، لكن -ولله الحمد والمنة- لا يقدرون على نقـضه البتة. كما وعد الله بذلك فى كتابه العزيز بقوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أى بـأقوالهم الباطلـة ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ أى المشركون اليهود والنصارى.

ومن ذلك ما جاء فى العدد العشرين من الأصحاح الثامن عـشر من سفر الاستثناء من التوراة عن قول الله تعالى هكذا:" وأمـا النبـي الذي يُطغي فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الـذي يـتكلم

باسم آلهة غيرى فليقتل" وجاء فى العدد الخامس من الأصحاح الثالث عشر من سفر الاستثناء أيضًا . أن الأنبياء الذين لم يرسلهم الرب؛ فبالسيف والجوع يهلكون. ومحمد ﷺ ما أهلكه الرب. لا بالسيف ولا بالجوع، ولا قتله أعداؤه ولا صلبوه، ولكن قال الله فى حقه ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فوفى الله بما وعد ولم يقدر أحد على قتله ولا على إهانته وصلبه حتى لقى الرفيق الأعلى، وبدّد الله أعدائه، وكسر سواعدهم، وشتت شملهم. وقد جاء فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الخامس عشر من إنجيل متى نقلاً عن قول المسيح عليه السلام هكذا: "كل غرس لم يغرسه أبى السموى؛ يقلع"

وفى العدد الخامس عشر من الأصحاح السابع من إنجيل متى نقلاً عن قول المسيح أيضًا هكذا:" احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان و لكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا؟ هكذا كل شجرة جيدة، تصنع أثمارا جيدة و أما الشجرة الردية. فتصنع أثمارا ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا؛ تُقْطع و تلقى في النار. فإذاً من ثمارهم تعرفونهم" انتهى.

وهذا القول يشهد بنبوة محمد ﷺ فإن قوله: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان" أى ثياب الصالحين. ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة" يخرجه عن هذه الصفة القبيحة. فلقد كان عليه

الصلاة والسلام كما نقل بالتواتر الصحيح قانعًا مكتفيًا بالقليل من القوت آخذًا بزمام العفة والأمانة والصدق والفطانة مقتفيًا آثار إخوانه. يجوع يومًا ويشبع يومًا. وقد خرج من الدنيا خميصًا من زهرة الحياة، لم يضع حجرًا على حجر حتى وصل إلى الرفيق الأعلى. وبهذا فقد اتفق ظاهره وباطنه ولم يتعد أحدهما الآخر بل

فاق النبيين فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ولم يدانوه. فى علم ولا كرم

فهذا نبينا وهذه سيرته. فلقد استوى ظاهره مع باطنه فى إقامة الدين بما أوحى إليه من ربه ﷺ ولم يعش إلا عيشة العبد المتواضع لمولاه. وخروجه من الدنيا بغير مال ولا زينة ولا شئ من زخرفها، دليل واضح على خروجه من نسبة التواضع الظاهرى الافتراس الباطنى. فأهل الإسلام براء من تلك الصفة، فما بال نبيّهم المصطفى وهم على أثره وقد سلكوا سبيل ربهم كما اقتضته إرادته العلية وليست الدنيا بخالية منهم، حتى نستشهد بالماضيين. ولولا الزهد فى أهل الإسلام وتذكر أهوال القيامة وخوف العقاب وتغلبه على الرجاء لأخذوا من الناس باليمين فى أعمالهم وصنائعهم ولم يتركوا لأحد مصلحة يرعاها، ولا كانت أوروبا والممالك الغربية ترفل فى ثياب المدنية والتقدم. فإن غالب أهل الإسلام شرقيون، ولا نقيم الدليل ونكثر الكلام فيما كان عليه أهل الشرق من التقدم فى دائرة العرفان والشرف والبذخ فإن العالم بأسره يشهد بذلك. وما تأخر أهل الإسلام إلا بداعية الزهد

والطمع فيما أعد الله للمتقين فى الجنة مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وإننى فى عجب من ادّعاء المسيحيين أن عيسى ﷺ خاتم النبيين ولا نبى بعده وقد يتمسكون لإثبات هذا الادعاء بقول المسيح السابق نقله مع أن التمسك به باطل لأن المسيح ﷺ أمر بالاحتراز من الأنبياء الكذبة لا الأنبياء الصادقين أيضًا ولذلك قيد لهم بالكذبة. نعم لو قال: احترزوا من كل نبى يأتى بعدى؛ لكان بحسب الظاهر وجه للتمسك بهذا القول، وإن كان واجب التأويل عندهم لثبوت نبوة الحواريين وبُولُس ونبوة بعض أشخاص آخرين جاء ذكرهم فى هذا الإنجيل الموجود أيضًا. ففى العدد السابع والعشرين من الأصحاح الحادى عشر من كتاب الأعمال هكذا:" وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم الى إنطاكية و قام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعا عظيما كان عتيدا أن يصير على جميع المسكونة الذي صار أيضا في أيام كلوديوس قيصر" انتهى.

فهذا القول صريح فى أن هؤلاء المذكورين كانوا أنبياء، وأن واحدًا منهم اسمه أغابوس أخبر عن وقوع الجدب العظيم. وفى العدد العاشر من الأصحاح الحادى والعشرين من الكتاب المذكور هكذا:" وبينما نحن مقيمون أياما كثيرة؛ انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس. فجاء إلينا وأخذ مِنطقة بولس وربط يدي نفسه ورجليه، وقال: "هذا

يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة؛ هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلمونه الى ايدي الأمم " انتهى. وفى هذه العبارة أيضًا تصريح بأن أغابوس نبيّ.

وأما الأنبياء الكذبة الكثيرون فلقد ظهروا فى الطبقة الأولى بعد صعود المسيح ﷺ بكثرة كما يظهر ذلك من رسائل بولس الموجودة فى هذا الإنجيل المتداول. ففي العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عشر من رسالة بولس الثانية إلى قورنثيوس هكذا: "ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضًا فيما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح" انتهى.

فهذا مقدسهم بولس ينادى بأعلى نداء: أن الرسل الكذبة الغدارين ظهروا في عهده وقد تشبهوا برسل المسيح.

وقال آدم كلارك المفسر المشهور فى شرح هذا المقام: "هؤلاء الأشخاص كانوا يدّعون كذبًا أنهم رسل المسيح، وما كانوا رسل المسيح فى نفس الأمر، وكانوا يعظون ويجتهدون، لكن مقصودهم ما كان إلا جلب المنفعة" انتهى. وفى العدد الأول من الأصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى هكذا: "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" وهذه العبارة تفيد أن الأنبياء الكذبة قد خرجوا فى عهد

الحواريين أيضًا. وفى العدد التاسع من الأصحاح الثامن من كتاب الأعمال هكذا: "وكان قبلا في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر، ويدهش شعب السامرة قائلا: إنه شيء عظيم وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: هذا هو قوة الله العظيمة" وفى العدد السادس من الأصحاح الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا: "ولما اجتازا الجزيرة الى بافوس وجدا رجلا ساحرا نبيا كذابا يهوديا اسمه باريَشوعُ " انتهى.

وحيث ظهر لك من هذه الأقوال أن الأنبياء الكذبة الكثيرين قد خرجوا إلى العالم فى زمان الحواريين؛ تعلم أن مقصود المسيح ﷺ بقوله: "احترزوا من الأنبياء الكذبة" التحذير من هؤلاء وأمثالهم لا من الأنبياء الصادقين أيضًا، ولذلك قال بعد هذا القول: "من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبًا أو من الحسك تينًا" ومحمد ﷺ من الأنبياء الصادقين كما يدل عليه ثماره الجيدة النافعة ولو لم تكن أثماره جيدة نافعة لقُطعت شجرته بحكم قول المسيح: "كل شجرة لا تصنع أثمارًا جيدة تقطع وتلقى فى النار" لكنها ما قُطعت ولا قلعت، بل أُسست وثبتت وأثمرت أثمارًا جيدة نافعة. فاضت أنهارها على قلوب ذويه، وصارت شجرة عظيمة تأوى فى أغصانها طيور السماء. وقد بلغ دينه ﷺ شرقًا وغربًا وغلب الأديان كلها وامتد -ولله الحمد- دهرًا طويلا بحيث مضى على ظهوره مدة ألف وثلاثمائة وثمانى سنين إلى هذا الحين، ويمتد إن شاء الله إلى آخر بقاء الدنيا. فما ادعاه المسيحيون

من أن عيسى عليه السلام خاتم النبيين ولا نبيّ بعده؛ باطل قطعًا. ولقد جاء في العدد السابع من الأصحاح الأول من المزامير هكذا:"لا يقوم الأشرار فى الدين ولا الخطأة فى جماعة الرب؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريق الأشرار فتهلك " وفى العدد السادس من المزمور الخامس هكذا: "ويهلك كل الذين يتكلمون بالكذب" وفى العدد السادس عشر من المزمور الرابع والثلاثين من أيضًا هكذا: "سواعد الأشرار تتكسر والرب يعضّد الصديقين. الرب عارف أيامهم وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون فى أيام السوء وفى أيام الجوع يشبعون؛ لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب جميعًا يبددون، وكالدخان يفنون" انتهى.

فلو لم يكن محمد ﷺ من الأنبياء الصادقين الأبرار؛ لأهلك الرب طريقه وكسر سواعده وأباد ذكره من الأرض وأفناه كما يفنى الدخان. على حكم كتبهم المقدسة لكنه جل اسمه وعز شأنه لم يفعل من ذلك شيئا، بل أجاب دعوته وأثبت طريقته ونشر دينه شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا وأسّسه على أعمدة اليقين، وجعله لا انهدام له ولا انقطاع له ولا فناء له ولا زوال له، وقوّى شوكته وعضّد ساعده، ولم يكلّ ولم ينكسر حتى وضع الحق فى الأرض، ومجّد اسمه الشريف، وأدام اسمه فى الأرض والسماء، أبد الآبدين ودهر الداهرين. والألوف والملايين من أتباعه -حفظهم الله- يذكرون اسمه الشريف فى كل يوم وليلة وساعة ولحظة على المنابر والمنارات، وفى الصلوت الخمس وسائر العبادات وإجراء المعاملات فى أقطار الأرض من مشارقها ومغاربها،

وقرى ومدن وقفار وبحار آناء الليل وأطراف النهار، ولا يخلو زمان من الأزمنة ولا مكان من الأمكنة إلا ويذكر فيها اسمه الشريف حتى لا يذكر اسم الله -عز شأنه- فى الغالب إلا مقرونا باسمه معظمًا مبجلاً مدعوًا له بكل خير، محمودًا بالألسنة، محبوبا بالقلوب، مفدى بالأرواح محفوظ المقام مرعىّ الجناب. تسعى إلى حضرة ضريحه الشريف كل سنة الألوف المؤلفة من ملوك وأمراء وأعزة وكبراء وأغنياء وفقراء يسلِّمون عليه ويطلبون الشفاعة من لديه، ويتبرّكون بتقبيل أعتابه الشريفة، ويمسحون وجوههم بتراب روضته المنيفة، وتُرفع إليه مدائح الشعراء، ومحامد الفصحاء، مزينة بذكر محاسن صفاته، وباهر آياته. عليه من الصلوات أفضلها، ومن التحيات أكملها، ولم تزل شريعته ﷺ معززة مرفوعة المنار موفرة الأنصار، تقتبس من أنوارها الأمم وتهتدى بشموسها العرب والعجم. وأتباعه بفضل الله تعالى مالئون الأرض، متبعون ما شرع لهم من سنة وفرض. ولا يزالون بالزيادة يومًا فيوما. وكل يوم تأتينا أخبارهم المُسِرّة فتنشرح لها صدورنا .

فأىُّ ذكرٍ بادَ لمحمد ﷺ مع مرور أزيد من ثلاثة عشر قرنًا وأتباعه مالئون الأرض. وأى هلاك هلك؟ وأى سواعد كسرت له؟ وأى فناء كالدخان فنى؟ فلو كان محمد ﷺ ممن ذكر فى هذه الكتب المقدسة للزم أن يفعل به الله جميع ذلك النكال، وإلا لزم تخلف خبر الرب الذى جاء فى هذه التوراة وهذا الإنجيل على ألسنة أنبيائه، لكنه عز شأنه لم يفعل به من ذلك شيئًا. فهو ليس ممن ذكر البتّة. وإذا لم يكن ممن

ذكر؛ فيكون من الأنبياء الطائعين والرسل الصادقين وأحباب الله الصالحين على رغم أنف الكفرة والمشركين. وليست هذه الأخبار هى التى تتصفنا من أخبار هذه الكتب المقدسة بل غالب أصحاحاتها تشهد بنبوة محمد ﷺ ولقد وصفته وصفًا بينًا واضحًا رفع كل احتمال حيث صرحت باسمه وبلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته. غير أن أهل الكتاب حذفوا اسمه الشريف من كتبهم، إلا أن ذلك لا يُجد لهم نفعًا لبقاء الصفات التى اتفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة. وهى أظهر دلالة من الاسم على المسمى. إذ قد يشترك اثنان فى اسم ويمتنع اشتراك اثنين فى جميع الأوصاف.

لكن من أمد غير بعيد قد شرعوا فى تحريف بعض الصفات أيضًا ليبعد صدقها على سيد الكونين ﷺ ولم يُفدهم ذلك غير تقوية الشبه عليهم لانتشار النسخ بالطبع وتيسر المقابلة بينها. فأما تبشير السيد المسيح عليه السلام بنبوة الصادق الأمين ﷺ فهو ثابت فى هذه الأناجيل ومحقق مع تحريفها وكذلك الكتاب المنزل على موسى وزبور داود عليهما السلام وكتاب إشَعياء وإرمياء ودانيال وحَبَقُّوق -عليهم الصلاة والسلام-

فأما التوراة: فلقد جاء فى العدد السابع عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا "فقال لى الرب: نعم جميع ما قالوا. وسوف أُقيم لهم نبيًا مثلك من بين إخوتهم، وأجعل كلامى فى فمه، ويكلمهم بكل شئ آمره به. ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى؛ فأنا أكون المنتقم من ذلك النبى. فأما النبى الذى يجترأ بالكبرياء، ويتكلم فى اسمى مالم آمره بأنه يقوله، أم باسم آلهة غيرى؛ فليقتل. فإن أحببت وقلت فى قلبك: كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فهذه تكون لك آية: أن ما قاله ذلك النبى فى اسم الرب ولم يحدث؛ فالرب لم يكن تكلم به، بل ذلك النبى صَوَّره فى تعظم نفسه. ولذلك لا تخشاه" انتهى.

فهذه بشارة لم تصدق على غير نبينا محمد ﷺ لأنه من ذرية إسماعيل. وذريته يسمون إخوة لبنى إسرائيل لأنهم من ذرية إسحق وهو أخو إسماعيل -عليهما السلام- وقد جرت عادة الكتب المنزلة بتسمية أبناء الأعمام عن بعد بعيد؛ إخوة. كما دُعى فى القرآن الكريم هود وصالح؛ إخوة لعاد وثمود، مع أنهما على بعد بعيد من أولاد الأعمام. وكما قيل فى الأصحاح العشرين من سفر العدد من التوراة: "وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك آدوم قائلاً: هكذا يقول أخوك إسرائيل" مع أنهما من أبناء الأعمام على بعدٍ بعيد.

ولا يصح أن تكون هذه البشارة فى حق نبىّ من أنبياء بنى إسرائيل؛ لأنه لو كان المقصود بكون النبى المبشر به فى هذه البشارة منهم لقال وسوف أقيم لهم نبيًا مثلك منهم أو من أنفسهم لا من بين إخوتهم. كما قال الله تعالى إخبارًا بدعوة إبراهيم عليه السلام لولد إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وكما قال تعالى فى خطاب بنى إسماعيل[1] ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾

---

[1] كان يجب على المؤلف أن يذكر نصا من التوراة قبل ذكر هذا النص. وهو: أن إسماعيل هو وحيد إبراهيم ووحيد هاجر ووحيد سارة؛ لأن المواعيد فى إسماعيل أن يكون منه نبى؛ جاءت على اعتبار أنه هو الوحيد. وإذا لم نثبت أن إسماعيل هو الوحيد؛ لا نقدر على إثبات نبوة محمد ﷺ وذلك لأنه قال لإبراهيم عقب هَمّه بذبح ابنه الوحيد: "إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك؛ أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولى" والنسل الموعود به هو نسل إسماعيل من محمد رسول الله ﷺ وذلك لأن إبراهيم لم يكن له وقت العهد إلا إسماعيل.

وبيان أن إسماعيل هو الوحيد لسارة: هو أن سارة قالت لإبراهيم: ادخل على جاريتى هاجر لعلّى أرزق منها بنين. فيكون إذا سارة حبلت وولدت يكون المولود ابن سارة لا ابن أمه الجارية. وهذا هو النص:

فى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: "و أما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لابرام هوذا الرب قد امسكني عن الولادة ادخل على جاريتي لعلي ارزق منها بنين فسمع أبرام لقول ساراي فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في ارض

وأما ما زعمته النصارى من أن المراد بهذا الخبر؛ لمسيح ﷺ: هو باطل لوجوه: الأول: أنهم من بنى إسرائيل، والمبشر به من إخوتهم.

الثاني: أنه وقع فى هذا الخبر لفظ "مثلك" يعنى مثل موسى ﷺ والمسيح ﷺ لا يصح أن يكون مثل موسى؛ لأنهم من بنى إسرائيل. ولا يجوز أن يقوم أحد من بنى إسرائيل مثل موسى، كما يدل عليه العدد العاشر من الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وهو هكذا: "ولم يقم بعد فى إسرائيل نبى مثل موسى" على أنه لا مماثلة بينه

كنعان واعطتها لابرام رجلها زوجة له فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها فقالت ساراي لابرام ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضي الرب بيني و بينك فقال أبرام لساراي هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي فهربت من وجهها فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت ايل رئي لأنها قالت اهھنا أيضا رأيت بعد رؤية لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي ها هي بين قادش وبارد فولدت هاجر لابرام ابنا ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لابرام"

وبين المسيح -عليهما السلام- لأن المسيح ﷺ كان ربًا وإلهًا على زعم النصارى بخلاف موسى ﷺ فإنه كان عبدًا لله تعالى وأن المسيح ﷺ على زعمهم صار ملعونًا لشفاعة الخلق. كما صرح بذلك بولس فى الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، وموسى ﷺ ما صار ملعونا لشفاعتهم، وأن المسيح ﷺ دخل الجحيم بعد موته كما هو مصرح به فى عقائد أهل التثليث بخلاف موسى ﷺ فإنه ما دخل الجحيم، وأن المسيح ﷺ صُلب على زعم النصارى ليكون كفارة لأمته بالصلب، وموسى ﷺ ما صار كفارة لأمته بالصَّلْب، وأن شريعة موسى ﷺ مشتملة على الحدود والتعزيرات والقصاص وإيجاب الغسل والحائض والنفساء وإيجاب الطهارة عند إرادة الدخول فى العبادة، وأحكام المحرمات من المأكولات والمشروبات، ووجوب الختان. وغير ذلك من الأحكام بخلاف شريعة عيسى ﷺ فإنها فارغة عن ذلك كله. على ما يشهد به هذا الإنجيل المتداول بينهم، وأن موسى ﷺ كان رئيسا مطاعا فى قومه نفّاذًا لأوامره ونواهيه بخلاف عيسى ﷺ فإنه لم يكن كذلك. ونظائر هذه كثيرة.

الثالث: أنه وقع فى هذه البشارة لفظ "أجعل كلامى فى فمه" وهو إشارة إلى أن ذلك النبى يكون أُميا حافظا لكلام الله فى فمه وهذا لا يصدق على عيسى ﷺ لأنه ما كان أميا بل كان يقرأ. على ما يشهد به هذا الإنجيل المتداول، ولا يصدق أيضًا على نبى من الأنبياء غير محمد ﷺ لأنه هو الذى كان أميا من بينهم، وكان ينطق بالوحى كما

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ وبذلك تعرف سرّ وصفه به في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾

وفى قوله: "ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك" إشارة إلى كون هذا النبى مأمورا بجهاد من كفر بما جاء به من عند الله والانتقام منه بسيفه البتار. ولا يصح أن يراد بالانتقام من المنكر العذاب الأخرويُّ الكائن فى جهنم؛ لأن هذا الانتقام لا يختص بإنكار نبى دون نبى بل يعم الجميع فحينئذ يراد بالانتقام الإنتقام التشريعى الذى هو الجهاد. وهذا لا يصدق على المسيح عليه السلام لأن شريعته[1] خالية عن أحكام الحدود والقصاص والتعزيرات والجهاد بخلاف شريعة محمد ﷺ كما لا يخفى.

---

[1] إن المسيح عليه السلام لم تكن له شريعة منفصلة عن شريعة التوراة. فإنه كان عليها ومصدقا لها، وحث أتباعه على العمل بها إلى زمان ظهور النبى محمد ﷺ الذى يبشر بمقدمه. وعندئذ يسمعون من كلامه. فإن قال لهم اعملوا بها فليعملوا بها، وإن قال لهم اتركوها واعملوا بشريعتى فاتركوها واعملوا بشريعته، وأحل لهم بعض الذى حرم عليهم من علماء بنى إسرائيل. ومن كلامه: "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" [متى ٥: ١٧] ومن كلامه: " حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيذَهُ قَائِلاً: عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ ، وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا ، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ. فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ ، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ، وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ : فَيُعَرِّضُونَ

الرابع: أنه صرح فى هذه البشارة بأن النبى الذى ينسب إلى الله ما لم يأمره به؛ يُقتل. فلو لم يكن محمد ﷺ نبيا صادقا حقا؛ للزم أن يُقتل؛ بحكم هذا القول. وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز أيضًا:﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ وما قتل بل قال الله فى حقه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وقد أوفى بما وعد ولم يقدر أحد على قتله -ولله الحمد- حتى لحق بالرفيق الأعلى، بخلاف المسيح فإنه صلب وقتل، على زعم أهل الكتاب. فلو كانت هذه البشارة فى حقه؛ للزم أن يكون نبيًا كاذبا، كما تزعمه اليهود أهل الكفر والجحود. والعياذ بالله تعالى. ولا يرد على هذا قتل زكريا ويحيى -عليهما السلام- وغيرهما من الأنبياء الكرام الذين قتلهم اليهود؛ لأنّا نقول: إن ذلك كان منهم بعد ثبوت نبوتهم عندهم؛ فكان ذلك منهم بغيًا وعدوانًا.

عَصَائِبَهُمْ وَيُعَظِّمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ، وَيُحِبُّونَ الْمُتَّكَأَ الأَوَّلَ فِي الْوَلاَئِمِ ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي! وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ. وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ. فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ. لَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ . وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ ! لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذَلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ !لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلاً وَاحِداً ، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْناً لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفاً. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟ وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ!"

كما تدل على ذلك الكتب المقدسة. وذلك جائز على الأنبيـاء الكـرام بخلاف ما إذا لم تثبت النبوة -كما لا يخفى-

الخامس: أن الله بيّن فى هذه البشارة علامة النبى الكاذب هو أن إخباره عن الغيب المستقبل لا يخرج إلا صادقا. ومحمد ﷺ أخبر عـن الغيوب الكثيرة المستقبلة وظهر صدقه فيها، ووقعت كما أخبر. وهـى وقائع عظيمة قد تواترت واشتهرت عند الخاصة والعامة، وناهيك بمـا جاء فى القرآن العظيم من الأخبار عن الحوادث الآتية، فوجدت فـى الأيام اللاحقة على الوجه الذى أخبر به. كقوله تعالى:﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ فوقع كما أخبر. ودخل الصحابة المسجد الحـرام آمنين غير خائفين. وكقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ فكان وعد الله المؤمنين بهذا القول بجعل الخلفاء منهم وتمكين الدين المرضـى لهـم وتبـديل خوفهم بالأمن؛ فوفى الله سبحانه وتعالى وعده فى مدة قليلـة ودخـل الناس فى الإسلام أفواجًا أفواجًا. فما مات عليه الصلاة والسلام وفـى بلاد العرب موضع لم يدخله الإسلام. واستخلف المؤمنين فى الأرض المقدسة وغيرها ومكن فيها دينهم وملّكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال عليه الصلاة والسلام: "زُويـت لـى الأرض

فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زُوى لى منها" معناه جمع الله لى الأرض مرة واحدة بتقريب بعيدها إلى قريبها حتى اطلعت على ما فيها، وستفتحها أمتى جزءًا فجزءا حتى تملك جميع أجزائها. ولأجل تقييده بمشارقها ومغاربها انتشرت ملته فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند -التى هى أقصى المشرق- إلى بحر طنجة -الذى هو فى أقصى المغرب- ولم تنتشر فى الجنوب والشمال مثل انتشارها فى المشرق والمغرب وستنتشر فيهما أيضًا إن شاء الله تعالى عن قريب.

ومن هذا: قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ وسيظهر الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب. على ما هو المرجو إن شاء الله تعالى وهو على كل شئ قدير. وقال تعالى:﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ولما نزلت هذه الآية بشر النبى ﷺ أصحابه بأن الله كفاه شر المستهزئين وأذاهم. وكان المستهزئون نفرًا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا بضروب البلاء وفنون الفناء. فتم نوره وكمل ظهوره. وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وقد وقع كما أخبر مع كثرة من قصد قتله فعصمه الله تعالى حتى انتقل من دار الدنيا إلى دار منازل الحسنى فى العقبى. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أى من التحريف والزيادة والنقصان وقد كان كما أخبر

به. فما قدر أحد من الملاحدة والمعطّلة على تغييره وتبديله ولا سيما القرامطة، فإنهم أجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم نيفًا على خمسمائة عام، وما قدروا على إطفاء شئ من نوره، ولا تغيير كلمة من كلمه ولا حرف من حروفه ولا إعراب من إعراباته، وهو باق على حاله. ولله الحمد والمنّة إلى هذه المدة التى نحن فيها. أعنى ألفًا وثلاثمائة وثمان من الهجرة النبوية. بخلاف التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب الإسرائيلية. كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى. وقال تعالى:﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أى التحريف بالزيادة والنقصان ﴿ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

وحال هذا القول كالقول السابق.

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فأخبر تعالى فى هذا القول بأنهم لا يفعلون ما تحدّاهم به البتة وقد وقع كما أخبر -ولله الحمد على إتمام هذه النعمة-

ومن الأخبار المندرجة فى القرآن المجيد: قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ

﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فوعد الله المسلمين في هذا القول بأنهم يزلزلون حتى يستنصروه وقد كان كما أخبر. وقال النبي ﷺ: "سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم" وقال أيضًا: إن الأحزاب سائرون إليكم تسعًا أو عشرًا. فجاء الأحزاب كما وعد الله ورسوله وكانوا عشرة آلاف وحاصروا المسلمين وحاربوهم محاربة شديدة إلى مدة شهر، وكان المسلمون في غاية الضيق والشدة والرعب، وقالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وأيقنوا بالجنة والنصر كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

وقد خرَّج أهل الحديث -رضي الله تعالى عنهم- أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بفتح :

١-مكة

٢-وبيت المقدس

٣-واليمن

٤-والشام

٥-والعراق

٦-وأن خيبر تفتح على يد عليّ ﷺ في غد يومه

٧-وأنهم يقسمون ملك فارس

٨-وملك الروم

٩-وأن بنات فارس تخدمهم. وهذه الأمور كلها وقعت في زمن الصحابة -رضى الله تعالى عنهم- كما أخبر.

١٠-وأن فارس نطحةً أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبدًا

١١-والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن. أهل صخر وبحر. هيهات آخر الدهر والمراد بالروم: الإفرنج من النصارى. وكان كما أخبر وما بقى من سلطنة الفرس أثر مّا. بخلاف الروم فإن سلطنتهم وإن زالت عن الشام فى عهد خلافة عمر ﷺ وانهزم هرقل من الشام إلى أقصى بلاده؛ لكن لم تزل سلطنتهم بالكلية كما زالت سلطنة الفرس بل كلما هلك قرن خلفه قرن آخر.

١٢-وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيًّا. وكان كما أخبر، وكان ﷺ سادًا باب الفتنة.

١٣-وأن المُهدى -رضى الله عنه- [1]يظهر.

---

[1] اختلف علماؤنا أهل السنة فى علامات الساعة. فبعضهم أثبتها. ومنها ظهور المهدى، وعودة المسيح عيسى بن مريمعليه السلام وغيرهما وبعضهم لم يثبتها بحجة أن القرآن يقول إنها تأتى بغتة. وإذا ظهرت علامات فإنها لا تكون بغتة. والذين أثبتوها؛ أثبتوها بأحاديث نبوية. وقد قال بعض العلماء بأن الساعة المذكورة فى القرآن هى ساعة قتال المسلمين لليهود؛ لنزع ملكهم من فلسطين والعالم. وهى المعركة المسماة بمعركة "يوم الرب" أو "معركة هرمجدون" وقد قال عيسى عليه السلام فى شأنها: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده" [متى ٢٤:

٣٦] ومن قبل هذه المعركة علامات قال أهل الإنجيل عنها إنها نهاية الزمان. وهذا هو النص على علامات الساعة وعلى معركة الساعة من إنجيل متى: " ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ! . وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا ؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: انْظُرُوا ! لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. انْظُرُوا،لا تَرْتَاعُوا. لأَنَّهُ لا أن تَكُونَ هَذِهِ كُلُّها،ولكن لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعدُ. لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ. حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي. وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعضاً وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعضاً. وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ. وَلَكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ. وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى. فَمَتَى نَظَرْتُمْ رِجْسَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئاً ، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعْ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ. وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ! وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلاَ فِي سَبْتٍ، لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ. حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا ! أَوْ : هُنَاكَ ! فَلاَ تُصَدِّقُوا. لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً. هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ. فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ ! فَلاَ تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ ! فَلاَ تُصَدِّقُوا. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هَكَذَا يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُثَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ. وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ،وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ،وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصاً وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً ، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ

١٤-وأن عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض ويملكها.

١٥-وأن الدجال يخرج ويقتله المسيح عليه السلام وهذه الأمور ستظهر عن قريب إن شاء الله تعالى.

١٦-وأن عثمان يُقتل وهو يقرأ فى المصحف.

١٧-وأن أشقى الآخرين من يصبغ هذه من هذه يعنى لحية علىّ من دم رأسه يعنى بقتله وقد استُشهدا -رضى الله عنهما- كما أخبر.

١٨-وأن الخلافة بعدى ثلاثون سنة. وكان كما أخبر. وتمامها خلافة الحسن رضي الله عنه.

١٩-وأن ابنى هذا -أى الحسن بن علىّ رضى الله عنهما- سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين. وقد وقع كما أخبر فأصلح بين أتباعه وأهل الشام.

هَذَا كُلُّهُ. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلَكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ. وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ، وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ ، كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى، تُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى. اِسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ. وَاعْلَمُوا هَذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ ، لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ."

٢٠-وأن الموتتين أى الوباء والطاعون تكونان بعد فتح بيت المقدس.
وكان هذا الوباء فى خلافة عمر ﷺ بعمواس من قـــرى بيـــت المقدس وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع فى الإســـلام مات به سبعون ألفًا فى ثلاثة أيام.

٢١-وأنهم يقرون فى البحر كالملوك على الأسرة.

٢٢-وأن الإيمان لو كان منوطًا بالثريا لناله رجال من أبناء فـــارس.
وفيه إشارة إلى الإمام الأعظم أبى حنيفة الكوفى رحمه الله وإلى غيره أيضًا من علماء الفرس حتى الغزالى وسعد التفتازانى.

٢٣-وأن فاطمة -رضى الله تعالى عنها- أول أهله لحوقا به. فماتت رضى الله عنها بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ.

٢٤-وأن الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما يقتل بالطَّفّ وهو -بفتح الطاء المهملة وتشديد الفاء- مكان بناحية الكوفة علـــى شط نهر الفرات المشتهر الآن بكربلاء. وكان كما أخبر.

٢٥-وقال ﷺ لسراقة بن جعشم: كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟
فلما أتى بهما لعمر ﷺ ألبسهما إياه وقال: الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة.

٢٦-وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى" وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة، وكان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جمادى الأخرى سنة أربع وخمسين وســتمائة وكانـــت

خفيفة إلى ليلة الثلاثاء بيومها، ثم ظهرت ظهورًا عظيمًا اشترك فيه الخاص والعام وكان انطفاؤها فى اليوم ٢٧ من رجب. وللشيخ قطب الدين القسطلانى تأليف فى بيان حالى هذه النار سماه مجمل الإيجاز فى الإعجاز بنار الحجاز. وهذا الخبر من الأخبار العظيمة أيضًا لأن النبى ﷺ أخبر بخروجها قبل ظهورها بمقدار أربعمائة سنة. وصحيح البخارى فى غاية درجة القبول من زمن التأليف إلى هذا الحين حتى أخذ تسعون ألف رجل سنده من الإمام المرحوم بلا واسطة فى مدة حياته؛ فلا مجال لعناد المعاندين.

٢٧-وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك" -أى التتار- "صغار الأعين حمر الوجوه زنف الأنوف كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة" وقد كان كما أخبر ﷺ فخرجوا مرتين. وخبرهم متواتر.

والأحاديث فى هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره. وهذه المعجزة من جملة معجزاته الكثيرة المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. وفيما ذكرناه كفاية.

فقد حصل من هذه الوجوه الخمسة التى ذكرتها لك: أن هذه البشارة لا تصدق على غير محمد ﷺ لأنه من غير بنى إسرائيل بل

من إخوتهم ويماثل موسى عليه السلام فى أمور كثيرة بخلاف المسيح عليه السلام كما قد علمت ذلك بما لا مزيد عليه.

فإن قيل: إن إخوة بنى إسرائيل لا تنحصر فى بنى إسماعيل؛ لأن بنى عيسو وبنى أبناء قطور زوجة إبراهيم عليه السلام من أخوة بنى إسرائيل أيضًا. قلنا: نعم ولكن لم يظهر فيهم نبيّ يكون موصوفًا بالأمور المذكورة ولم يكن وعد الله فى حقهم لإبراهيم ولهاجر -عليهما السلام- ففى العدد العشرين من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨فى خطاب إبراهيم عليه السلام هكذا: "وعلى إسماعيل استجبت لك. هو ذا أباركه وأكبره وأكثره كثيرا جدًا. فسيلد اثنى عشر رئيسا، وأجعله لشعب عظيم" انتهى. فقوله "أجعله لشعب عظيم" إشارة إلى محمد ﷺ لأنه لم يكن فى ولد إسماعيل من كان لشعب عظيم غير محمد ﷺ وقد قال تعالى فى كلامه العزيز فىحكاية دعاء إبراهيم عليه السلام لبنى إسماعيل هكذا: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ وفى العدد الحادى عشر من الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين أيضًا فى خطاب هاجر هكذا: "وستلدين غلامًا وتدعين اسمه إسماعيل فإن الله قد سمع تعبّدك، ويكون هو وحش الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، ويجلى على منتهى إخوته كلهم"

وهذا الخبر بحق محمد ﷺ أيضًا لا بجده إسماعيل عليه السلام لأنه لم تكن يده فوق يد الجميع ولا كانت مبسوطة إليه بالخضوع، بخلاف محمد ﷺ كما لا يخفى. فكان ذكر إسماعيل عليه السلام مقصودًا به ولده كما أن فى مواضع كثيرة من التوراة ذكر إسرائيل والمقصود به بنيه. فمن ذلك قوله فى السفر الخامس من التوراة: "يا إسرائيل ألا تخشى الله ربك وتسلك فى سبيله وتعمل له " فهذا خطاب لبنى إسرائيل باسم أبيهم

وفى العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين فى خطاب إبراهيم عليه السلام هكذا: "ومن أجل جاريتك فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضًا سأجعله أمة عظيمة لأنه من نسلك " وهذا القول يدل على أن وعد الله لإبراهيم كما كان فى حق إسحاق، فكذلك كان فى حق ابنه إسماعيل عليهم السلام فإنه ما كان وعد الله فى حقهم وأما بنو عيسو وإن كان وعد الله فى حقهم من جهة كونهم من نسل إسحق عليه السلام ولكن لم يوجد فيهم نبىّ يماثل موسى عليه السلام على أنه قد جاء فى الأصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يثبت أن عيسو باع بكوريته التى بها استحقاق منصب النبوة والبركة لأخيه يعقوب عليه السلام بقليل من الخبز والعدس، وهو مشتد الجوع لامتناع أخيه يعقوب أن يطعمه من ذلك مجانًا. فعلى هذا يلزم أن لا يكون فى بنيه نبى -على ما زعموا- وأيضًا: لا يصح أن يكون مصداق هذه البشارة بنى عيسو. على ما هو

مقتضى دعاء إسحق عليه السلام المصرح به فى الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين.

فقد حصل من هذا أن هذه البشارة لا تصدق على غير نبينا محمد ﷺ ولا بوجه من الوجوه.

والأخبار الواردة فى التوراة والإنجيل كثيرة جدًا وغالبها تشير بأعظم تلويح وأوضح تصريح إلى نبوّة سيدنا ومولانا محمد ﷺ قال فى العدد السادس من الأصحاح التاسع من كتاب إشعياء عليه السلام من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ هكذا: "يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام.لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الابد" وهذا الخبر أيضًا لا يصدق على غير الصادق الأمين فإنه لم يكن أحد من الأنبياء، وعلامة سلطانه على كتفه غير محمد ﷺ على ما يشهد به الموافق والمخالف من المؤرخين، حتى أن كثيرًا من أهل الكتاب آمن بسبب رؤيته لهذه العلامة عدا عن غيرها. وتسمى فى كتب الحديث خاتم النبوة وهو على كتفه الشريف بقدر بيضة الحمام، ولم يثبت أن هذه العلامة كانت لغيره ﷺ وهو الذى دُعىَ بأعجب الأسماء وأغربها وهو لفظ محمد فإنه لم يسمى أحد قبله بهذا الاسم الشريف أو المراد بالاسم خاتم الأنبياء؛ فإنه مما لم يدع به أحد سواه ولا يمكن أن يدعى فيما بعد أيضًا لأنه لا نبى

بعده وكان مشاورًا الله لأن دعواه ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وهو المقتدر الذى سلطه الله على أعدائه وجعله حرزًا لأوليائه وأبو العالم لأن أتباعه كانوا كالأبناء له فى الطاعة والإنقياد وهو كالأب لهم فى الشفقة والتربية، وكان رئيس السلام لأنه منع حروب الجاهلية التى كانت بين العرب التى لا فائدة فيها ولا ثمرة لها إلا إتلاف النفوس.

وأما جهاده ﷺ لأعدائه؛ فإنه كان لتثبيت الدين الذى هو دين الله المتين ولتقرير السلام بين العالم فهو من قبيل "القتل أنفى للقتل" وسلطانه ﷺ يكثر يومًا فيومًا كما هو مشاهد وسلامه ﷺ يكثر أيضًا لأنه كلما ازدادت أتباعه راقت الأحوال وزالت الفتن الجاهلية وهو الذى جلس أصحابه على كرسى داود ﷺ وملكوا مقر حكمه ومملكته. التى هى بيت المقدس. وحكموا فيها بالعدل والإنصاف ولم يزل حكم أتباعه -حفظهم الله فيها- إلى هذا الحين ويبقى إن شاء الله كما وعد إلى أبد الآبدين.

وبحسب هذه الأوصاف لا يصح أن يكون مصداق هذا الخبر على عيسى ﷺ كما تزعمه النصارى لأن الأوصاف المذكورة لا تصدق عليه أصلاً وإن صدق بعضها لا يصدق جميعها بل لم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ وإن ادّعى أحد من أهل الكتاب أن

هذا الخبر ليس المراد به محمد ﷺ فعليه أن يبين أحدًا غيره توجد فيه جميع هذه الأوصاف حتى تكون الإشارة إليه.

وفى هذا القدر كفاية لأنا لو تتبعنا كتب أهل الكتاب التى جاءت معلنة بنبوة سيد العرب والعجم لرأينا أخبارًا كثيرة جدًا. ومقام هذا الكتاب لا يسع ذكرها، وذكر الدلائل التى تجعلها خاصة به ﷺ وما غرضنا بهذا الكتاب المختصر إلا الرد على صاحب البرهان، فى أقواله التى أخطأ فيها طريق الحق والصواب. وقد جمعت كتابًا ذكرت فيه من البشائر ثلاثين. كلها تشير بأعظم تصريح إلى نبوة سيد الكونين ووجوب تصديقه واتباعه. والله ولى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

تعظيم المسلم للتوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل بعد أن أورد الآيات القرآنية السابق لك ذكرها التى استشهد بها على كون التوراة والإنجيل أنزلهما الله نورًا وهدًى للناس هكذا: "**فبناء على شهادة القرآن للتوراة والإنجيل بأنهم كتابان منزلان من عند الله هدىً ونورًا للناس؛ كان يجب على كل مسلم أن يعظمهما ويتلوهما ويصدق كل ما حرّر فيهما من غير شك وارتياب. سواء وافق ذلك العقل أم لا؛ لأنه لا بد لكل كتاب منزل من عند الله أن يشتمل على أمور تفوق إدراك العقل البشرى حتى ينجو من آمن ويهلك من كفر. والذى يؤيد ما قررناه: أننا نجد أشياء كثيرة من الأمور المحسوسة يعجز العقل عن إدراكها. فما بالك فى أمور الملكوت التى لم ننظرها**"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من يجدّد الفكر ويمعن النظر فيما تقدم من معانى الآيات الشريفة التى أوردها حضرة القسيس فى مقالته السابقة؛ يعلم أن ما سلكه قد أخطأ فيه طريق الحق والصواب. فإنا معاشر المسلمين لا ننكر ولا ننازع فى كون التوراة والإنجيل منزلين من عند الله ﷻ نورًا وهدًى للناس. وإنما النزاع فى وقوع التغيير والتبديل[1] فيهما. فالقرآن المجيد ما شهد لهما

---

[1] فى سفر الملوك الأول / الأصحاح ١١

"وأما بقية أخبار سليمان وكل ما عمل وحكمته. أفليست مكتوبة فى سفر أخبار

بالحفظ من وقوع ذلك بل صرح بوقوعه فى مواضع متعددة. ولهذا أنزل لنا هاديًا ومرشدًا كاملاً مستغنيًا عن الاستعانة بغيره إلا ما كان حالاً لغوامضه كاشفًا لمضمره عاملاً على بيانه قائما بحجته. وإن لنا فى الأحاديث الصحيحة المتواترة لمندوحة -أى غنىً- سيما إذا أضفنا إلى ذلك كون القرآن جمع ما تفرَّق فى الكتب السماوية جمع صحة وتحقيق، وزاد عليها أمورًا كلية تلائم الإنسان فى الزمان والمكان إلى ما لا نهاية؛ لاكتفى المسلمون -حفظهم الله- به دون أن ينظروا فى غيره. ولله در من قال فيه :

طلعت به شمس الهداية للورى   وأبى لها وصف الكمال أفولا
والحق أبلج فى شريعته التي   جمعت فروعا للهدى وأصولا
لا تذكر الكتب السوالف عنده   طلع الصباح فاطفأ القنديلا

فمن هنا وما تقدم تعلم الجواب عن قول القسيس: "كان يجب على كل مسلم أن يعظمهما ويتلوهما ويصدق كل ما حرر فيهما من غير شك وارتياب" وأما قوله: "لأنه لا بد لكل كتاب منزل من عند الله أن يشتمل على أمور تفوق إدراك العقل البشرى" فغير مُسَلَّم له على إطلاقه، بل إن أراد بذلك ما يكون ممكنًا ولا يلزم عليه استحالة ما قبل

سليمان"؟

يقول المعلقون على هذه الفقرة: "سفر مفقود. يبدو أنه كان أحد المراجع القديمة للملوك الأول ٣-١١

فهذا اعتراف منهم بفقدان سفر أخبار سليمان.

منه، كاشتماله مثلاً على المتشابه والمجمل والمجاز. فإن ذلك مما يمكن وقوعه فى الكتب السماوية وإن كان إدراك معناه مما يفوق العقل البشرى فلقد ورد عن أبى بكر ﷺ أنه قال: "فى كل كتاب سرّ وسر الله فى القرآن أوائل السور" وقال علىّ بن أبى طالب ﷺ: "إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى" أى التى فى أوائل السور. فهذه الحروف من المتشابه[1] الذى استأثره الله بعلمه وهى سر الله

---

[1] الحروف المقطعة فى أوائل السور ليست من المتشابه. وذلك لأن معناها معروف من سورة الشورى. ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يدل على أن من طرق الوحي عند اليهود والنصارى. حروف مقطعة فى أوائل ﴿ زُبُر﴾

ومن أمثلة ذلك:

الزبور ١١٩ وهذا هو صورته كما هى عندهم: "طوبى للكاملين طريقا السالكين في شريعة الرب طوبى لحافظي شهاداته من كل قلوبهم يطلبونه أيضا لا يرتكبون إثما في طرقه يسلكون أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تماما ليت طرقي تثبت في حفظ فرائضك حينئذ لا أخزى إذا نظرت إلى كل وصاياك أحمدك باستقامة قلب عند تعلمي أحكام عدلك وصاياك احفظ لا تتركني إلى الغاية بم يزكي الشاب طريقه بحفظه إياه حسب كلامك بكل قلبي طلبتك لا تضلني عن وصاياك خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك مبارك أنت يا رب علمني فرائضك بشفتي حسبت كل أحكام فمك بطريق شهاداتك فرحت كما على كل الغنى بوصاياك الهج وألاحظ سبلك بفرائضك أتلذذ لا أنسى كلامك أحسن إلى عبدك فاحيا واحفظ أمرك اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك غريب أنا في الأرض لا تخف عني وصاياك انسحقت نفسي شوقا إلى أحكامك في كل حين انتهرت المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك دحرج عني العار والإهانة لأني حفظت شهاداتك جلس أيضا رؤساء تقاولوا علي أما عبدك فيناجي

بفرائضك أيضا شهاداتك هي لذتي أهل مشورتي لصقت بالتراب نفسي فأحيني حسب كلمتك قد صرحت بطرقي فاستجبت لي علمني فرائضك طريق وصاياك فهمني فأناجي بعجائبك قطرت نفسي من الحزن أقمني حسب كلامك طريق الكذب ابعد عني و بشريعتك ارحمني اخترت طريق الحق جعلت أحكامك قدامي لصقت بشهاداتك يا رب لا تخزني في طريق وصاياك اجري لأنك ترحب قلبي علمني يا رب طريق فرائضك فاحفظها إلى النهاية فهمني فألاحظ شريعتك و احفظها بكل قلبي دربني في سبيل وصاياك لأني به سررت أمل قلبي إلى شهاداتك لا إلى المكسب حول عيني عن النظر إلى الباطل في طريقك أحيني أقم لعبدك قولك الذي لمتقيك أزل عاري الذي حذرت منه لان أحكامك طيبة هانذا قد اشتهيت وصاياك بعدلك أحيني لتأتني رحمتك يا رب خلاصك حسب قولك فأجاوب معيري كلمة لأني اتكلت على كلامك ولا تنزع من فمي كلام الحق كل النزع لأني انتظرت أحكامك فاحفظ شريعتك دائما إلى الدهر والأبد وأتمشى في رحب لأني طلبت وصاياك وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى وأتلذذ بوصاياك التي أحببت وارفع يدي إلى وصاياك التي وددت وأناجي بفرائضك اذكر لعبدك القول الذي جعلتني انتظره هذه هي تعزيتي في مذلتي لان قولك أحياني المتكبرون استهزاوا بي إلى الغاية عن شريعتك لم أمل تذكرت أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزيت الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك هذا صار لي لأني حفظت وصاياك نصيبي الرب قلت لحفظ كلامك ترضيت وجهك بكل قلبي ارحمني حسب قولك تفكرت في طرقي و رددت قدمي إلى شهاداتك أسرعت و لم أتوان لحفظ وصاياك حبال الأشرار التفت علي أما شريعتك فلم انسها في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك رفيق أنا لكل الذين يتقونك و لحافظي وصاياك رحمتك يا رب قد ملأت الأرض علمني فرائضك خيرا صنعت مع عبدك يا رب حسب كلامك ذوقا صالحا و معرفة علمني لأني بوصاياك آمنت قبل أن اذلل أنا ضللت أما الآن فحفظت قولك صالح أنت و محسن علمني فرائضك المتكبرون قد لفقوا علي كذبا أما أنا

فبكل قلبي احفظ وصاياك سمن مثل الشحم قلبهم أما أنا فبشريعتك أتلذذ خير لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب و فضة يداك صنعتاني وانشاتاني فهمني فأتعلم وصاياك متقوك يرونني فيفرحون لأني انتظرت كلامك قد علمت يا رب أن أحكامك عدل و بالحق أذللتني فلتصر رحمتك لتعزيتي حسب قولك لعبدك لتأتني مراحمك فاحيا لان شريعتك هي لذتي ليخز المتكبرون لأنهم زورا افتروا علي أما أنا فأناجي بوصاياك ليرجع إلي متقوك و عارفو شهاداتك ليكن قلبي كاملا في فرائضك لكيلا أخزى تاقت نفسي إلى خلاصك كلامك انتظرت كلت عيناي من النظر إلى قولك فأقول متى تعزيني لأني قد صرت كزق في الدخان أما فرائضك فلم انسها كم هي أيام عبدك متى تجري حكما على مضطهدي المتكبرون قد كروا لي حفائر ذلك ليس حسب شريعتك كل وصاياك أمانة زورا يضطهدونني اعني لولا قليل لأفنوني من الأرض أما أنا فلم اترك وصاياك حسب رحمتك أحيني فاحفظ شهادات فمك إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة في السماوات إلى دور فدور أمانتك أسست الأرض فثبتت على أحكامك ثبتت اليوم لان الكل عبيدك لو لم تكن شريعتك لذتي لهلكت حينئذ في مذلتي إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتني لك انا فخلصني لأني طلبت وصاياك إياي انتظر الأشرار ليهلكوني بشهاداتك افطن لكل كمال رأيت حدا أما وصيتك فواسعة جدا كم أحببت شريعتك اليوم كله هي لهجي وصيتك جعلتني احكم من أعدائي لأنها إلى الدهر هي لي أكثر من كل معلمي تعقلت لان شهاداتك هي لهجي أكثر من الشيوخ فطنت لأني حفظت وصاياك من كل طريق شر منعت رجلي لكي احفظ كلامك عن أحكامك لم أمل لأنك أنت علمتني ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي من وصاياك أتفطن لذلك أبغضت كل طريق كذب سراج لرجلي كلامك و نور لسبيلي حلفت فابره أن احفظ أحكام برك تذللت إلى الغاية يا رب أحيني حسب كلامك ارتض بمندوبات فمي يا رب وأحكامك علمني نفسي دائما في كفي أما شريعتك فلم انسها الأشرار وضعوا لي فخا أما وصاياك فلم أضل عنها ورثت شهاداتك إلى الدهر لأنها هي بهجة قلبي عطفت قلبي لأصنع فرائضك إلى الدهر إلى النهاية المتقلبين أبغضت و

شريعتك أحببت ستري و مجني أنت كلامك انتظرت انصرفوا عنيٰ أيها الأشرار فاحفظ
وصايا الهي أعضدني حسب قولك فاحيا ولا تخزني من رجائي أسندني فاخلص
وأراعي فرائضك دائما احتقرت كل الضالين عن فرائضك لان مكرهم باطل كزغل
عزلت كل أشرار الأرض لذلك أحببت شهاداتك قد اقشعر لحمي من رعبك ومن
إحكامك جزعت أجريت حكما و عدلا لا تسلمني إلى ظالمي كن ضامن عبدك للخير
لكيلا يظلمني المستكبرون كلت عيناي اشتياقا إلى خلاصك وإلى كلمة برك اصنع مع
عبدك حسب رحمتك و فرائضك علمني عبدك أنا فهمني فاعرف شهاداتك انه وقت
عمل للرب قد نقضوا شريعتك لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز
لأجل ذلك حسبت كل وصاياك في كل شيء مستقيمة كل طريق كذب أبغضت عجيبة
هي شهاداتك لذلك حفظتها نفسي فتح كلامك ينير يعقل الجهال فغرت فمي و لهثت لأني
إلى وصاياك اشتقت التفت إلي وارحمني كحق محبي اسمك ثبت خطواتي في كلمتك و
لا يتسلط علي إثم افدني من ظلم الإنسان فاحفظ وصاياك أضئ بوجهك على عبدك و
علمني فرائضك جداول مياه جرت من عيني لأنهم لم يحفظوا شريعتك بار أنت يا رب
وأحكامك مستقيمة عدلا أمرت بشهاداتك و حقا إلى الغاية أهلكتني غيرتي لان أعدائي
نسوا كلامك كلمتك ممحصة جدا وعبدك أحبها صغير أنا و حقير أما وصاياك فلم
انسها عدلك عدل إلى الدهر و شريعتك حق ضيق وشدة أصاباني أما وصاياك فهي
لذاتي عادلة شهاداتك إلى الدهر فهمني فاحيا صرخت من كل قلبي استجب لي يا رب
فرائضك احفظ دعوتك خلصني فاحفظ شهاداتك تقدمت في الصبح و صرخت كلامك
انتظرت تقدمت عيناي الهزع لكي الهج بأقوالك صوتي استمع حسب رحمتك يا رب
حسب أحكامك أحيني اقترب التابعون الرذيلة عن شريعتك بعدوا قريب أنت يا رب
وكل وصاياك حق منذ زمان عرفت من شهاداتك انك إلى الدهر أسستها انظر إلى ذلي
وأنقذني لأني لم انس شريعتك أحسن دعواي وفكني حسب كلمتك أحيني الخلاص بعيد
عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك كثيرة هي مراحمك يا رب حسب إحكامك
أحيني كثيرون مضطهدي ومضايقي أما شهاداتك فلم أمل عنها رأيت الغادرين ومقت

تعالى فى القرآن الكريم. فنحن نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله ﷻ وفائدة ذكرها لنا: طلب الإيمان بها حتى ينجو من آمن ويهلك من كفر.

ومن أمثلة هذا فى كتب العهدين مما لا يحصى إلا بكلفة. فإن أراد صاحب البرهان هذا قُبل منه لأنه لا يلزم عليه استحالة؛ ما فيجوز وقوعه فى الكتب السماوية، وأما إن أراد بذلك ما يلزم من وجوده المحال ويحكم العقل بامتناعه؛ فلا سبيل إلى تسليمه البتة. ونقول: إن ذلك ليس من جانب الله ﷻ لأن الكلام الإلهى مصان عن مثل ذلك. كإجماع النقيضين مثلاً وارتفاعهما كالزوجية والفردية فإنهما نقيضان لا يصدقان على عدد واحد مخصوص ولا يكذبان معًا لامتناع ارتفاعهما عنه. فإن العدد لا يخلو إمّا أن يكون زوجًا أو فردًا. وكذا مما يحكم العقل بامتناعه اجتماع الأضداد مثل الظلمة والنور والسواد

لأنهم لم يحفظوا كلمتك انظر أني أحببت وصاياك يا رب حسب رحمتك أحيني راس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك رؤساء اضطهدوني بلا سبب و من كلامك جزع قلبي ابتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة أبغضت الكذب وكرهته أما شريعتك فأحببتها سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدلك سلامة جزيلة لمحبي شريعتك وليس لهم معثرة رجوت خلاصك يا رب ووصاياك عملت حفظت نفسي شهاداتك وأحبها جدا حفظت وصاياك وشهاداتك لان كل طرقي أمامك ليبلغ صراخي إليك يا رب حسب كلامك فهمني لتدخل طلبتي إلى حضرتك ككلمتك نجني تنبع شفتاي تسبيحا إذا علمتني فرائضك يغني لساني بأقوالك لان كل وصاياك عدل لتكن يدك لمعونتي لأنني اخترت وصاياك اشتقت إلى خلاصك يا رب وشريعتك هي لذتي لتحي نفسي وتسبحك وأحكامك لتعني ضللت كشاة ضالة اطلب عبدك لأني لم انس وصاياك"

والبياض بأن يقال هذا أسود أبيض مثل العمى والبصر بأن يقال هـذا أعمى بصير ومثل الحركة والسكون بأن يقال هذا سـاكن متحـرك. فاستحالة أمثال هذه الأشياء بديهية يحكم العقل بامتناعها بمجرد التأمل. وكذا مما يحكم العقل بامتناعه لزوم الدَّوْر الذى هو توقف وجود كـل من الشيئين على الآخر. مثل أن يقال وجود البيضة متوقف على وجود الدجاجة، ووجود الدجاجة متوقف على وجود البيـضة. فهـذا باطـل ببداهة العقل؛ فإنه لا بد أن يكون أحدهما سابقًا بالوجود علـى الآخـر وإلا يلزم أن يكون كل منهما وجد قبل وجود سببه؛ فيلزم أن يوجد قبل وجود ذاته. وهو محال. وكذا مما يحكم العقل بامتناعه؛ لزوم التسلسل. الذى هو ترتيب أمور غير متناهية. مثل أن يُقال: وجود هـذا الـشئ متوقف على وجود شئ آخر، ووجود الشئ الآخر متوقف على وجود شئ. وهلم جرًّا إلى غير النهاية.

فهذا بيِّن البطلان يحكم العقل بامتناعه بمجرد التأمل. وكذا ممـا يحكم العقل بامتناعه: اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيين فى مادة واحدة شخصية فى زمان واحد من جهة واحدة. كأن يقال: هذا الواحد ثلاثـة وهذه الثلاثة واحد. وهذا أيضًا ظاهر البطلان يحكم ببطلانه كل من له أدنى درجة من العقل.

فإن أراد صاحب البرهان بما ادعاه هذا؛ فلا سبيل إلى التـسليم البتة بل يجب علينا أن نجزم بأن هذا ليس من جانب الله ﷻ ولا جـاء به نبى من الأنبياء لأن الأنبياء –صلوات الله عليهم– لا يخبرون الناس

بما يمتنع ويستحيل فى العقل وإنما يخبرونهم بما تمتنع عقول الناس عن الاستقلال بمعرفته فيكون العقل فيه جائزًا؛ فيخبرونهم بمجازات العقول. لا بمجالات العقول وبين الصورتين فرق جليٌ تعلم به فساد قول القسيس إننا نجد أشياء كثيرة من الأمور المحسوسة يعجز العقل عن إدراكها فما بالك فى أمور الملكوت.

ولعل صاحب البرهان يشير لكلامه هذا إلى عقيدة التثليث التى عجزت عقول العالم عن إدراك حقيقتها. أعنى قولهم: إن الإله ثلاثة الآب والابن وروح القدس ويقولون: إن هذه الثلاثة إله واحد. فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد. وهو محال. إذ التوحيد الحقيقى والتثليث الحقيقى؛ نقيضان لا يجتمعان فى أمر واحد شخصى فى زمان واحد من جهة واحدة بالضرورة كيف لا. وأن الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو واحد وأن الثلاثة مجموع آحاد رأسًا، بل هو جزء الثلاثة فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم أن يكون الجزء كلاً والكل جزء. وهو ظاهر البطلان بعيد عن أن تدركه العقول السليمة والأذواق المستقيمة. ولهذا ترى كثيرًا من الفرق المسيحية تاركين بيان هذه العقيدة والخوض فيها.

وهذا القسيس البروتستنتى صاحب البرهان قد أشار فى مقالته هذه إلى الاعتراف بأن هذا الأمر خارج عن إدراك العقول البشرية. ومع هذا فليس لهم دليل سمعى[1] علىهذه العقيدة الفاسدة البتة، بل هو

---

[1] أقانيم النصارى. وهى الآب والابن والروح القدس. سبب القول بها: هو إبعاد

نُبوءات من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ لئلا تدل عليه. فنبوءة الابن أصلها المزمور الثانى لداود عليه السلام وقد لقبوا فيه محمدا ﷺ بلقب "ابن الله" يعنون أنه سيكون من جماعة المؤمنين بالله. لأن الكافر بالله يقولون عنه إنه ابن إبليس. وقالوا: إنه سيحارب أعداءه وسيملك على العالم.

فجعلوا هذا الابن فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م هو المسيح وقالوا فى قانون الإيمان: إنه رب. والله رب. ولم يتفقوا على التثليث، ولم يقولوا إن الله هو المسيح. وأما عن نبوءة الروح القدس. ففى إنجيل يوحنا-أصحاح ١٤ "بيراكليت الروح القدس" ومعناها: "أحمد المرسل من الله" لا من الشيطان الرجيم. فأبعد النصارى هذه النبوءة عن محمد ﷺ: إن الرويح القدس إله. وأقروا التثليث لأول مرة فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م

وإذا أنت بحثت وسألت عن أصل أقنوم الابن وأقنوم الروح ما أصلهما؟ يجيب النصارى فى كتبهم بما قلنا.

أولا: وهذا هو نص المزمور الثانى: "لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما الساكن في السماوات يضحك الرب يستهزئ بهم حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي إني لخبر من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسالني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزاف تكسرهم فالآن يا أيها الملوك تعقلوا تأدبوا يا قضاة الأرض اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه طوبى لجميع المتكلين عليه"

ثانيا: وهذا هو النص على الروح القدس: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضاً، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ. اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ

قول مخترع من عند أنفسهم. فإن جميع الكتب السماوية آمرة بخلافه ناطقة بأن الله تعالى واحد لا شريك له منزه عن شائبة التعدد، أزلى أبدى لا يموت أبدًا، قادر، يفعل ما يشاء. ليس كمثله شئ فى ذاته ولا فى صفاته. ولكثرة شواهد هذا الأمر وشهرته فى تلك الكتب؛ غير محتاج إلى البيان. فهوَسَات أهل التثليث باستنباطهم أدلة على تلك العقيدة الفاسدة من بعض كتب الأنبياء؛ لا تتم على العاقل من الصبيان لأنها فى الحقيقة تحريف لمعانيها ومردودة، فى مقابلة النص الصريح الموافق للبراهين العقلية.

وأصل ضلالهم شيئان:

أحدهما: أنهم أرادوا الغلو فى المسيح عليه السلام معاندة لليهود الذين كذبوه وظلموه؛ فصارت اليهود فى جانب وهم فى جانب آخر.

الثانى: أنهم وجدوا فى بعض الكتب ألفاظا مشتبهة بعضها صح نقلها عن الأنبياء؛ فحرفوا معانيها وبعضها لم يصح نقلها. وقد جاء فى

أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي . قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِيُّ: يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهَذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. سلاَماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ. سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. لاَ أَتَكَلَّمُ أَيْضاً مَعَكُمْ كَثِيراً، لأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ. وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الآبَ، وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ. قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ هَهُنَا"

آخر إنجيل متى أنه قال لهم: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمـــم وعمـــدوهم باسم الآب والابن وروح القدس" وهذا اللفظ إن صح نقله. فروح القدس هو جبريل، والآب هو الله والابن هو عبده ورسوله المـــسيح. ومـــن عادتهم: يسمون الرب أبًا والعبد المطيع ابنًا، كمـــا فـــى أنـــاجيلهم أن المسيح قال لهم: " تشبهوا بأبيكم السماوى" وقال لهم أيضًا: "إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم " فقد جعل المسيح- فيما ينقلونه عنه- أن الله أب لهم كما هو أب له، وهم متفقون على أنهم عبيد مخلوقون، وأن الله ربهم. فكذلك المسيح عبد مخلوق والله ربه. فيكـــون الأب والابـــن وروح القدس معناه الإيمان بالله وبرسوله المسيح، وأن جبريـــل هـــو روح القدس، الذى يجئ بالرسالة من الله، وهو رسول الله إلى مريم فى النفخ. كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ فالمراد بالروح ههنا: جبريل وقال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾

وهذا الذى كان ينزل عليه شبه الحمامة علـــى مـــا نقلـــه متـــى الإنجيلى. فإذا كان الله قد أمرهم أن يؤمنوا بربهم الذى يـــسمونه أبًـــا وبرسوله المسيح الذى يسمونه هو وغيره ابنًا، ويؤمنوا بروح القـــدس الذى هو جبريل وهو رسول الله النافخ فى مريم الذى جـــاء للمـــسيح بالوحى؛ كان هذا أمرًا موافقًا لما جاءت به الرسل، وهو موافق للعقل. بخلاف قولهم. فإنه مخالف له وللكتب التى جاءت بها الرسل. ويرشدك

إلى هذا: كون هذه العقيدة الفاسدة ما كانت فى أمة من الأمم من عهد آدم إلى عهد يحيى عليهما السلام. أما كونها غير ثابتة فى شريعة موسى ومن قبله من الأنبياء -عليه وعليهم السلام- فغير محتاج إلى البيان. ومن طالع هذه التوراة المتداولة الآن لا يخفى عليه هذا الأمر.

وأما يحيى عليه السلام فعلى ما نقلت أناجيلهم أنه كان إلى آخر عمره شاكًّا فى المسيح عليه السلام بأنه هو المسيح الموعود به أم لا. كما صرح بذلك متى فى العدد الثانى من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله فقال فيه هكذا: "أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلامذته وقال له: أنت هو الآتى أن ننتظر آخر" انتهى.

فلو كان المسيح ربًا وإلهًا يلزم كفر يحيى عليه السلام إذ الشك فى الإله كفر وكيف يتصور من يحيى أن لا يعرف إلهه مع أنه نبيه وهو الذى أرسله على -زعم أهل التثليث- بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح -على ما حكاه متى فى العدد الحادى عشر من الأصحاح المذكور-؟ فإذا لم يعرفه يحيى عليه السلام الذى هو أفضل الأنبياء مع كونه معاصرًا له؛ فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على المسيح عليه السلام أحق بالاعتبار. وعلماء اليهود والسامرة من لدن موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بهذه العقيدة أصلاً . ومعلوم للعاقل من الصبيان أن ذات الله تعالى وصفاته الكمالية قديمة غير متغيرة؛ فلو كان التثليث حقا، لكان الواجب على موسى عليه السلام وبقية الأنبياء من بنى إسرائيل ومن قبلهم من الأنبياء والمرسلين أن يبينوه حق التبيين بأوضح عبارة وأجلى بيان.

فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع أنبياء بنى إسرائيل إلى عهد المسيح عليه السلام خالية عن بيان هذه العقيدة التى هى مدار النجاة على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجاة أحد بدونها، نبيًا كان أو غيره فموسى عليه السلام ما بينها ولا غيره من الأنبياء ببيان واضح، بحيث تُفهم هذه العقيدة صراحة، ولا يبقى فيها شك أصلا مع أن موسى عليه السلام قد بين الأحكام العملية، كالسبت والختان وغيرهما بالبيان الواضح التام، وكررها مرة بعد أُولى وكرة بعد أخرى، وأكد على محافظتها تأكيدًا بليغًا، وأوجب القتل على تاركى بعضها.

والأعجب من هذا أن المسيح عليه السلام ما بينها أيضًا إلى وقت عروجه إلى السماء ببيان واضح، مثلاً بأن يقول إن الله ثلاثة أقانيم الآب والابن وروح القدس، وأقنوم الابن تعلق بجسمى بعلاقة كذا أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم، فاعلموا أنى أنا الله لا غيرى؛ لأجل العلاقة المذكورة. أو يقول كلاما آخر مثل هذا فى إفادة المعنى صراحة لكنه عليه السلام لم يقل من ذلك شيئا وإنما تبرأ من نسبة ذلك إليه وتوجه إلى الله متضرعًا رافعًا نظره الشريف نحو السماء الذى هو قبلة الدعاء. وقال: "الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" كما صرح بهذا يوحنا فى الأصحاح السابع عشر من إنجيله.

فقد بين ﷺ فى هذا القول أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقى وأن عيسى ﷺ رسوله وما قال أن الحياة الأبدية أن تعرف الناس أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى، وأن عيسى أحد هؤلاء الثلاثة أو أنه إنسان كامل. وإله كامل فلو كان اعتقاد التثليث له دخل فى النجاة؛ لبينه ﷺ فى حال دعائه. وإذا ثبت من كلامه ﷺ أن الحياة الأبدية هى اعتقاد التوحيد لله تعالى، واعتقاد الرسالة للمسيح ﷺ فضدهما يكون موتًا أبديًا وضلالاً بينًا البتة. والتوحيد الحقيقى ضد للتثليث الحقيقى -كما عرفت- وكون المسيح رسولاً ضد لكونه ربًا وإلهًا؛ لأن التغاير بين المرسِل والمرسَل ضرورى. وهذه الحياة الأبدية توجد عند أهل الإسلام بفضل الله تعالى لأن قول المسيح ﷺ هو عين ما يعتقده المسلمون فهم أهل الحياة الأبدية بشهادة المسيح ﷺ ولو لم يكن من الأقوال النقلية الدالة على الوحدانية لله تعالى صراحة إلا هذا القول؛ لكفى فما بالك إذا كادت أن لا تحصى من كثرتها.

ومنه: ما ورد فى العدد التاسع من الأصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس نقلاً عن كلام المسيح ﷺ حين سأله بعض علماء اليهود عن أول الوصايا فأجابهم هكذا " إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ. فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ

كُلِّ النَّفسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ. فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: لَسْتَ بَعِيداً عَنْ مَلَكُوتِ اللَّه " انتهى. وفى العدد الأربعين من الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى بعد أن نقل حكم الوصيتين المذكورتين؛ هكذا: "بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء " انتهى .

فعلم من هذا: أن أول الوصايا الإلهية التى تعلقت فى جميع كتب الأنبياء هو الاعتراف بأن الله واحد ولا إله غيره. ولو كان اعتقاد التثليث له دخل مّا فى النجاة، لكان مبينًا فى التوراة وجميع كتب الأنبياء ببيان واضح كما بيِّن التوحيد. ففى العدد الخامس والثلاثين من الأصحاح الرابع من سفر الاستثناء من التوراة هكذا: "لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره. فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من تحت وليس غيره" وفى العدد الخامس من الأصحاح الخامس والأربعين من كتاب إشعياء هكذا: "أنا هو الرب وليس غيرى، وليس دونى إله شدّدتك ولم تعرفنى ليعلم الذين هم من مشرق الشمس، والذين هم من المغرب أنه ليس غيرى أنا الرب وليس آخر" انتهى.

فعلم من هذا أيضًا: أن الواجب على أهل المشرق وأهل المغرب أن يعلموا أن لا إله إلا الله وحده، وأن يعلموا أن ليس دونه ولا بعده. لا أن يعلموا أن الله ثالث ثلاثة وأن المسيح إله كامل وإنسان كامل. وفى العدد التاسع من الأصحاح السادس والأربعين من الكتاب المذكور

هكذا: "أنى أنا الله وليس غيرى إله، وليس لى شبه" وفى العدد الرابع من الأصحاح السادس من سفر الاستثناء هكذا "إن الرب إلهنا رب واحد. أحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" وهذا هو من كلام موسى المطابق لما نقله مرقس ومتى عن المسيح فى حكم الوصيتين السالفتين.

فإن قالوا: إن قول المسيح "الرب إلهنا رب واحد" لا يخرجه عن كونه ربًا وإلهًا؛ لأنه قال ذلك بحسب الناسوت والجسم، لا بحسب اللاهوت. فهو باعتبار الجسم إنسان وباعتبار اللاهوت إله. فيقال إلزامًا لهم وجلاء لأوهام قلوبهم: إن موسى عليه السلام قال ذلك أيضًا بحسب الناسوت والجسم لا بحسب اللاهوت إله. وترجيح عيسى على موسى عليه السلام ترجيح بلا مرجح. فإن قالوا كما يقول بعض جهلائهم: قد وجدنا مرجحات شتى. فإن عيسى عليه السلام قد أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص من برصه بخلاف موسى وغيره من الأنبياء. فيقال: إن هذا الاستدلال ضعيف جدًا، ولا يكون موجبا للألوهية فإن موسى عليه السلام قد قلب العصا التى هى من الجمادات حية ذات روح، وصارت تلقف ما ألقته السحرة من تخيلاتهم. فهذا العمل أبلغ من إحياء الموتى لأن قلب العصا حية أبلغ فى العقل من إعادة الشخص الميت حيا وأبلغ فى القدرة. فلو كان إحياء الموتى موجبًا للألوهية لكان موسى عليه السلام أحق بها منه؛ لأن عمله أبلغ من عمله. وكذلك حزقيال أحق بها منه؛ فإنه قد

أحيى أُلوفًا من الأموات وهى عظام بالية[1]. كما هو مُصرح بـه فـى الأصحاح السابع والثلاثين من كتاب حزقيال، وكذلك إيليـاء عليه السلام قـد أحيى ميتًا، كما هو مصرح به فى الأصحاح السابع عشر مـن سـفر الملوك الأول. واليسع عليه السلام أحيا ميتًا أيضًا كما هو مصرح بـه فـى الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثانى. وصدرت هذه المعجزة عنـه بعد موته. فإن ميتًا أُلقى فى قبره ولما مسَّ عظام اليسع؛ عاش الميـت وقام على رجليه. كما هو مصرح به فى الأصحاح الثالث عشر مـن سفر الملوك الثانى، وقد أبرأ الأبرص من برصه أيضًا كما هو مصرح به فى الأصحاح الخامس من السفر المذكور فلو كان إحيـاء المـوتى موجبًا للألوهية؛ للزم أن يكون جميع هؤلاء الأنبياء آلهة. والعياذ بـالله تعالى.

وكذلك مما يستدلون به على ألوهيته: كونه صعد إلى السماء. مع أن هذا الاستدلال أشد ضعفًا من الأول؛ لأن أخنوخ وإيليـاء عليهمـا السلام قد صعدا إلى السماء أيضًا، كما هو مصرح به فى كتب العهـد العتيق. فلو كان صعوده إلى السماء موجبًا للألوهيـة، لكـان أخنـوخ

---

[1] إحياء حزقيال: هو تمثيل لحال بنى إسرائيل فإنهم لما وقعوا فى أسـر ملـك بابـل، وصاروا تحت العبودية لملك بابل؛ كانوا كأنهم أموات -مجازا- وكذلك كان حال اليهود لما صاروا تحت الفرس واليونان والروم. كانوا أمواتا -مجازا- فلمـا جـاء الإسـلام صاروا أحياء لأن محمدا هو الذى أزال عنهم حكم الروم وقد بين هذا قوله تعـالى: ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾

وإيلياء عليهما السلام أحق بها منه لسبقهما عليه فى الصعود والوجود، بل أخنوخ جده الأكبر، فلا يسع المسيح أن يتقدم عليه فى هذه الرتبة السَّنية؛ وكذلك مما يستدلون به على أُلوهيته كونه وُلد بلا أب، مع أن هذا الاستدلال أوْهَى من بيت العنكبوت، ولا يكون موجبا للألوهية، لأنا لو نظرنا إلى نوع الإنسان فقط. فآدم عليه السلام بلا أب وأم فيفوق على المسيح عليه السلام فى كونه بلا أم، فهو أحق بالألوهية منه. وكذلك ملْكِى صَادَقَ الكاهن المعاصر لإبراهيم عليه السلام بلا أب، بلا أم، بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة كما صرح بذلك بُولس مقدس المسيحيين فى الأصحاح السابع من رسالته العبرانية. فهذا أبلغ من آدم على حكم بولس ويفوق على المسيح بكونه بلا أم وفى كونه لا بداية أيام له ولا نهاية حياة بخلاف المسيح عليه السلام كما لا يخفى؛ فهو أحق بالألوهية من المسيح وآدم عليهما السلام لأنه لا فرق بينه وبين الإله الحقيقى خالق السموات والأرضيين. نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

ومما يتمسكون به: إطلاق لفظ ابن الله على المسيح عليه السلام فيحملونه على البنوة الحقيقية، مع أن هذا اللفظ قد كثر إطلاقه على العبد الصالح فى كتبهم المقدسة على طريق المجاز بمعنى ابن المحبة، كما يقال فلان من أبناء الدنيا. ونظير ذلك: قول المسيح عليه السلام فى خطاب الحواريين: "تشبهوا بأبيكم السماوى" ومما يتمسكون به على الاتحاد والمُساواة ما نقله يوحنا فى العدد الثلاثين من الأصحاح العاشر

من إنجيله عن قول المسيح ﷺ : "أنــا والآب واحـد" فهــذا القــول يستدلون به على المُساواة والاتحاد؛ لله ﷻ تعالى الله عن ذلــك علــوًّا كبيرًا فإن هذا القول لو أفاد المساوى والاتحاد للزم ثبوتهما للحواريين أيضًا. لأن المسيح ﷺ قال فيما نقله عنه يوحنا فــى العــدد الحــادى والعشرين من الأصحاح السابع عشر من إنجيله هكذا: "كما أنك أيهــا الآب فِيَّ وأن فيك؛ ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا " فلو كان هذا الاطلاق موجبا للألوهية لكان كل من أُطلق عليه هذه اللفظ إلهًا أو ابن الله حقيقة -والعياذ بالله تعالى-

وقد جاء إطلاق لفظ الإله على المخلوقين من الناس فضلاً عــن إطلاق لفظ ابن الله فى كثير من المواضع. فمن ذلك: قول الرب فــى خطاب العوام من الناس: "أنا قلت إنكم آلهةٍ وبنو العلى كلكم" كما هــو مصرح به فى العدد السادس من الأصــحاح الثــانى والثمــانين مــن الزبور. ففى هذا القول تصريح فى جواز إطلاق لفظ الإله وابــن الله على العَوَام من الناس فضلاً عن المؤمنين. كما صــرح بــذلك فــى الأصحاح الرابع من رسالته الأولى لأهل كورنثيوس.

وكذا جاء إطلاق لفظ الرب على المخلــوق، بمعنــى المخــدوم والمعلِّم فى كثير من مواضع كتبهم المقدسة. يغنى عن نقل شــواهده؛ التفسير الواقع فى العدد الثامن والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا فى خطاب التلاميذ للمسيح ﷺ حيث فيه هكذا: "فقــالا: ربِّــى. الذى تفسيره يا معلم أين تمكث"؟ فعلم من هذا التفسير: أن اطلاق لفظ

الرب على المخلوق يكون بمعنى المعلم لا بمعنى الخالق والمعبود، كما هو مزعومهم. وقد يستدلون على ألوهية المسيح وقِدَمه بما ورد من تسميته كلمة الله ويقولون: إنه قديم غير مخلوق، كما تقولون: إن القرآن قديم غير مخلوق. مع أن هذا الاستدلال لا يتم على العاقل من الصبيان. والفرق بينهما ظاهر فإنه قد يُراد بلفظ الكلام المفعول وهو المخلوق والمصنوع بالكلام، كما يراد بلفظ القدرة. المقدور كقول القائل لما يشاهده من الآيات: هذه قدرة عظيمة. ومن هذا تسمية المسيح عليه السلام كلمة الله. فإن الله خلقه بكلمته أي بقوله كن فكان قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فقوله خلقه. أي خلق آدم من تراب. ثم قال له: كن؛ فكان بلا واسطة أب ولا أم فشبه حال عيسى عليه السلام بما هو أغرب وأعجب إفحاماً للخصم وقطعاً لموارد الشبهة، والمسيح لم يخلقه من تراب وإنما خلقه ابتداءً بقوله "كن" من غير تراب، ولا على الوجه الذي خلق عليه غيره من البشر، بل خلق بخرق العادة. فكوّنهُ بكلمة كن. ولهذا سمي كلمة الله دون غيره من المخلوقات. وهذا يقتضي أن يكون المسيح آيةً من آيات الله كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وذلك ليبيِّن عموم قدرته. فإنه سبحانه وتعالى خلق النوع البشري على سائر الوجوه الممكنة. خلق بعضه من غير ذكر ولا أنثى، وهو آدم عليه السلام وخلق بعضه من ذكر بلا أنثى وهو حواءَ، وخلق بعضه من أنثى بلا ذكر وهو

المسيح عليه السلام، وخلق بقية الخلق من الزوجين الـذكر والأنثـى. فتمت حينئذ أنواع الخلق والإيجاد.

ولا يقتضي أن يكون المسيح عليه السلام بهذه الخاصية أفضل من غيره من المرسلين، فضلاً عن أن يكون رباً إلهاً أو ابن الله حقيقة، كما هو مزعومهم. فإن آدم عليه السلام مع كونه خلقه من غير الـزوجين، ثم قال له كن فكان لم يفضل على من قال له كن فكـان، فالمـسيح إذْ خلقه بكلمته بدون واسطة رجل لا يقتضي أن يكون أفضل من موسى وإبراهيم المخلوقين في الرحم بسنة الله وعادته، فضلاً عن أن يكـون رباً وإلهاً أو ابن الله حقيقة، وإنما يدل ذلك على أن المسيح عليه السلام آية من آيات الله.

وكذلك قد يتمسكون بما ورد في المسيح من قوله تعـالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ ويقولون: إذا كان المسيح [1]روح الله؛ فلابد أن يكون في مرتبـة

---

[1] وعد الله بنى إسرائيل بمجئ نبى مثل موسى -وهو محمـد رسـول الله- والوعـد يُعرف بالكلمة. فلذلك لقب محمد بلقب "كلمة الله" وأمر إشعياء النبى أن يَكْرز بمجيئـه، وأن يعزى بنى إسرائيل فى أنه سينزع الملك منهم وسينسخ التوراة. وكان كل نبى يأتى من بعد إشعياء كان يبشر بمحمد بلقب كلمة الله. فيحيى عليه السلام كانت عليه كلمـة الله. أى التبشير برسول الله. والمسيح أيضا كان يكرز بالكلمة، وتلاميذه من بعـده. فلمـا بـشر جبريل مريم ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ كان يعنى بالكلمة الملقاة: تعريفها بالنبى الآتـى، وأن ابنها سوف يبشر به. وألهمها أن النبى المبشر به هو الملقب بالروح فى سـفر إشـعياء النبى.

أولا: النص على الكلمة: "عزوا عزوا شعبي يقول إلهكـم طيبـوا قلـب أورشـليم

الألوهية لأن روح الله لا تكون أقل من الله، مع أن هذا لا يقتضي ذلك فإن قوله: ﴿رُوحِي﴾ بلغ من قوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وقد قال في آدم عليه السلام في سورة الحِجْر وسورة ص أيضاً: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ وقال سورة السجدة في حقه أيضاً: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ فهذا آدم عليه السلام قد أطلق الله على نفسه الناطقة أنها

ونادوها بان جهادها قد كمل أن إثمها قد عفي عنه إنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلا لإلهنا كل وطاء يرتفع و كل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعا لان فم الرب تكلم صوت قائل ناد فقال بماذا أنادي كل جسد عشب و كل جماله كزهر الحقل يبس العشب ذبل الزهر لان نفخة الرب هبت عليه حقا الشعب عشب يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة الهنا فتثبت إلى الأبد"

ثانيا: النص على الروح: "هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف و فتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة و الساكنين فيها روحا أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة أنا الرب هذا اسمي و مجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها"

روحه وقد أضافها إليه فقال ﴿رُوحِي﴾ ومع هذا فهو مخلوق فقوله في المسيح وروح منه أولى أن يكون مخلوقاً. وقال تعالى في سورة مريم في جبريل عليه السلام: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ وقد قال فيه أيضاً: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ وقال فيه أيضاً: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ فهذا جبريل قد أطلق عليه الروح الأمين وروح القدس وأضافه إلى نفسه، ومع هذا فهو مخلوق فقوله في المسيح ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ لا يقتضي أن يكون في رتبة الألوهية، وهو أولى أن يكون مخلوقاً. وقد قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ ؛ وذلك كله مخلوق وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ فإذا كانت النعم التي بنا وما في السموات وما في الأرض من الله وهي مخلوقة، فما المانع أن يكون المسيح روحاً من الله وهو مخلوق؟

ووقع في العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع والثلاثين من كتاب حزقيال قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال هكذا: "فأعطي فيكم روحي فتحيون" فهؤلاء الألوف من الناس قد أطلق على أنفسهم الناطقة الإنسانية أنها روحه، ومع هذا فهم مخلوقون. ولو كان ذلك موجباً للألوهية للزم أن يكون كل هؤلاء الناس آلهة، على حكم كتاب حزقيال، وأن يكون آدم وجبريل عليهما السلام الهين والعياذ بالله تعالى فالحق: أن المراد بالروح في قوله

تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾النفس الناطقة الإنسانية والمضاف إليه محـــذوف. أي ذو روح منه. أضيف إليه تشريفاً فلا ينبغي للعاقـــل أيهـــا اللبيـــب أن يستدل بمجرد إطلاق هذه الألفاظ وأمثالها على الحوادث التي حـــدوثها وتغيرها مشاهد ومحسوس بحاسة البصر بأنه إله أو ابـــن الله حقيقـــة، وينبذ البراهين العقلية والنصوص النقلية الدالة على منـــع ذلـــك وراء ظهره فإنه قد تقرر في بدائه العقول أن الله سبحانه قديمٌ قـــديرٌ غنـــيٌ أزلي أبدي ليس كمثله شيء واجب الوجود لذاته منزه عن كل وصف لا كمال فيه، وأما عيسى عليه السلام فهو عبارة عن هذا الشخص الجـــسماني المساوي لنا في الخلقة، الذي وُجد بعد أن كان معدوماً وقتل وصـــلب على زعمهم بعد أن كان حياً وكان طفلاً ويُحدث وينام ويقوم وتعتريه الأسقام والهموم ومعلوم أن المحدَث لا يكون قديماً" والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً والعاجز لا يكون قادراً والمتغير لا يكون دائماً .

وقد ثبت من هذا الإنجيل أنه عليه السلام كان عظيم الرغبة فـــي العبادة لله تعالى فكان يجهد نفسه في الصلاة والصوم والزهـــادة فـــي الدنيا الدنية وكان يكثر من التضرع والابتهال والمناجات والسؤال؛ فلو لم يكن عبداً من عبيد الله تعالى لاستحال أن تلحقه هذه الأعراض الدالة على الحدوث والافتقار. ولو كان رباً وإلهاً فمن كان يعبد؟ ومن كـــان يتضرع إليه ويعوّل في أموره عليه؟ هل كان رب أعظم منـــه أو رب

مساوٍ له أو كان يعبد أحداً من العباد؟ ولعُمري أن اشتغاله بعبادة الله تعالى أدل دليل على كونه عبداً من العبيد الأخيار، المطيعين الأبرار.

وما ألطف ما نقله عنه متى في العدد السادس عشر من الأصحاح التاسع عشر من إنجيله حين خاطبه أحد اليهود بقوله: "أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" وهذا القول منه عليه السلام يقلع شرش التثليث من أصله. وما رضى عليه السلام تواضعًا منه أن يطلق عليه لفظ الصالح فلو كان ربًا وإلها لما كان لقوله معنى، بل كان الواجب عليه أن يبين أن لا صالح إلا أنا والآب وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة لأن ذلك مدار النجاة من العذاب الأليم الدائم فى نار الجحيم، وحيث ثبت من قوله أنه لم يرض بإطلاق لفظ الصالح عليه، فكيف يرض بأقوال أهل التثليث التى يتفوهون بها فى أوقات صلواتهم: "يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيدك..."؟

حاشا جنابه الشريف أن يرضى بذلك. ولئلا يتقولوا عليه هذه الأقاويل الفاسدة التى تقشعر من ذكرها الأبدان ويكذبها البرهان؛ قد صرح لهم فى منع ذلك وسوى بينه وبينهم عند صعوده إلى السماء أيضًا بقوله: "إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم " كما صرح بذلك يوحنا فى الأصحاح العشرين من إنجيله. ولما كان هذا بعد ما قام عيسى عليه السلام من الأموات على زعمهم قبل عروجه إلى السماء بقليل؛

ثبت أنه كان يصرح لهم أنه عبد الله إلى زمان عروجه. وهذا القــول يطابق ما حكى الله عنه فى القرآن المجيــد: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ولقد نقل متى فى الأصحاح السابع مــن إنجيلــه قوله: "ليس كل من يقول لى: يارب يارب يدخل ملكوت السموات بــل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات. كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم: يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أُصرح لهم أنى لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم"

فلله الحمد نحن الذى فعلنا إرادة الله تعالى وما أحد من أهل الدين الإسلامى الحنيف دعاه بيارب أصلاً بل ينفون ربوبيته المطلقــة مــن كونه إلهًا أو ابن الله، فنحن أحباؤه الذين عرفناه بحقه وأحللنــاه محلــه ولله در من قال:

دع ما ادّعته النصارى فى نبيهم   واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

والعجب كل العجب من المسيحيين بعد أن أفرطوا فى تعظيمه وتغالوا فى مدحه وتكريمه حتى أخرجوه عن نوع الإنسانية وأثبتوا له الربوبية أفرطوا فى حقه غاية التفريط فزعموا أن اليهود وهــم أحقــر النــاس تسلّطوا عليه فقادوه مكتوف اليديّن وقتلوه وصلبوه وجعلوا شوك القتاد لرأسه إكليلاً، إهانة له وتذليلاً.

وزعموا: أن صلبه كان كفارة لخطيئة البشر التى لحقتهم بسبب[1] أكل أبيهم آدم عليه السلام من الشجرة، وأن كافة الناس قبل صلبه كانوا فى الجحيم، حتى الأنبياء والرسل كموسى وإبراهيم.

وهو قول فاسد ورأى كاسد لا يوافقهم عليه عاقل لوجوه:

الأول: أن الكتب الإلهية متفقة على عدم مؤاخذة أحد بذنب غيره ففى العدد العشرين من الأصحاح الثامن من كتاب حِزقيال هكذا: "النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. عدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه"

وفى القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فلو فرضنا أن آدم عليه السلام أخطأ فكيف لحقت خطيئته أولاده إلى عهد المسيح عليه السلام سيما إذا أضفنا ذلك إلى الأنبياء الذين لم يفتروا لحظة عن طاعة الله تعالى وإجهاد النفس فيما فيه رضاه؟ وكيف لحقت الأطفال أيضًا الذين ماتوا قبل أن يكلفوا بشئ وتكتب عليهم الذنوب ويعذبوا فى الجحيم؟ حاشا وكلا بل الله ﷻ حكم عدل لا يجازى الأبناء بذنوب الآباء. وما قالته النصارى محض افتراء حدث من عند أنفسهم.

---

[1] فى الأصحاح العاشر من سفر الحكمة أن آدم تاب، والله قبل توبته "والحكمة هى التى حمت الإنسان الأول، أب العالم، الذى خلق وحده لما سقط فى الخطيئة، رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شئ" [حكمة ١٠: ١-٢] ويقول الله فى القرآن عن الحكمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أشار بالتذكر إلى أهل الكتاب. فإنهم قرأوا كتبهم وغفلوا عنها.

الثاني: أن آدم عليه السلام قد تاب من ذنبه والله سبحانه يقبل توبة الكافر من كفره الذى هو أعظم الذنوب فكيف لا يقبله من ذنب صغير صدر من غير تعمد؟ ومع هذا فالله سبحانه قد جازاه بإهباطه إلى الأرض دار المشقة والنصب. وهذا الجزاء كافٍ. فما الموجب لإدخاله وأولاده نار الجحيم بسبب ذنب صغير تاب منه وجوزىَ عليه؟

الثالث: إذا كان إبراهيم وموسى عليهما السلام متلبسين بهذه الخطيئة ومن أهل الجحيم إلى وقت الصلب، فكيف اصطفاهما ربهما فأخذ أحدهما خليلاً والآخر كليما؟ وقد ورد فى العدد السابع من الأصحاح الأول من الزبور هكذا: "لا تقوم الأشرار فى الدين، ولا الخطأة فى جماعة الرب" فإذا كان إبراهيم وموسى عليهما السلام من أهل الخطيئة على زعم النصارى فكيف دخلا فى جماعة الرب، فكان أحدهما كليمًا والآخر خليلاً؟

الرابع: إذا كان آدم عليه السلام خالف أمر ربه فى أكله من الشجرة فما الموجب لصلب ابنه كفارة لذنب عبد من عبيده سيما إذا لاحظنا ما جاء فى هذا الإنجيل من أن ابنه المسيح كان يتضرع إلى أبيه ويستغيث فى أن يصرف عنه هذا الكأس؟ وهل هذا –ولله المثل الأعلى– إلا كملك خالفه أحد رعيته، فعمد ذلك الملك إلى قتل ولده وفلذة كبده كفارة لذنب ذلك الخاطئ الجانى، وابنه يستغيث به فى رفع عقاب ذنب جناه غيره من رعاياه ويقول: يا أبتى مالك تعاقبنى على ذنب غيرى وقد كنت أرجو عفوك عنى لو كنت أنا المذنب؟ فهل يتصور أحد وقوع ذلك؟

وإذا وقع فهل أحد يعدّ ذلك الملك حكيما عادلا؟ حاشا وإذا كان آدم عليه السلام أخطأ مع الله فى أكله من الشجرة فما ذنب المسيح عليه السلام الذى يزعمون أنه ابن الله الوحيد وكيف يرضى أبوه بقتله وإهانته؟ ولِمَ لمْ يعذب آدم الذى جنى تلك الخطيئة أو يقبل توبته أو يعفو عنه. وهو الذى يقبل التوبة إن عباده ويعفو عن السيئات؟

الخامس: إنهم يقولون بحلول الله تعالى فى المسيح واتحاده به وعدم انفصاله عنه فإذا كان الأمر كذلك فإذا قُتل المسيح على زعمهم فقد لحق القتل ذات الله تعالى لاتحاده به وعدم انفصاله عنه وإذا قالوا إن القتل حل بناسوت المسيح فقط، قيل لهم: قد بطل الاتحاد إذًا. فإن الشيئين لا يقال لهما متحدان إلا إذا لحق كل واحد منهما ما لحق الآخر وإلا فليسا بمتحدين وحيث قالوا بالاتحاد ثم قالوا بقتل المسيح؛ لزمهم أن الله الحى الذى لا يموت قد قتل ومات، فحينئذ يقال لهم من دبر هذا الكون بعده، هل دبر نفسه؟ -وهو محال- أم بقى معطلاً بغير إله دبره وهو أشد استحالة؟ ولنعم ما قيل:

محال لا يساويه محال	وقول فى الحقيقة لا يقال
وفكر كاذب وحديث زور	بدا منهم. ومنشؤه الخيال
تعالى الله ما قالوه كفر	وذنب فى العواقب لا يقال

السادس: إنهم يزعمون أنه قام حيا بعد دفنه بثلاثة أيام وصعد إلى السماء. فيقال لهم: من أحياه إذا كان هو الإله؟ هل هو أحيا نفسه

أو إله غيره كان حيا فأحياه؟ وكلاهما محال بعيد عن العقول السليمة والأذواق المستقيمة.

السابع: أن الكتب السماوية تصرح جميعها بإثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزهه عن صفات النقصان فلو صحت مقالة النصارى من كون المسيح ربًا وإلهًا قد قتل؛ لصح أن يقال: سبحان قاتل نفسه، أو سبحان من غلبته اليهود. وشبه ذلك.

الثامن: أنه جاء فى كتبهم المقدسة أن الأشرار يكونون فدية وكفارة للصديقين الأبرار. فلقد جاء فى العدد الثامن عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من الأمثال هكذا: "الشرير فدية للصدّيق، ومكانَ المستقيمين الغادر" وفى العدد الثامن من الأصحاح الحادى عشر من السفر المذكور هكذا: "الصديق ينجو من الضيق ويأتى الشرير مكانه"

فهذا القول صريح فى أن الأشرار يكونون فدية وكفارة للصديقين الأبرار؛ فلو صحت مقالة النصارى من أن المسيح صُلب وقتل؛ فدية عن العالم لتكفير خطاياهم؛ للزم أن يكون المسيح على حكم كتبهم المقدسة شريرًا. والعياذ بالله تعالى، بل يلزم أن يكون المجوس وعبَّاد الوثن ومشركو الهند والصين أصدق وأبر منه -والعياذ بالله تعالى- ويلزم أن يكون النصارى الذين يدعونه بياربنا وإلهنا؛ أبر وأصدق منه، بل يلزم أن يكون اليهود أهل الكفر والجحود الذين صلبوه وقتلوه على زعمهم أبر وأصدق منه، لأنهم من العالم وزعموا أن صلبه كان

كفارة لخطايا جميع العالم. ففى العدد الثانى من الأصحاح الثانى من رسالة يوحنا الأولى هكذا: "يسوع المسيح البارّ هو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم" انتهى.

فإذا كان هو بار وكان كفارة عن العالم، فالعالم بأسره أبرار على حكم كتبهم المقدسة، بل هم أبر منه -والعياذ بالله تعالى-

التاسع: أن المسيح عليه السلام إذا كان قد صلب وقتل -على زعمهم- لأجل فداء البشر وتخليصهم من عذاب سقر؛ فيجب على النصارى أن يشكروا اليهود على صلبه وقتله، ويُجزوهم خير الجزاء لأنهم هم الذين كانوا سببًا للفداء. ولا ينبغى أن يجزوا بالشر يهوذا الأسخريوطى ويلعنوه أشد اللعن، حيث أسلم ربه المسيح -على زعمهم- لليهود وارتشى على ذلك بثلاثين درهمًا من الفضة؛ لأنه كان قد أعان على أمر نافع لجميع العالم.

العاشر: أنهم يزعمون[1] أن المزمور السادس من مزامير داود عليه السلام فى حق المسيح عليه السلام فى آخره هكذا: " ابعدوا عنى يا فاعلى الإثم. لأن الرب قد سمع صوت بكائى. سمع الرب تضرعى. الرب يقبل صلاتى. جميع أعدائى يخزون ويرتاعون جدًّا. يعودون ويخزون بغتة" انتهى. فهذا القول يدل على أن الله قد أخزى أعداء المسيح وأبعدهم عنه فيقتضى عدم صلبه وقتله وهو الصحيح. ومصداقه: قوله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ولقد نقل يوحنا فى العدد الثالث والثلاثين من الأصحاح السابع من إنجيله قول المسيح عليه السلام حين أرسل رؤساء اليهود خدامًا ليمسكوه للقتل هكذا " أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً يَسِيراً بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا " وقال فى العدد الحادى والعشرين من الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا أيضًا هكذا " أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي، وَتَمُوتُونَ فِي

---

[1] زعم المسيحيين باطل؛ لأن جميع النبوءات التي فى الزبور هى عن محمد ﷺ وفى المزمور السادس يتكلم عن حروبه مع أعدائه ويقول إن الله نصره عليهم. والمسيح لم يحارب ولم ينتصر. وهذا هو نص المزمور ٦: "يا رب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بغيظك ارحمني يا رب لأني ضعيف اشفني يا رب لان عظامي قد رجفت ونفسي قد ارتاعت جدا وأنت يا رب فحتى متى عد يا رب نج نفسي خلصني من اجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك في الهاوية من يحمدك تعبت في تنهدي أعوم في كل ليلة سريري بدموعي أذوب فراشي ساخت من الغم عيني شاخت من كل مضايقي ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم لان الرب قد سمع صوت بكائي سمع الرب تضرعي الرب يقبل صلاتي جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جدا يعودون و يخزون بغتة"

خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا فَقَالَ الْيَهُودُ: أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولُ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ." انتهى. وهذا القول أيضًا صريح فى عدم صلبه وقتله، ويطابق قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ولقد أعجبنى سَيْر صديقى الشيخ إبراهيم أفندى المهذى اللبنانى فى هذا المعنى حيث قال –حفظه الله– هكذا: "وبينما أنا أجول فى شوارع مصر القاهرة إذ لقينى أحد فضلاء النصارى الذى له علم فى دخولى وتشرفى فى هذا الدين القويم، وسألنى عن سبب اعتناقى لهذا الدين المبين، وباحثنى فى الاعتقادات الدينيّة وباحثته، وسألنى وسألته. ومن الجملة: سألته لأى شئ صلب الإله؟ فقال لأن آدم خالف وصيته حين ما أكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها؛ فأراد الله أن يقدم نفسه كفارة عن خطيئة آدم، فأخذ جسم إنسان من مريم البتول وقدم نفسه لليهود فصلبوه . قلت له: كان الأولى أن يقتص من آدم أو يقدم نبيًا من الأنبياء كفارة عنه. فقال: أما كونه يقتص من آدم أو يقدم نبيًا من أنبيائه كفارة عنه؛ فلا يجزئ؛ لأن ذنب آدم عند الله عظيم، وقد وقع بنوه كلهم فى الخطيئة بسببه ولا شئ يقابل هذا الذنب إلا إرسال الإله ابنه وأخذه جسم إنسان من مريم العذراء وتقديم نفسه فدية عن آدم.

فسألته هل المسيح صلب بحسب ما هو إنسان أم بحسب ما هو إله؟ فسكت قليلا وقال : بحسب ما هو إنسان. فقلت له إذًا: لا فائدة فى

الصلب لأنك تقول جميع الإنسان لا يجزى؛ لأنه وقع فى الخطيئة ولو قلت إنه صلب بحسب ما هو إله لقلت إن المصلوب كما فى الأناجيل: "نادى بصوت عالٍ إلهى إلهى لماذا تركتنى" ويلزم من هذا دفع صلبه بحسب ما هو إله ونفى الصلب عنه وهو إنسان؛ لأنه بفرض تعلق الإرادة بتمكن اليهود من صلبه وقتله؛ لصبر ولم يجزع كل هذا الجزع وهو من كبار الأنبياء والرسل فضلاً عما اعتقدتموه من أنه إله. وتلك درجة لا تجعل لآلام الموت عليه سبيلا. كيف لا وهو المحيى والمميت. ولا يصح أن تتمكن من إزهاق روحه آلة صغيرة، بِيَدِ أُناس مملوكين القوى له، وقد اعترفتم بأن آلة القطع لم تعمل فى رقبة إسحاق شيئًا وهو أصغر فى الدرجة من المسيح. وعبارة أنه قدم نفسه فدية؛ مدفوعة أيضًا بالجزع المثبوت فى حال الصلب وقبله؛ لأنه إذا قدم نفسه للموت مختارًا ذلك الأمر ليكون أحدوثة خير؛ لَمَا كان جزع كل هذا الجزع وتضجر واستغاث.

قال: ولما وجدنى الفاضل النصرانى ناهضًا بالحجة عليه وأنه لا سبيل إلى إنكار ما وقع؛ انصرف يتعثر فى ثياب الخجل قائلاً دين المسيح لا يحده العقل" انتهى.

وفى هذا القدر كفاية للعاقل من الصبيان، وقد ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " **بل الذى ينبغى للإنسان أنه متى تحقق أن هذا كتاب منزل من عند الله أن يتلقاه بالقبول والامتثال وليس له أن يؤمن بالبعض ويكفر بالبعض الآخر بأن يقول هذا موافق للعقل؛ فأصدقه، وهذا عاجز عنه العقل أو غير قابل له؛ فأرفضه ولا آخذ به؛ لأنه قد ورد فى القرآن ذم من صفته هكذا بقوله:** ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

أقول: لقد علمتَ أيها اللبيب مما قدمناه من قريب غير بعيد: أن ما يحكم العقل بامتناعه ويلزم من وجوده المحال؛ لا سبيل إلى تصديقه بأنه من جانب الله ﷻ بل يجب على كل عاقل إنكاره ورفضه وراء الظهور؛ لأن الكلام الإلهى منزه عن وقوع مثل ذلك فيه. كاجتماع الضدين مثلا وارتفاعهما؛ فإن ذلك مما يحكم العقل بامتناعه بالبداهة. ولا يصح للإنسان -أيها العاقل- أن يرجّح النقل على العقل؛ لأن العقل أصل النقل؛ فإن ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مُرسلا للرسل. وثبوت ذلك إنما كان بالدلائل العقلية فالقدح فى العقل قدح فى النقل والعقل معًا؛ فلم يبق حينئذ إلا أن نقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل والتوفيق بين النقيضين إن أمكن

التأويل، وإن لم يمكن فلا بد من إسقاطهما، وكذا لا بد أن يكون التأويل بحيث أن لا يستلزم المحال أو الكذب. والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل.

ألا ترى أنهم يؤولون الآيات الكثيرة الدالة على جسمية الله تعالى وشكله لأجل الآيتين اللتين مضمونهما مطابق للبرهان العقلى؟ وكذا يؤولون الآيات الغير محصورة الدالة على المكان لله تعالى لأجل الآيات القليلة الموافقة للبرهان العقلى؟ لكن العجب من عقلاء فرقة كاثوليك فإنهم تارة يبطلون حكم الحس والعقل معًا، ويزعمون أن الخبز والخمر اللذين حدثا بين أعيننا يتحولان فى العشاء إلى لحم المسيح ودمه حقيقةً؛ فيعبدونهما ويسجدون لهما، ثم يأكلون ذلك الخبز ويشربون ذلك الخمر، وتارة يبطلون حكم العقل والبداهة ويرفضون البرهان العقلى وراء ظهورهم ويقولون إن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى يمكن اجتماعهما فى مادة واحدة شخصية، فى زمان واحد، من جهة واحدة. وفرقة بروتستنت توافقهم على هذه العقيدة دون العقيدة الأولى، مع أن كلا من العقيدتين يحكم العقل بامتناعهما، فلو كان العمل على ظاهر النقل ضروريا ولا مدخل للعقل فيه كما يزعم هذا القسيس البروتستنتى فالإنصاف الذى يقال أن فرقة كاثوليك خير من فرقة بروتستنت لأن فرقة كاثوليك بالغت فى إطاعة ظاهر نص إنجيل متى حتى اعترفت بمعبودية ما يصادقه الحس وبداهة العقل؛ فإن كانت هذه العقيدة غلط ومحال بشهادة الحس والعقل عند فرقة بروتستنت فكذلك

عقيدة التثليث غلط ومحال بشهادة البرهان العقلى -كما علمت- ولا ينبغى لأهل ملة بروستنت أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر.

فإن هذا القسيس قد اعترف فى مقالته هذه بأنه ورد فى القرآن المجيد ذم من صفته هكذا بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا استشهاد القسيس قد انقلب عليه انقلابا عظيما، وبقيت الآية الشريفة فيمن نزلت بحقهم، ومن حذا حذوهم من أبناء صنفهم. وأما نحن معاشر المسلمين فمنزهون عن هذه الصفة الرذيلة، ولسنا ممن يؤمن بالبعض ويكفر بالبعض الآخر، بل نؤمن بكل كتاب أُنزل من عند الله ﷻ فنؤمن بما أُنزل على موسى وعيسى كما نؤمن بما أُنزل على غيرهما من النبيين قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

نسخ القرآن للتوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل "**غير أننا نرى الآن أكثر المسلمين معرضين عن مطالعة التوراة والإنجيل حتى قال علماؤهم أن مطالعتها حرام، فبعضهم يعتذر عن إهماله الكتابين المذكورين بقوله: إن القرآن ينسخ التوراة والإنجيل. فلهذا أُلغيت أحكامهما فلا اعتبار بهما لأن القرآن يغنى عنهما وبعضهم يطعن فيهما أشد الطعن ويستخف بهما ويشنع على الذين يؤمنون بما هو محرر فيهما محتجًا على ذلك بأنه قد اعتراهما التغيير والتبديل والتحريف بالزيادة والنقصان، زاعمًا أنهما مشحونان من الغلط والاختلافات، كما وضح ذلك صاحب كتاب إظهار الحق بالتطويل الممل والتفصيل المخل، متوهما أنه قد ثَبَّت صحة مدعاه بأدلة مقنعة وبراهين قاطعة**"

أقول: أما إعراض المسلمين -وقاهم الله عن مطالعة هذه التوراة وهذا الإنجيل- وقول علمائهم بحرمة مطالعتها؛ فلقد علمت ما قدمناه صدر الكتاب أن عذرهم فى ذلك ليس هو كون القرآن الكريم ناسخًا لهما، وإنما هو احتوائهما على المفاسد والتخليطات التى علمت بعضها فيما تقدم، ولأجل تلك المفاسد كانت الكنيسة الرومانية تمنع العامة عن مطالعة هذه الكتب وتقول إن الشروط النّاتجة عن قرائتها أكثر من الخير.

ولما ظهرت فرقة بروتستنت فى السنة التاسعة والعشرين بعد الألف والخمسمائة من الميلاد، وصارت تنشر تلك الكتب المرقومة فى أقطار المسكونة، وظهر ما ظهر فى ديار أوروبا من ترك الديانة النصرانية بسبب اطلاع أهلها على تلك الكتب، ووقوفهم على ما احتوت عليه من المفاسد؛ أخرجت تلك الكنيسة قانونًا مرتبًا من قبل المجمع ومثبتًا من البابا بمنع قراءة هذه الكتب باللفظ الدارج، وهذا القانون مصرح به فى الرسالة الثالثة عشرة من الكتاب المسمى بالثالث عشر المطبوع فى بيروت سنة ألف وثمانمائة وتسعة وأربعين من الميلاد ونص عبارته هكذا: "فلننظر الآن قانونًا مرتبًا من قبل المجمع التريدنيننى ومثبتًا من البابا بعد نهاية المجمع. وهذا القانون يقول: إذا كان ظاهرا من التجربة أنه إذا كان الجميع يقرؤن فى الكتب باللفظ الدارج؛ فالشرور الناتجة من ذلك أكثر من الخير؛ فلأجل هذا ليكن للأسقف أو القاضى فى بيت التفتيش سلطان حسب تميزه بمشورة القس أو معلم الاعتراف؛ ليأذن فى قراءة الكتاب باللفظ الدارج لأولئك الذين يظن أنه يستفيدون ويجب أن يكون الكتاب مستخرجًا من معلم كاثوليكى والإذن المعطى بخط اليد، وإن كان أحد بدون الإذن يتجاسر أن يقرأ أو يأخذ هذا الكتاب فلا يسمح له بحلّ خطيئته حتى يرد الكتاب إلى الحاكم" انتهى.

ولعمرى إن رأى الرومانيين فى منع الناس عن قراءة هذه الكتب وعدم شيوعها ونشرها كان سليمًا جدًّا لستر عيوبها عن أعين الناظرين

من المخالفين، وسترها عن أعين الغير متعصبين من المسيحيين. فهم في هذا الرأى أعقل وأدق من فرقة البروتستنت التى أظهرت هذه الكتب ونشرتها حتى ظهر ما ظهر فى أهل ديار أوروبا من ترك الديانة النصرانية بالكلية. وصار أهلها ملحدين بعد أن كانوا مسيحيين، وصاروا يستهزؤن على تلك الكتب استهزاء بليغًا. لا يستهزئون على شئ آخر مثلها. ويطعنون فيها أشد الطعن ويستخفون بها غاية الاستخفاف، ويشنعون على الذين يؤمنون بما هو محرر فيها حتى جاوزوا الحد فى ذلك. وما صدر عن أهل الإسلام من ذلك ليس بشئ بالنسبة إلى ما صدر عن أبناء صنفهم. والأغلاط والاختلافات التى أوردها المسلمون، عن كتبهم المقدسة؛ لا تذكر بالقياس إلى ما أورده هؤلاء الملحدون؛ فإنه قلما يخرج أصحاح أو عبارة من تلك الكتب ولم يذكروا عنه من الغلط أو الاختلافات. ومن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إلى كتبهم المنشورة فى أكناف العالم. ولو نقلتُ إليك الأغلاط والاختلافات والعبارات المضحكة التى أوردوها فى كتبهم لاحتاج ذلك إلى مجلدات كثيرة .

لكنى أنقل لك ههنا اثنا عشر اختلافًا على وفق عدد الحواريين مما أورده صاحب إظهار الحق عن الملحد جان كلارك فى كتابه عن كتب العهدين فى ذات الله وصفاته فقط، وأكتفى عليها هربًا من التطويل، ولأن المخالفين المعترضين –هداهم الله إلى سبيله القويم وصرطه المستقيم– جاوزوا حد الأدب فى الطعن والتشنيع والاستهزاء.

لكن هذه المجاوزة أقل من المجاوزة التى توجد فى كلامهم عند التشنيع والاستهزاء على الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- سيما إذا وصل كلامهم فى ذلك إلى السيدة مريم البتول وابنها السيد عيسى الطاهر المصون -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- ولا تظن أيها اللبيب أنى نقلت هذه الاختلافات لأجل أنها مستحسنة عندى. حاشا وكلا.

ولكنى لما رأيت هذا القسيس ينكر وقوع ذلك فى كتبهم المقدسة ويكابر بالمشاهدة والمحسوس؛ أحببت أن أنقل بعض ما أورده ليحصل الإلزام قبل أن أنقل ما أورده أهل الإسلام، وأتبرأ من اعتقاد استهزاآتهم بالقلب واللسان، وأستغفر الله العظيم الشان. وليس نقلها إلا كنقل كلمات الكفر. ونقل الكفر ليس بكفر. فأقول:

الاختلاف الأول: مما أورده الملحدون فى العدد الحادى عشر من الأصحاح الخامس من رسالة يعقوب هكذا: "ورأيتم عاقبة الرب كثير الرحمة والرأفة" وجاء فى العدد الثانى من الأصحاح السابع من سفر التثنية من التوراة، من النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين من الميلاد فى حق سبعة شعوب عظيمة هكذا: "يسلمهم الرب إلهك بيدك فاضربهم حتى أنك لا تبقي منهم بقية فلا توثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم فتبتلع الشعوب جميعهم الذين الرب إلهك يعطيهم إياهم فلا تعف عنهم عيناك... الخ"

قال الملحد: انظروا أيها العقلاء إلى كثرة رحمة الرب كيف أمر بني إسرائيل بقتل سبعة شعوب عظيمة وعدم الرحمة عليهم وعدم العفو عنهم. وجاء في العدد السادس عشر من الأصحاح الثالث عشر من كتاب هُوشَع هكذا: "فتهلك سامرة لأنها بغت على إلهها فيبادون بالسيف. وأطفالهم ينطرحون. والحبالى تشق قلوبهم" قال الملحد: انظروا إلى كثرة رحمة الرب على أطفال السامرة والحبالى. وجاء في العدد الثاني من الأصحاح الخامس من سفر صموئيل الأول هكذا: "هكذا يقول رب الجنود إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب و اضرب عماليق وحرّموا كل ما له، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامرأة طفلا ورضيعا بقرا وغنما جملاً وحمارا "

قال: فانظروا إلى رحمة الرب كيف أمر بالانتقام من أولاد عماليق وقتل رجالهم ونسائهم وأطفالهم الصغار جدًّا ومواشيهم من البقر والغنم والحمير أيضًا. ثم قال: "ولما لم يعمل الملك شاول على أمره الشريف ندم على جعله ملكا" كما هو مصرح به في السفر المذكور.

الاختلاف الثاني: فى العدد الأول من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين هكذا: "أنا الله القادر" وفى العدد التاسع عشر من الأصحاح الأول من كتاب القضاة هكذا: "وكان الرب مع يهوذا ووردت

الجبال ولم يستأصل أهل الوادى لأنه كانت له مراكب كثيرة من حديد" قال: انظروا إلى قدرته إنه لم يقدر على استئصال أهل الوادى لكونهم ذوى مراكب كثيرة من حديد.

الاختلاف الثالث: فى العدد الثانى من الأصحاح المائة والتاسع والثلاثين من الزبور هكذا: "وميزت شعبى وسكونى واطلعت على طرقى كلها" وفى العدد العشرين من الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين هكذا: "وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا؛ أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الاتي إليّ وإلا فأعلم" انتهى.

قال: فانظروا أيها العقلاء إلى كونه عالم طرق العباد وأفعالهم كلها؛ أنه محتاج إلى النزول والنظر ليعلم أن فعل أهل سادوم وعامورة يشاكل الصراخ الواصل إليه أم لا.

الاختلاف الرابع: فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح التاسع من كتاب إرمياء هكذا: "أنا الرب الصانع الرحمة والقضاء والعدل فى الأرض لأنى بهذه أُسَرّ" انتهى.

قال الملحد: لقد عرفت حال ارتضائه بالرحمة؛ فاعرف حال عدله الذى جاء فى العدد الثالث من الأصحاح الحادى والعشرين من كتاب حزقيال وكلامه فيه هكذا: "قال الرب: هاأنذا عليك، واستل سيفي

من غمده فأقطع منك الصديق والشرير من حيث أنـــي أقطــع منــك الصديق والشرير؛ فلذلك يخرج سيفي من غمده على كل بــشر مــن الجنوب إلى الشمال" انتهى.

قال: فلو سلّم أن قتل المنافق عند علماء بروتستنت عدل؛ فكيف يكون قتل الصديق البار عدلا عندهم؟ وجاء فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث عشر من كتاب إرمياء هكذا: "قال الرب. هاأنذا أملأ كل سكان هذه الأرض والملوك الجالسين لداود على كرسيه والكهنــة والأنبياء وكل سكان أورشليم سكرا. وأحطمهم الواحد على أخيه. الآباء والأبناء معا. يقول الرب.لا أشفق ولا أترأف ولا أرحم من إهلاكهــم" انتهى.

قال انظروا: إلى عدله كيف ملأ الأنبياء والكهنة وجميع ســكان الأرض سكرًا حتى قتلهم أجمعين؟ وجاء فى العدد التاسع والعــشرين من الأصحاح الثانى عشر من سفر الخروج هكذا: "ولما انتصف الليل قتل الرب كل أبكار أهل مصر من بكر فرعون الجالس على كرســيه، حتى إلى بكر الأسير الذى فىالسجن وكل أبكار البهائم" انتهى. قــال: انظروا إلى عدله كيف قتل جميع أبكار أهل مصر وأبكار البهائم، ولا بد أن ألوفا من أبكار أهل مصر كانوا أطفالاً معصومين من الــذنوب، وكان أبكار البهائم أيضًا غير مذنبين فتأمل.

الاختلاف الخامس: فى العدد الرابع من الأصحاح الثانى من رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموتاوس هكذا: "الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون " انتهى. قال: وهذا مخالف لما جاء فى العدد الحادى عشر من الأصحاح الثانى من رسالة بولس الثانية لأهل تسالونيقى وكلامه فيه هكذا: "ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكى يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم " انتهى.

الاختلاف السادس: وفى العدد الثانى عشر من الأصحاح الخامس من كتاب هوشع فى قول الرب هكذا: "وأنا مثل السوس لأفرام ومثل الدودة لبيت يهوذا " انتهى وجاء فى العدد السابع من الأصحاح الثالث عشر من الكتاب المذكور فى قول الرب أيضًا هكذا: "فأكون لهم كأسد مثل نمر فى طريق الأموريين ألاقيهم كدابة سرقت أجراؤها" انتهى. قال الملحد: فتارة يكون الرب مثل السوس والدودة وتارة مثل الأسد والنمر وتارة مثل الدابة التى سرقت أولادها.

الاختلاف السابع: وفى العدد الخامس عشر من الأصحاح الرابع والثلاثين من الزبور هكذا: "عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم. وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم. اولئك صرخوا، والرب سمع، و من كل شدائدهم أنقذهم. قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح" انتهى. وجاء

فى العدد الأول من الأصحاح الثانى والعشرين من الكتاب المذكور هكذا: "إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ إنى فى النهار أدعو فلا تستجب، وفى الليل ولا سكوت لى" انتهى.

وجاء فى العدد السادس والأربعين من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى هكذا: "وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِيلِي ،إِيلِي ،لَمَا شَبَقْتَنِي ؟ أَيْ: إِلَهِي ،إِلَهِي ،لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ " انتهى.

قال الملحد: أما كان داود والمسيح من الأبرار ومنكسرى القلوب ومتواضعى الروح؛ فلم تركهما الرب ولم يستجب لهما ولم يسمع صراخهما؟

الاختلاف الثامن: فى العدد السابع والثلاثين من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام فى خطاب اليهود هكذا: "والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته" انتهى.

قال: وهذا مخالف لما جاء فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الخامس من سفر الإستثناء وهو هكذا: " قد أرانا الرب إلهنا مجده وعظمته، وسمعنا صوته من وسط النار" انتهى.

قلت: وهذا صريح فى كونهم سمعوا صوت الرب من وسط النار.

الاختلاف التاسع: فى العدد الثالث من الأصحاج الخامس عشر من سفر الأمثال هكذا: "عينا الرب فى كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين" انتهى. وجاء فى العدد التاسع من الأصحاح الثالث من سفر التكوين هكذا " فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت"

قال الملحد: فانظروا إلى ترقب عينه فى كل مكان أنه محتاج إلى الاستفهام من آدم حين اختفى فى وسط شجرة الفردوس.

الاختلاف العاشر: فى العدد السادس من الأصحاح الثالث من كتاب مَلاخِيا هكذا: "فإنى أنا الرب ولا أتغير" وجاء فى العدد العشرين من الأصحاح الثانى والعشرين من سفر العدد من التوراة هكذا: " فأتى الله إلى بلْعام ليلا وقال له: إن أتى الرجال ليدعوك فقم اذهب معهم إنما تعمل الأمر الذي أكلمك به فقط فقام بلعام صباحا و شد على أتانه و انطلق مع رؤساء موآب. فحمي غضب الله لأنه منطلق...إلخ"

قال الملحد: فانظروا إلى عدم تغيره أنه أتى فى الليل وأمر بلعام بالانطلاق مع عظماء موآب ولما فعل بلعام ما أُمر به؛ غضب الله عليه.

الاختلاف الحادى عشر: فى العدد التاسع عشر من الأصحاح الثالث عشر من سفر العدد من التوراة هكذا: "ليس الله برجل فيكذب

ولا ابن الإنسان فيندم" وجاء فى العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين هكذا: "فحزن الرب انه عمل الإنسان في الأرض. وتأسَّف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء؛ لأني حزنت أني عملتهم" انتهى ومثل هذا جاء فى العدد العاشر من الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل " وكان قول الرب على صموئيل: قائلاً ندمت على أن صيرت شاول ملكًا" ثم قال فى العدد الخامس والثلاثين من هذا الأصحاح هكذا :" الرب أسف على أنه ملك شاول " انتهى. فانظر وتأمل.

الاختلاف الثانى عشر : فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الثانى عشر من سفر الأمثال هكذا: "من الشفة الكاذبة نفرة للرب، أما العاملون بالصدق؛ فرضاه" انتهى. وجاء فى العدد الثانى من الأصحاح الحادى عشر من سفر الخروج من التوراة قول الله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام هكذا: "فتحدثْ فى مسمع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبها أوانى فضة وأوانى ذهب" وفى العدد الخامس والثلاثين من الأصحاح الثانى عشر من السفر المذكور هكذا: "وفعل بنو إسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أوانى فضة وذهب وشيئا كثيرًا من الكسوة " انتهى.

قال الملحد: انظر إلى نفرة الرب من الكذب، وكيف أنــه أمــر موسى وهارون أن يكذبا عند فرعون فكذبا، وكذلك كذب كــل رجــل وكل أمرأة من بنى إسرائيل وأمرهم بالخداع، وأن يأخذ كلٌ مال جاره بالخديعة والتصرف به، ومع أنه قد أمره فى مواضــع متعــددة مــن التوراة بأداء حق الجار قال: أيكون حق الجار كما أمر وقت خروجهم من مصر؟ أم يليق بالله أن يعلمهم الغدر والخيانة؟ قلت كلا والله. ومثل هذا قد جاء فى الأصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الأول وهو هكذا: "فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شــاول، وأنــا قــد رفضته عن أن يملك على إسرائيل. املأ قرنك دهنا و تعال أرسلك إلى يَسَّى البيتلحمي لأني قد رأيتُ لي في بنيه مَلِك. فقال صموئيل: كيــف أذهب. إن سمع شاول يقتلني. فقال الرب: خذ بيدك عجلة من البقر و قل قد جئت لأذبح للرب، و ادع يَسَّى إلى الذبيحة، وأنا أعلمــك مــاذا تصنع، وامسح لي الذي أقول لك عنه. ففعل صموئيل كما تكلم الــرب وجاء إلى بيت لحم " انتهى ملخصًا.

قال الملحد: انظر كيف أمر الله صموئيل أن يكذب؛ لأنــه كــان أرسله لمسح داود وجعله ملكًا وسلطانًا لا للذبح. قلت: ولقد جاء مثــل هذا بل أعجب وأغرب فى العدد التاسع عشر من الأصــحاح الثــانى والعشرين من سفر الملوك الأول فى قول النبى مِيخا خطابًــا للملــك أَخْآب. وكلامه فيه هكذا: "وقال –يعنى ميخا–: فاسمع إذًا كلام الرب: قد رأيتُ الرب جالسا على كرسيه و كل جند السماء وقوف لديه عــن

يمينه و عن يساره. فقال الرب من يغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه. وقال له الرب: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال: إنك تغويه و تقتدر؛ فاخرج وافعل هكذا. والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء، و الرب تكلم عليك بشر" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى نفرة الرب من الكذب ليغوى الملك أخْآب وجميع أنبيائه وكانوا وقتئذٍ نحو أربعمائة نبى، كما يدل عليه ذلك الكتاب المذكور قال الشيخ رحمة الله عليه: "وهذا الرواية صريحة فى أن الله تعالى يجلس على كرسيه وينعقد عنده محفل المشاورة للإغواء والخداع، كما ينعقد محفل بارطنت فى لندن؛ لأجل بعض أمور السلطنة، فيحضر جميع أجناد السماء. فبعد المشاورة التامة يرسل روح الكذب والضلال؛ فيقع فى الأفواه من الأنبياء وغيرهم ويضل الناس" فانظر أيها اللبيب إذا كان الله وأجناد السماء يريدون إغواء الإنسان؛ فكيف ينجو الإنسان الضعيف من هؤلاء الأقوياء؟ وههنا عجب آخر: وهو أن الله إذا شاور جميع أجناد السماء وأرسل روح الضلالة والكذب منهم بعد المشاورة التامة ليخدع أخآب، فكيف ساغ لمِيخَا الرسول أن يظهر محفل الشورى ونبه أخآب عليه؟ انتهى.

ولما وصلتُ في النقل إلى الاثنى عشر اختلافا التى أوردتُ نقلها عن كتب الملحدين؛ اكتفيتُ عليها خوفًا من التطويل، وإن أردتَ أكثر من ذلك فارجع إلى كتبهم، وانظر إلى أين وصلت نوبتهم في الاستهزاء والطعن. والتشنيعُ ليس بشئ بالنسبة إلى ما صدر عن هؤلاء الملحدين. وما ذكره أهل الإسلام من العبارات المضحكة والأغلاط والاختلافات الواقعة في كتب العهدين؛ لا تُذكر بالقياس إلى ما ذكره هؤلاء الملحدون، الذين كانوا فى الأصل مسيحيين ثم أعرضوا عن ذلك الدين وتركوه بالكلية لما وجدوا هاتيك الأصول عبارة عن أمور لا توزن بمعيار العقول.

وكثيرًا ما صرح بعضهم بأنه لو اختار أن يدين بدين مّا. قبل الإسلام. دينًا لما اشتمل عليه من الأسرار والحكم التى يشهد بها الذوق السليم والعقل المستقيم وقد أسلم كثير من عقلائهم قديمًا وحديثًا وفى كل يوم تأتينا أنباؤهم فتنشرح صدورنا. على أن الشرع المحمدى والدين الأحمدى مستغن عن شاهد سواه؛ فإن ما فيه من المحاسن والأسرار الظاهرة شاهد عدل بكونه من الله وقد رأينا من تخرَّج من أبناء الطائفتين اليهودية والنصرانية أنه لم يستغن عن حفظ القرآن المجيد والأحاديث الشريفة ومعرفة أقوال أهل الإسلام؛ فهم لا يكتبون إلا على نحو كتابة المسلمين، ولا يستشهدون إلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى كانت سببًا فى تحسين كلامهم وجعله مقبولاً لدى أهل العقول السليمة والأذواق المستقيمة. وها هى كتبهم ومقالاتهم شاهدة

وناطقة بذلك، أما بلغاء المسلمين -حفظهم الله- فليسوا بمحتاجين إلى الاستعانة بشئ من الخارج؛ لتكفّل القرآن الكريم بكل ما في أنفسهم وزيادة.

ومع ذلك فلم تكن هذه الدواعي الكلية داعية لعدم اقتناء المسلمين تلك الكتب المقدسة عندهم. فإن الفقير[1] واحد منهم، وخزانة كتبي ممتلئة من كتب اليهود والنصارى. سواء كانت سماوية الأصل أو غيرها، حتى أناشيدهم في صلاتهم، وذلك لأكون على علم من أمرهم. ولقد طالعتها كثيرًا بإمعان وتدقيق وتتبعتها في مطالعتي حرفًا بحرف؛ فوجدت ما ذكره صاحب إظهار الحق من الأغلاط والاختلافات قليلاً بالنسبة إلى ما يوجد فيها من ذلك؛ فإنه قلما يخرج أصحاح أو عبارة من تلك الكتب المقدسة ويكون خاليا من الغلط والاختلاف. فلقد اكتفى رحمه الله على نقل اليسير هربًا من التطويل الممل والتفصيل المخل، وقد بين رحمه الله تعالى أوجه أغلاطها واختلافاتها بعبارات رائقة وبراهين قاطعة تشفي العليل وتروي الغليل؛ فإنه -حفظه الله- لم يذكر من ذلك شيئًا إلا بعد أن تروى فيه وملكه بجميع نواصيه وقواصيه. فلله دره من مؤلف حَبْر قد كتب فأجاد، ونطق فأصاب. وأثبت صحة ما ادعاه بأدلة مقنعة وبراهين قاطعة مع غاية الاختصار ونهاية الاقتصار ولو تتبع أغلاطها واختلافاتها وعباراتها المضحكة؛ لطال

---

[1] المراد بالفقير: مؤلف هذا الكتاب.

الأمر فى ذلك واحتاج إلى مجلدات كثيرة. وسأتلو عليك شيئًا من ذلك فى محله إن شاء الله تعالى وأُبين لك أوجه أغلاطها واختلافاتها بالبيان الكافى والتفصيل الشافى حتى تعلم أن ما سلكه هذا القسيس صاحب البرهان ساقط عن الاعتبار، لا يلتفت إليه.

نَسخُ الشرائع

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: **"فأما الدعوى بأن القرآن قد نسخ التوراة والإنجيل؛ فمحض دعوى من غير دليل؛ لأنه ليس فيه تصريح ولا تلويح إلى ذلك البتة، بل اختراع حدث من أنفسهم"**

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن كلام القسيس ههنا غلط وفى غير محله، ومنشأه قلة علمه أو سوء فهمه؛ فإنه لا يوجد فى المسلمين من يقول بأن القرآن قد نسخ جميع التوراة والإنجيل[1]، بمعنى أن جميع ما احتويا عليه منسوخا، وإنما نقول إنه نسخ بعض أحكامهما. فإن النسخ عندنا معاشر المسلمين لا يطرأ على

---

[1] المؤلف –رحمه الله– يعتقد أن الإنجيل نسخ التوراة. وهذا اعتقاد باطل. فإن الذى نسخ التوراة هو القرآن الكريم. أما الأنجيل فإنه بشرى بمجئ محمد ﷺ وفيه يحيل المسيح أتباعه إلى التوراة ليأخذوا منها الأحكام الفقهية. ويدل على ذلك: " لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا،يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ،فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ."

ومعنى لأكمل: أنه يبشر بالنبى الذى سيأتى لتكميل التوراة. وذلك لأن من أحكام التوراة الفقهية أنه إذا جاء نبى مثل موسى فإنه يجب عليهم أن يتبعوه. فإلى أن يجئ كان عملهم بالتوراة ناقصا وإذا جاء وآمنوا به يكون عملهم بالتوراة كاملا. ولذلك جاء فى القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

القصص والأخبار والمواعيد، ولا على الأمور القطعية مثل أن صانع العالم موجود، ولا على الأحكام التى تكون واجبة لذاتها مثل آمنوا ولا تشركوا، ولا على الأمور المؤبدة مثل ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين مثل ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فكل هذه الأحكام لا يطرأ عليها النسخ عندنا معاشر المسلمين، وإنما يطرأ على الأحكام التى تكون عملية صالحة للوجود والعدم غير مؤبدة ولا مؤقتة ولا واجبة لذاتها، وتسمى الأحكام المطلقة فلا تكون قصة من القصص المندرجة فى العهد العتيق والجديد؛ منسوخة.

نعم نعترف بأن بعضها كاذب. مثل أن لوطًا عليه السلام زنا بابنتيه وحملتا منه بالزنا وولدت الكبرى ابنا ودعت اسمه موآب، وولدت الصغرى ابنا ودعت اسمه عمّون. ومثل: أن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنا بكَنَّتِه ثامار وحملت منه بالزنا، وولدت توأمين أحدهما سمى فارَص والثانى زارَح. وإن داود وسليمان وعيسى -عليهم السلام- كلهم من أولاد فارص المذكور، كما هو مصرح به فى الأصحاح الأول من إنجيل متى، ومثل أن داود زنا بإمرأة الغير وقتله بالمكر والخداع ثم أخذها زوجة له. ومثل أن سليمان عليه السلام ارتد -والعياذ بالله تعالى- وعبد الأصنام، وبنى لها المعابد.

وكذا لا نعترف أن المسيح عليه السلام وأهين وصلب على خشبة، ثم صار ملعونا كما صرح بذلك بُولُس فى الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، وكلامه فيها هكذا: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس.

إذْ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب ملعون كل من عُلِّق على خشبة" كذا لا نعترف أن هارون عليه السلام صنع العِجل وعبده وأمر بني إسرائيل بعبادته.

وأن أبشالوم ابن سيدنا داود عليه السلام زنا بجميع سرارى أبيه بأمر الرب وحُكْمه. وأن أخاه أمنون زنا بأخته ثامار وفضّ بكارتها، وسمع أبوهما بذلك وأن روأُبَيْن ابن سيدنا يعقوب عليه السلام زنا بزوجة أبيه وسمع أبوه بذلك ولم يُجر الحدّ والقصاص عليهما. فكل هذه القصص وأمثالها نعترف ونقر بأنها كاذبة باطلة يقينًا، ولا نقول إنها منسوخة، وكذا الأدعية لا نقول أنها منسوخة، فلا يكون الزبور الذى هو أدعية وتسابيح منسوخا بالمعنى المصطلح عليه عندنا. وإنما منعنا عن استعماله وتلاوته وتلاوة الكتب الأخرى من كتب التوراة والإنجيل؛ لكونها مشكوكة عندنا بسبب عدم أسانيدها واشتمالها على العبارات المضحكة الباطلة، وثبوت وقوع التحريف فيها بأقسامه الثلاثة. أعني تبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها. كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى.

قال صاحب إظهار الحق رحمه الله: "ويجوز النسخ عندنا في غير المذكورات، يعنى من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ، فنعترف بأن بعض أحكام التوراة والإنجيل من الأحكام التى هى من جنس الصالحة للنسخ؛ منسوخة فى الشريعة المحمدية. قلت: يدل عليه قوله تعالى فى سورة الأعراف :﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ

عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ فهذه الآية الشريفة صريحة فى نسخ بعض الأحكام الشاقة التى كانت على بنى إسرائيل من أهل التوراة والإنجيل، مثل تحتم القصاص فى القتل سواء كان عمدًا أو خطأ من غير شرع الدية[1]. ومثل إحراق الغنائم[2]، وتحريم العمل فى السبت، وما أشبه ذلك من المحرمات.

---

[1] قول المؤلف إن الدية ليست فى شريعة التوراة خطأ. وذلك لأن فيها الدية. ففى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج: "وإذا تخاصم رجال و صدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم كما يضع عليه زوج المراة ويدفع عن يد القضاة وإن حصلت أذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي و جرحا بجرح ورضا برض وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حرا عوضا عن عينه وإن اسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حرا عوضا عن سنه وإذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه وأما صاحب الثور فيكون بريئا ولكن إن كان ثورا نطاحا من قبل و قد اشهد على صاحبه و لم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضا يقتل إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه أو إذا نطح ابنا أو نطح ابنة فبحسب هذا الحكم يفعل به إن نطح الثور عبدا أو امة يعطي سيده ثلاثين شاقل فضة والثور يرجم وإذا فتح إنسان بئرا أو حفر إنسان بئرا ولم يغطه فوقع فيها ثور أو حمار فصاحب البئر يعوض ويرد فضة لصاحبه والميت يكون له وإذا نطح ثور إنسان ثور صاحبه فمات يبيعان الثور الحي ويقتسمان ثمنه والميت أيضا يقتسمانه لكن إذا علم انه ثور نطاح من قبل ولم يضبطه صاحبه يعوض عن الثور بثور والميت يكون له"

أما فى القرآن ففيه الدية فى قتل الخطأ فقط وليس فيه الدية فى القتل العمد لقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ولقوله: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ

ولا نقول: إن كل حكم من أحكامها منسوخ. كيف وأن بعض أحكام التوراة لم تنسخ عندنا يقيناً مثل حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنا واللواطة والسرقة وشهادة الزور والخيانة في مال الجار وعرضه ووجوب إكرام الضيف والختان ووجوب إكرام الأبوين وحرمة نكاح نساء الآباء والأبناء والأمهات والبنات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والجمع بين الأختين وإباحة تعدد الزوجات والطلاق والاسترقاق، وغيرها من الأحكام الكثيرة لم تنسخ فى الشريعة المحمدية، بل هى باقية على أوكد وجه، وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تنسخ عندنا يقيناً. مثلا: جاء فى العدد التاسع والعشرين من الأصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس هكذا: "فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ" انتهى.

فهذان الحكمان باقيان فى شريعتنا، على أوكد وجه وليسا بمنسوخين.

ومعنى النسخ عندنا معاشر المسلمين: بيان مدة انتهاء الحكم العملى الجامع للشروط المذكورة كالقتال مثلاً فى الأشهر الحرم؛ فإن الله حرمه مثلاً ثم نسخه. أى أبان أن حكم تحريم القتال فيها قد انتهت

مَنصُورًا﴾

(٢) الغنائم نحل فى شريعة التوراة وشريعة القرآن. ذلك قوله: " وتأكل غنيمة أعدائك"[تث ٢٠: ١٤] وفى القرآن الكريم: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ...﴾

مدته، وابتدأ حكم إباحته، وليس معناه: أن الله ﷻ أمر ونهى أوّلا بشئ وما كان يعلم عاقبته ثم بدا له رأى؛ فنسخ ذلك الحكم الأول كما يقول ذلك الطاعنون حتى يلزم عليه الجهل -تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا- وإنما معناه: أن الله سبحانه يعلم أن الحكم يكون باقيًا على المكلفين إلى الوقت الفلانى، وحين يأتى ذلك الوقت المعين عنده يرسل حكما آخر. فهذا فى الحقيقة: هو بيان مدة انتهاء الحكم الأول. فعند ورود الثانى يتخيل لنا لقصور علمنا وإفهامنا أنه تغيير وتبديل. ونظير ذلك بلا تشبيه ولا مثال: أن تأمر خادمك لخدمة من الخدمات، ويكون فى نيتك أن يكون على هذه الخدمة إلى مدة سنة مثلا، وبعد السنة يكون على خدمة أخرى. فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذى ما أطلعته على نيتك تغيير وتبديل وأما عندك فليس بتغيير فى الحقيقة ولا محذور. ولا استحالة فى هذا المعنى لا بالنسبة إلى ذات الله تعالى ولا إلى صفاته؛ لأن الحكم يكون فيه المصلحة فى زمان دون زمان آخر ويوافق المكلفين فى زمان ثم يأتى زمان آخر، يوافقهم فيه غيره فيُنسخ فيكون كل حكم حسنا. فى وقته ألا ترى أيها العاقل اللبيب أن الطبيب الحاذق يبدل الأدوية والأغذية بملاحظة حالات المريض على حسب المصلحة التى يراها فيه، ولا يحمل أحد فعله على العبث، والله جل شأنه قد علم فى الأزل أحوال عباده فأنزل عليهم فى كل زمان ما يوافق الحكمة والمصلحة. تفضلاً منه ورحمة لعباده.

ولو صح اعتراض المعترضين من النصارى واليهود؛ لرجع عليهم. حيث يرون تبدل أحوال الناس من الفقر والغنى والمرض والصحة والحياة والموت وغير ذلك. وكذا يرون تبدل أحوال الزمان من الربيع والصيف والخريف والشتاء والنهار والليل وغير ذلك، وكلها من فعله -سبحانه وتعالى- فكما أن الحكمة تقتضى تبدل أحوال الناس والأزمنة؛ فكذلك تقتضى التبدل بحسب المصلحة والحكمة، وبعض الأحكام تقتضى الحكمة والمصلحة دوامها وبقاؤها.

ولم يجز نسخ بعض الأحكام مثل حرمة الزنا والقتل بغير الحق واللواطة والسرقة وشهادة الزور، وما أشبه ذلك؛ فإن هذه الأحكام وأمثالها لا يجوز أن يلحقها النسخ أصلا لعدم تبدل المصلحة فى تحريمها بتبدل الأشخاص والأزمنة.

والنسخ ليس بمختص بشريعتنا بل وجد فى الشرائع السابقة أيضًا بالكثرة بكلا قسميه. أعنى النسخ الذي يكون فى شريعة نبى لاحق لحكم آخر من شريعة نبى سابق، والنسخ الذى يكون فى شريعة نبى لاحق لحكم آخر من شريعة هذا النبى بعينه. وأمثلة القسمين فى كتب العهدين كثيرة جدًا.

ولنذكر لك أيها اللبيب بعض الأحكام المنسوخة فى الشرائع السابقة من التوراة والإنجيل على سبيل الاختصار؛ ليظهر الحال فأقول: من المعلوم البين أن تزوج الإخوة بالأخوات كان جائزًا فى شريعة آدم عليه السلام فكان الأخ يتزوج بأخته التى لم تولد معه فى بطن

واحد، ولولا ذلك لم يتيسر تناسل الناس أصلا، إذ أولاد آدم الذكور أخوة لأولاده الإناث، وقد نسخ هذا الحكم بعد أن كثرت أولاد آدم ﷺ في الشرائع التي بعد شريعته، كما لا يخفى. وكذلك سارة زوجة إبراهيم ﷺ كانت أختًا له من أبيه، كما يُفهم ذلك من قوله في حقها المندرج في العدد الثاني عشر من الأصحاح العشرين من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية، وكلامه في حقها هكذا: "إنها كانت أختي بالحقيقة، ابنة أبي وليست ابنة أمي. وقد تزوجت بها" انتهى. وقد نسخ هذا الحكم في شريعة موسى ﷺ وحرمت في شريعته مطلقًا سواء كانت الأخت من الأب أو من الأم، والفاعل لهذا الحكم واجب القتل وملعون، كما يُفهم ذلك من العدد السابع عشر من الأصحاح العشرين من سفر الأحبار ونصه هكذا: "أي رجل تزوج أخته بنت أبيه أو أخته بنت أمه ورأى عورتها ورأت عورته؛ فهذا عار شديد؛ فيقتلان أمام شعبهما. وذلك لأنه كشف عورة أخته؛ فيكون إثمهما في رأسهما" انتهى. وفي العدد الثاني والعشرين من الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية هكذا: "يكون ملعونا من يضاجع أخته من أبيه أو من أمه " انتهى. وجاء في العدد التاسع من الأصحاح الثاني عشر من سفر الأحبار هكذا: "لا تكشف عورة أختك من أبيك كانت أو من أمك التي وُلدت في البيت أو خارجا من البيت" انتهى. وفي تفسير دوالي ورجرد منيت في ذيل شرح هذا العدد هكذا: "مثل هذا النكاح مساوٍ للزنا" انتهى. فلو لم يكن هذا النكاح جائزًا في شريعة آدم

وشريعة إبراهيم عليهما السلام للزم أن يكون الناس كلهم أبناء حـــرام، ويلزم أيضًا أن يكون الناكحون زانين وواجبى القتل وملعونين –والعياذ بالله تعالى– وكيف يظن هذا فى حق الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– فلا بد من الاعتراف بأنه كان جائزًا فى شريعتيهما ثم نسخ.

وجاء فى العدد الثالث من الأصحاح التاسع من سفر التكوين فى خطاب نوح وأولاده هكذا: "كل دابة حية تكون لكم طعامـــا كالعـــشب الأخضر دفعت إليكم، غير أن لحما بدمه لا تأكلوه" انتهى. فهذا القـــول صريح فى أن جميع الحيوانات كانت حلالا فـــى شـــريعة نـــوح ﷺ كالبقولات إلا لحما واحدًا فقد حرمه الله فى شريعته. وهو اللحم الـــذى فيه دمه. وقد نسخ هذا الحكم فى الشريعة الموسوية حيث حرم الله فيها كثيرًا من الحيوانات. منها الخنزير والجمل والأرنب والوَبَر وغير ذلك من الحيوانات الكثيرة. والطيور والأسماك. كما هو مصرح بـــه فـــى الأصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين.

وجاء فى الأصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين: أن سيدنا يعقوب ﷺ جمع بين الأختين لَيَا وراحيل، مع أن هذا الحكم حرام فى الشريعة الموسوية. ففى العدد الثامن عشر من الأصحاح الثامن عـــشر من سفر اللاويين هكذا: "ولا تأخذ امرأة على أختها للـــضر لتكـــشف عورتها معها فى حياتهما" انتهى. فلو لم يكن الجمع بين الأختين جائزا فى شريعة يعقوب ﷺ للزم أن يكون أولادهما أولاد زنا. والعياذ بالله تعالى. مع أن أكثر أنبياء بنى إسرئيل من أولادهمـــا. فـــلا بـــد مـــن

الاعتراف والإقرار بأن هذا الحكم كان جائزًا فى شريعة يعقوب عليه السلام ثم نسخ.

وجاء فى العدد العشرين من الأصحاح السادس من سفر الخروج أن عمران أبو موسى عليه السلام تزوج عمته يوكابد وولدت منه موسى وهارون -عليهما السلام- وهذا النكاح حرام فى الشريعة الموسوية كما يفهم ذلك من العدد الثانى عشر من الأصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين ونصه هكذا: "لا تكشف عورة عمتك لأنها قرابة أبيك" انتهى. فلو لم يكن هذا النكاح جائزًا قبل شريعة موسى -عليه السلام- للزم أن يكون موسى وهارون وأختهما مريم من أبناء الزنا -والعياذ بالله تعالى- ويلزم عليه أيضًا أن لا يدخلوا فى جماعة الرب إلى عشرة أحقاب. كما هو مصرح به فى العدد الثالث من الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية. ولو كانوا هؤلاء قابلين للإخراج من جماعة الرب؛ فمن يكون صالحا للدخول فيها؟ فلا بد من الاعتراف بأن ذلك النكاح كان جائزًا فيما قبل شريعة موسى، ثم نُسخ فيها.

وهذه الأحكام تلزم اليهود والسامرة والنصارى جميعاً.

وهاك ما يختص بإلزام النصارى فقط:

فلقد جاء في شريعة موسى عليه السلام أنه يجوز للرجل أن يطلق امرأته لكل علّة، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة بعد ما خرجت من بيت الأول، كما هو مصرح به في الأصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية. وهذا الطلاق لا يجوز بالشريعة المسيحية

إلا بعلة الزنا، كما هو مصرح به في الأصحاح الخامس والتاسع عشر من إنجيل متى وعبارته هكذا: "إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى؛ يزني. والذي يتزوج بمطلقة؛ يزني" انتهى.

ولما اعترض الفَرِّيسون على المسيح بهذه المسألة قال في جوابهم هكذا: "إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا" انتهى. فعلم من جوابه هذا ثُبوت النسخ في هذا الحكم مرتين. مرة في الشريعة الموسوية، ومرة في الشريعة المسيحية، وأنه قد ينزل الحكم تارة موافقاً لحال المكلفين، وإن لم يكن حسناً في نفس الأمر.

وقد علمتَ فيما تقدم أنه جاء في الشريعة الموسوية تحريم الحيوانات الكثيرة على بني إسرائيل، وقد نُسخت حرمتها في الشريعة المسيحية، وثبتت الإباحة العامة بفتوى بُولُس. فلقد جاء في العدد الرابع عشر من الأصحاح الرابع عشر من رسالته إلى رومية هكذا: "إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن لا شيء نجس بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً؛ فله هو نجس" انتهى؛ وجاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح الأول من تيطس هكذا: "كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيءٌ طاهر بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم" انتهى. فهذا القول عجيب في الظاهر بالنسبة إلى بني إسرائيل لعل بني إسرائيل لم يكونوا طاهرين فلم تحصل لهم هذه الإباحة العامة ولما كان المسيحيون طاهرين حصلت لهم الإباحة العامة

من قِبَل بولس وجعل كل شيء طاهراً لهم. وكان جاهداً نفسه في إشاعة هذه الإباحة العامة. ولذلك كتب إلى تيموتاوس في العدد الرابع من الأصحاح الرابع من تلك الرسالة الأولى من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية هكذا: "لأن كل ما خلق الله؛ حسن. ولا يجوز أن يرفض منه شيء إذا أكلناه ونحن شاكرين؛ لأنه يتقدس بكلمة الله وبالتضرع؛ فإن ذكرت الأخوة بهذا؛ فقد صرتَ للمسيح خادماً مترتباً في كلام الإيمان والتعليم الصحيح الذي اتبعت أثره "" انتهى.

ومن جملة الأحكام المنسوخة في الشريعة المسيحية: أحكام الأعياد التي فُصّلت في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين، وكانت واجبةً أبدية في الشريعة الموسوية، وجاءت ألفاظ في ذلك الأصحاح تدل على أنها أبدية وكان تعظيم السبت حكماً أبدياً في الشريعة الموسوية وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل، وكان من عمل فيه عملاً، ومن لم يحافظ عليه؛ واجب القتل. وقد تكرر بيان هذا الحكم والتأكيد عليه في كتب العهد العتيق في كثير من المواضع، ولكثرتها لا حاجة إلى نقلها. ولما كان المسيح عليه السلام يعمل في السبت أشياء كان اليهود المعاصرون له يؤذونه بها ويريدون قتله وكان هذا العمل من أدلة إنكارهم له. كما يُفهم ذلك من العدد السادس عشر من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا ونصه هكذا: "ولهذا كانت اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في السبت" انتهى. وجاء في العدد السادس عشر من الأصحاح التاسع من الإنجيل

المذكور هكذا: "فقال قدم من الفريسيين: هذا الإنسان ليس من الله؛ لأنه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا: كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات" انتهى. فهذان القولان صريحان في الدلالة على أن السبت كان معظماً في الشريعة الموسوية غاية التعظيم، ثم نُسخ.

والحق أن عمل المسيح فيه تلك الأعمال لا يدل على نسخه وعدم تعظيمه؛ لأن ذلك العمل من البر والخير، وأعمال الخير ليست بممنوعة فيه، وليس في كلام المسيح عليه السلام، ما يدل على نسخه أصلاً، وإنما الذي نسخه وأباح العمل فيه مقدس المسيحيين بولُس، بل نسخ جميع الأعياد الموسوية سواء كانت سبتية أو غيرها، وبيَّن في رسائله أن هذه الأشياء كانت إضلالاً. فلقد جاء في العدد السادس عشر من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل كُولُوسِّي هكذا: "فلا يدينكم أحد بالمأكول والمشروب أو بالنظر إلى الأعياد أو الأهلّة أو السبت؛ فإن هذه الأشياء ضلال للأمور المزمعة بالإتيان، وأما الجسد فإنه للمسيح" انتهى. وهذا القول صريح فى ينسخ الأعياد وإباحة جميع الأطعمة والأشربة أيضًا. غير أن حضرة القديس قد أساء فى سَبْره فإن قوله إن هذه الأشياء ضلال؛ لا يناسب عبارة التوراة؛ فإن الله ﷻ قد بين علة تحريم الحيوانات التى حرم الله أكلها على بنى إسرائيل بكونها نجسة، ثم خاطبهم بقوله: فلا بد أن تكونوا مقدسين؛ لأنى أنا قدوس. كما هو مصرح به فى العدد الرابع والأربعين من الأصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين.

وكذلك الختان كان أبديًا فى شريعة إبراهيم عليه السلام كما هو مصرح به فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين. ولهذا بقى هذا الحكم فى أولاد إسماعيل[1] وإسحاق عليهما السلام وبقى فى شريعة موسى عليه السلام أيضًا. فلقد جاء فى العدد الثانى من الأصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين هكذا: "وفى اليوم الثامن يختن الصبى" انتهى. وقد ختن المسيح عليه السلام أيضًا كما هو مصرح به فى العدد الحادى والعشرين من الأصحاح الثانى من إنجيل لوقا وكان هذا الحكم باقيًا إلى عروج المسيح عليه السلام وما نسخ، وإنما الذى نسخه هم الإنجيليون فى عهدهم، كما هو مصرح به فى الأصحاح الخامس عشر من أعمال الحواريين. ومقدس المسيحيين بولس يشدد فى نسخ هذا الحكم تشديدًا بليغًا فلقد جاء فى الأصحاح الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: "هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً! لَكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ. قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ. فَإِنَّنَا بِالرُّوحِ مِنَ الإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بِرٍّ. لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ " انتهى. وجاء فى العدد

---

[1] الختان فى التوراة كان مفروضا على الذكور فقط. وذلك ليتميز المؤمنون عن عباد الأصنام فى القتل فى معارك الحروب. وليس فى القرآن أن الختان مفروض على الذكور من بنى إسماعيل فى شريعة محمد ﷺ وذلك لأن اليهود يختتنون بحكم شريعتهم. فإذا حاربوا اليهود فى أية معركة فإنه إذا كان الله يريد الختان فى المسلمين. فإنه لن يتميز المسلم عن اليهودى فى أرض المعركة. فلذلك لم يفرض الله على المسلمين ختان الذكور لا فى القرآن ولا فى السنة. ولم يفرض ختان الإناث أيضا.

الخامس عشر من الأصحاح السادس من الرسالة المذكورة هكـــذا: "لا منفعة للختان فى المسيح يسوع ولا القلفة بل الخلق الجديد" انتهى فهذه الأقوال صريحة فى نسخ حكم الختان المؤبد.

وكذلك أحكام الذبايح كانت كثيرة وأبدية فى شريعة موســـى عليه السلام وقد نسخت فى الشريعة المسيحية، وكذلك الأحكام الكثيرة المختـــصة بآل هارون عليه السلام من الكهانة واللباس وقت الحضور للخدمة وغيرهـــا؛ كانت أبدية وقد نُسخت فى الشريعة المسيحية. بل جميع أحكام التوراة قد نسخها الحواريون بعد المشاورة التامة إلا أربعة أحكام ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا؛ فأبقوا حرمتها وأرســـلوا بـــذلك كتابًـــا إلـــى الكنائس. وهو منقول فى الأصحاح الخامس عشر من أعمال الرســـل وبعض إعداده هكذا: "إذ قد سمعنا أن أناســـا خـــارجين مـــن عنـــدنا أزعجوكم بأقوال مقلّبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا، وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلـــين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا بَرْنابا وبولس. رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح؛ فقد أرسلنا يهوذا وسِيلا، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها؛ لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصـــنام، وعـــن الدم، والمخنوق، والزنى. التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلـــون. كونوا معافين" انتهى.

فهذا القول يفيد اقتصار حرمة العمل على هذه الأربعة، لكن قد علمت فيما تقدم أن مقدس المسيحيين بولس قد نسخ حرمة الثلاثة الأولى بفتوى الإباحة العامة التى مر نقلها وعليها جمهور بروتستنت. فهذا مقدسهم بولس لم يُبق من الأحكام العملية التى كانت فى الشريعة الموسوية إلا حرمة الزنا فقط، لكن لما لم يكن فيه حدّ فى الشريعة المسيحية؛ فهو منسوخ من هذا الوجه أيضًا. فقد حصل الفراغ من هذه الشريعة، ونسخ جميع أحكامها. أبدية كانت أو غير أبدية"

وهذا ما أوردت إيراده من أمثلة القسم الأول وسيتلى عليك أمثلة القسم الثانى فى محله إن شاء الله تعالى بما يشفى العليل ويروى الغليل.

عدم نسخ القرآن للتوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكـذا :" وأمـا كتابهم فصريحه يشهد بأن القرآن جاء مصدقًا للتوراة والإنجيـل، لا ناسخًا ومبطلاً لها وأيضًا: ورد فى كتابهم أن رسولهم جاء مصدقا لما معهم. أى مع أهل الكتاب. فمما ورد مصححًا لما ذكر: ما أتـى فـى سورة يونس: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ ﴾ قال البيضاوى فى تفسيره: مطابقًا لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها. وفـى سـورة الأحقـاف: ﴿وَهَـٰذَا﴾أى القرآن ﴿كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للتوراة والإنجيل. وسبب ذلك: أن التوراة نزلت فى اللغة العبرانية والإنجيل فى اللغة اليونانية. وهاتان اللغتان كـان متعسرًا على العرب فهمهما. فلذلك نزل القرآن فـى اللغـة العربيـة مطابقًا ومصدقًا لما نزل قبله من التـوراة والإنجيـل ﴿ وَتَفْصِيلًا﴾ أى تبيينا لهما فى لغة العرب. إذا علمت ما قررنا لك يتضح لك عدم نسخ القرآن للتوراة والإنجيل"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن ما استشهد به حضرة القسيس من الآيات القرآنية الدالة على كون القرآن الكريم جاء مصدقا لما قبله من التوراة والإنجيل فى كونهما مـن جانـب الله ﷻ ومطابقًا لهما فى صدق القصص والأخبار والمواعيد؛ على عدم النسخ

لشئٍ من أحكامهما العملية؛ فى غير محله. ومنشؤه: قلة علمه وسوء فهمه؛ لأن أمر النسخ هو دون ذلك الأمر. إذ لا يلزم من كون القرآن المجيد شهد لهما بكونهما منزلين من عند الله ﷻ وكونه مطابقًا لهما فى القصص والأخبار والمواعيد؛ عدم النسخ لشئٍ من أحكامهما العملية الصالحة للنسخ.

ومن المعلوم البين عند سائر المسيحيين: أن المسيح عليه السلام شهد أيضًا للتوراة بالصحة وكونها من جانب الله ﷻ مع أن شريعته قد نسخت كثيرًا من أحكامها بل نسخت الجميع كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، فكما أنه لا يلزم من شهادة المسيح عليه السلام للتوراة بالصحة وكونها منزلة من عند الله ﷻ؛ عدم النسخ لبعض أحكامها العملية؛ فكذلك القرآن المجيد لا يلزم من شهادته للتوراة والإنجيل بكونهما منزلين من عند الله ﷻ وكونه مطابقًا لهما فى العقائد والتوحيد وصدق الأخبار والمواعيد؛ عدم النسخ لبعض أحكامهما العملية؛ لأن أمر النسخ غير أمر الشهادة لهما بالصحة والصدق. إذا علمت ما قررناه يتضح لك أن استشهاد حضرة القسيس بالآيات القرآنية على عدم نسخ القرآن المجيد لبعض أحكام التوراة والإنجيل؛ غلط يقينًا. وفى تفسيره لآية سورة يونس دليل واضح على وقوع التغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل؛ لأنه كان نزوله ليفصل ويبين حقيقة ما كان أُنزل فى التوراة والإنجيل، وقد وجدناه بعد المقابلة التامة مباينًا لغالب مضامينها من قصص وأخبار ومواعيد؛ علمنا بالبداهة واليقين أنهما قد

اعتراهما التغيير والتبديل بالزيادة والنقصان. والحس والمشاهدة شاهدان على ذلك.

قال بعض الفضلاء: "وإنما كان وقوع ذلك لكثرة وقوع الحوادث والفتن على أهلهما"

قال: "وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والصدق بالكذب؛ فتعسر تمييز أحدهما عن الآخر. ولئلا يصير ذلك عذرًا فى إعراض الخلق عن عبادة الحق سبحانه وتعالى؛ أرسل رسوله محمدًا بالبيان، من جبال فاران. على فترة من دين الرسل. وإليه إشارة بقوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قال الفخر الرازى قدس سره العزيز فى تفسير هذه الآية الشريفة هكذا: "الفائدة فى بعثة محمد ﷺ عند فترة من الرسل هى أن التغيير والتحريف قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها. وسبب ذلك: اختلاط الحق بالباطل، والصدق بالكذب. وصار ذلك عذرًا ظاهرًا فى إعراض الخلق عن العبادات؛ لأن لهم أن يقولوا: يا إلهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك، ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك. فبعث الله سبحانه وتعالى فى هذا الوقت؛ أحب خلقه إليه محمدًا ﷺ إزالة لهذا العذر"

النسخ فى الأمر والنهى

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل :" ثم لــو فرضــنا صحة مدعاهم هذا -أى نسخ القرآن للتوراة والإنجيل- لبقى جانــب عظيم من هذين الكتابين لا يمكن أن يطرأ عليــه النــسخ أبــدًا؛ لأن النسخ بحسب اعتقاد علماء الإسلام لا يقع إلا فى الأمر والنهى، كما أفاده الإمام جلال الدين السيوطى فى كتاب الإتقان بقولــه: "لا يقــع النسخ إلا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر الذى ليس بمعنى الطلب؛ فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد. وإذا عرفت ذلك عرفت فــساد صنع من أدخل فى كتابه فى النسخ كثيرًا من الأخبار والوعد والوعيد" انتهى كلام السيوطى.

وقال صاحب إظهار الحق: "النسخ فى اللغــة الإزالــة. وفــى اصطلاح أهل الإسلام بيان مدة انتهاء الحكم العملى الجامع للشروط؛ لأن النسخ لا يطرأ عندنا على القصص ولا علــى الأمــور القطعيــة العقلية، مثل أن صانع العالم موجود، ولا على الأمور الحسية مثــل ضوء النهار وظلمة الليل، ولا على الأحكام التى تكون واجبة نظــرًا إلى ذاتها. مثل آمنوا ولا تشركوا، ولا على الأحكام المؤبدة، ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين، بل يطرأ على الأحكام التى تكــون عملية محتملة للوجود والعدم، غير مؤبدة وغير مؤقتــة. وتــسمى الأحكام المطلقة. وإذا علمت هذا فأقول: ليست قصة مــن القــصص المندرجة فى العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا. والأمور القطعية

العقلية والحسية والأحكام الواجبة والأحكام المؤبدة والأحكام المؤقتة قبل أوقاتها، والأحكام المطلقة التى يفرض فيها الوقت والمكلف والوجه متحد؛ لا تكون هذه الأشياء كلها منسوخة. فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخًا بالمعنى المصطلح عندنا، ولا نقول قطعًا إنه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الإنجيل. كما افترى هذا الأمر على أهل الإسلام صاحبُ ميزان الحق، وقال: إن هذا مصرح فى القرآن والتفاسير" انتهى كلام صاحب إظهار الحق.

أقول إن ما نقله هذا القسيس عن صاحب إظهار الحق والإمام السيوطى هو عين ما عليه أهل الإسلام من الاعتقاد فى حكم النسخ. وقد تقدم لك بيان ذلك مع ذكر أمثلة كل نوع من أقسامه المذكورة. ثم استنتج هذا القسيس من هاتين العبارتين حكمًا وقال فيه هكذا: "**فعلى لو فرضنا وقوع النسخ فى التوراة والإنجيل؛ لا يكون القرآن ناسخًا لجميع آياتهما**[1] **لأن النسخ لا يتجه على القصص والأخبار والتعاليم**

---

[1] كتاب التوراة يشتمل على الأحكام الفقهية ويشتمل على العقائد والقصص. والقرآن نسخ الأحكام الفقهية، وبين أن فى العقائد والقصص تحريف لفظى. ففى التوراة مثلا أن الله استراح فى يوم السبت بعدما خلق السموات والأرض. وفى القرآن ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُغُوبٍ﴾ وهكذا. وفى التوراة أن الإمامة الدينية تكون فى نسل هرون عليه السلام الذى هو من سبط اللاويين. وفيها أنه إذا جاء النبى المنتظر فإن كل إنسان من أتباعه؛ يصح له إقامة الدين بمفرده. أى أن النبى المنتظر ينسخ شريعة التوراة، وفى الوقت ذاته يغير مقيمى الشعائر. وعندنا فى الدين الإسلامى أن كل إنسان يصح له إقامة الدين سواء أكان عربى الجنس أم كان عربى الديانة.

والنص التالى من الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشـعْياء فيـه عـن مكـة المكرمة: "وكل بنيك تلاميذك الرب" وفى الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر إرميـاء أن الله سيقطع عهدا جديدا بدل العهد الأول عهد التوراة. وقد تناول بولس هـذا العهـد بالبيان. وهذه هى النصوص:

أول: نص "وكل بنيك تلاميذ الرب" : "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لان بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الـرب أوسـعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لا تمسكي أطيلي اطنابك و شـددي أوتـادك لأنـك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار و يرث نسلك أمما و يعمر مدنا خربة لا تخافي لأنـك لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين فانك تنسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينـه بعد لان بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسـرائيل الـه كـل الأرض يدعى لأنه كامرأة مهجورة و محزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الـصبا إذا رذلـت قال إلهك لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبإحسان ابدي أرحمك قال وليك الرب لأنه كمياه نوح هذه لي كما حلفـت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت إن لا اغضب عليـك و لا أزجـرك فـان الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هاأنـذا ابنـي بالاثمـد حجارتـك وبالياقوت الأزرق أؤسسك واجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومـك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس مـن عنـدي مـن اجتمع عليك فإليك يسقط هاأنذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخـرج آلـة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليـك في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب"

ثانيا: نص العهد الجديد: "ها أيام تأتي يقول الرب و اقطع مع بيت إسـرائيل ومـع بيت يهوذا عهدا جديدا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخـرجهم

والإرشاد والنصائح والأدعية والوعد والوعيد. ولا شك أن التـوراة والإنجيل مشتملان على نحو ذلك. ولا يصح أن يقال: لما كان بعـض آياتهما منسوخًا؛ نُسِخَا تبعاً للبعض المنسوخ وأُبطلا. لأنا نقول: لـو كان وقوع النسخ فى كتاب من الكتب الإلهية مخلاً به ومـبطلا لـه؛ لالتزم أهل الإسلام أن يرفضوا القرآن أيضًا؛ لأنه وقع النـسخ فيـه، ونسخُ بعض آيات القرآن هذا؛ متفق عليه عند جميع علمائهم"

من ارض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذي اقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب اجعل شريعتي في داخلهم و اكتبهـا علـى قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا ولا يعلمون بعد كل واحد صـاحبه وكـل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقـول الرب لأني اصفح عن إثمهم ولا اذكر خطيتهم بعد هكذا قال الـرب الجاعـل الـشمس للإضاءة نهارا وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليلا الزاجر البحر حين تعـج أمواجـه رب الجنود اسمه إن كانت هذه الفرائض تزول من أمامي يقول الرب فان نسل إسرائيل أيضا يكف من أن يكون امة أمامي كل الأيام"

ثالثا: نص كلام بولس وهو فى العهد الجديد –الذى هـو عهـد القـرآن، لا عهـد الإنجيل كما يزعم لأن المسيح لم يأت بجديد على التوراة–: "لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لاَئِماً: هُوَذَا أَيَّـامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً. لاَ كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمِلْتُهُ مَـعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْـتُهُمْ يَقُـولُ الرَّبُّ. لأَنَّ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِـي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً. وَلاَ يُعَلِّمُونَ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَـهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلاً: اعْرِفِ الرَّبَّ، لأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَـبِيرِهِمْ. لأَنِّـي أَكُـونُ صَفُوحاً عَنْ آثَامِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية لأقوم طريق: إن كـــلام حـــضرة القسيس الذى استنتجه من كلام الفاضل صاحب إظهار الحق، وكـــلام الإمام السيوطى من أن جانبًا عظيمًا لا يمكن أن يطرأ عليه النسخ، مثل القصص والأخبار والتعاليم والوعد والوعيد؛ أمر مُسلّم عندنا معاشـــر المسلمين، وهو عين ما عليه أهل الدين الإسلامى المبين، كما علمـــت من ذلك فيما مر بما لا مزيد عليه، لكنا لا نقول كما ظن هذا القـــسيس من أنه لما كان بعض آيات التوراة منـــسوخا؛ نُـــسِخا تبعـــاً للـــبعض المنسوخ، بل هو قول الذين فى بحر الغفلة يعمهون. وإنما نقـــول: إن هذه التوراة وهذا الإنجيل بل وسائر كتـــب العهـــد العتيـــق والجديـــد المتداولة الآن ليست هى معتبرة عندنا معاشر المسلمين البتة. وذلـــك لعدم اتصال أسانيدها وثبوت وقوع التغيير والتبـــديل فيهـــا بالزيـــادة والنقصان، ولكونهما مشتملة على قصص وأخبـــار لا تليـــق بالكتـــب الإلهية، بل لا تليق بتواريخ أهل الصيانة والديانة، فضلاً عن الكتـــب الإلهية.

مثل ما نسب إلى سيدنا لوط عليه السلام من أنه زنا بابنتيه وهـــو فـــى خمار الخمر وحملتا منه بالزنا -والعياذ بالله تعالى- ومثل ما نسب إلى سيدنا داود عليه السلام من أنه زنا بامرأة الغير وقتله بالحيلة. ومثل ما نـــسب إلى ابنه سليمان عليه السلام من أنه ارتد وعبد الأصنام -والعياذ بالله تعالى- ومثل ما نسب إلى أخيه أبشالوم من أنه زنا بجميع سرارى أبيـــه داود عليه السلام أمام جميع بنى إسرائيل وقدام الشمس، بأمر الرب وحكمه. ومثل

ما نسب إلى يهوذا بن سيدنا يعقوب ﷺ من أنه زنا بكَنَّتِه ثامار زوجة ابنه وحملت منه بالزنا وولدت توأمين أحدهما سمى فـارص والثـانى زَارح. وداود وسليمان والمسيح عليهم السلام كلهم من أولاد فـارص المذكور. كما هو مُصرح به فى الأصحاح الأول من إنجيل متى. فكل هذه القصص وأمثالها. لا نقول إنها منسوخة تبعًا للبعض المنسوخ، بل نقول: إنها باطلة كاذبة يقينا دسها، من لا يخشى الله تعالى فى الكتـب السماوية. ولاشتمالها على هذه الأمور نُهينا عن اقتنائها واسـتعمالها، وعن النظر فيها. وذلك لاختلاط الحق بالباطل والصدق بالكـذب. ولا نقول يقينًا: إنها نُسخت تبعا للبعض المنسوخ لأنه لا يلزم مـن وقـوع النسخ لبعض الأحكام العملية فى كتاب من الكتب الإلهيـة أن يـرفض ذلك الكتاب ويهمل بالكلية. ولو لزم ذلك للزم هذا القسيس ومن يقـول بقوله أن يرفض التوراة والإنجيل ويهملهما ولا يعمل بهما؛ لأنه كمـا وقع النسخ لبعض أحكام القرآن المجيد العملية؛ **فكذلك وقـع النـسخ لبعض أحكام التوراة والإنجيل وإليك الدليل منهما بما يشفى العليـل ويروى الغليل:**

فأقول إن الله سبحانه وتعالى أمر سيدنا إبراهيم بذبح ابنه إسحاق ﷺ ثم نَسَخَ هذا الحكم قبل العمل به، وأمر بذبح الكبش عوضًا عنـه. كما هو مصرح به فى الأصحاح الثانى من سفر التكوين من التـوراة. ولقد جاء فى العدد الثالث من الأصحاح السابع عشر من سفر الأحبار هكذا: "أيما رجل من بنى إسرائيل ذبح ثورًا أو خروفًا أو عنـزا فـى

المحلة أو خارج المحلة ولا يأتى بقربانه إلى باب قبة الزمان؛ فيقربه قربانا للرب؛ فليحسب على ذلك الرجل سفك دم، من أجل أنه أراق دما، ويهلك ذلك الرجل من شعبه" وقد نُسِخ هذا الحكم بما جاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثانى عشر من سفر التثنية من التوراة ونصه هكذا: "فأما إن شئت أن تأكل ومستلذا بأكل اللحم فاذبح وكل بالبركة التى أعطاك الرب إلهك فى قراك" ثم قال فى العدد العشرين هكذا: "إذا وسع الرب إلهك تخومك كما كلمك و قلت آكل لحما لأن نفسك تشتهي أن تأكل لحما؛ فمن كل ما تشتهي نفسك تأكل لحما. إذا كان المكان الذي يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه بعيدا عنك؛ فاذبح من بقرك و غنمك التي أعطاك الرب كما أوصيتك، وكل في أبوابك من كل ما اشتهت نفسك كما يؤكل الظبي و الأُيل هكذا تأكله، النجس والطاهر يأكلانه سواء، لكن احترز أن لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس؛ فلا تأكل النفس مع اللحم" انتهى.

فهذا القول صريح فى نسخ ما جاء فى سفر الأحبار.

قال الفاضل هورن فى الصفحة ٦١٩ من المجلد الأول من تفسيره بعد أن نقل هذه الأعداد هكذا: "فى هذين الموضعين تناقض فى الظاهر، لكن إذا لوحظ أن الشريعة الموسوية كانت تزاد وتنقص فى وفق أحوال بنى إسرائيل، وما كانت بحيث لا يمكن تبديلها، فالتوجيه فى غاية السهولة" انتهى. ثم قال: "نسخ موسى فى السنة الأربعين من هجرته

قبل دخول فلسطين ذلك الحكم -أى حكم سفر الأحبار بحكم سفر التثنية- نسخا صريحا، وأمر أنه يجوز لهم بعد دخول فلسطين أن يذبحوا البقر والغنم فى أى موضع شاؤا ويأكلون" انتهى ملخصًا.

فهذا المفسر الذى هو من مشاهير المفسرين قد اعترف بنسخ حكم سفر الأحبار، وأقر بأن الشريعة الموسوية كانت تزيد وتنقص على وفق حال بنى إسرائيل. ومثل هذا جاء فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الرابع من سفر الأحبار. من فداء جماعة بنى إسرائيل ثورًا واحدًا. وجاء فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الخامس عشر من سفر العدد أن فداء خطاهم ثورًا واحدًا مع لوازمه وجديا ماعزا أيضًا. فنسخ الأول بالثانى. فارجع إليهما إن شئت. وقد جاء فى العدد الثالث والعشرين إلى العدد السادس والأربعين من الأصحاح الرابع من سفر العَدَد أن خدام قُبَّة الجماعة لا يجوز أن يكون عمر كل واحد منهم أنقص من ثلاثين وأزيد من خمسين سنة، بل يكون من ثلاثين فصاعدًا إلى الخمسين. وجاء فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الثامن من السفر المذكور: أن خدام القبة المذكورة من خمسة وعشرين سنة فصاعدًا إلى الخمسين. فنسخ الأول بالثانى أو أحدهما غلط. وجاء مثل هذا فى العدد الثلاثين من الأصحاح الثانى من سفر صموئيل الأول ونصه هكذا: "لذلك يقول الرب إله إسرائيل أني قلت أن بيتك و بيت أبيك يسيرون أمامي إلى الأبد. والآن يقول الرب: حاشا لي فاني أكرم الذين يكرمونني، والذين يحتقرونني يصغرون. هوذا تأتي أيام أقطع

فيها ذراعك و ذراع بيت أبيك حتى لا يكون شيخ فـي بيتـك وتـرى ضيق المسكن في كل ما يحسن به إلى إسرائيل، ولا يكون شيخ فـي بيتك كل الأيام، ورجل لك لا أقطعه من أمام مذبحي؛ يكـون لإكـلال عينيك وتذويب نفسك، و جميع ذرية بيتك يموتون شبانا. وهـذه لـك علامة: تأتي على ابنيك حُفْنِي وفِينحاس في يوم واحد. يموتان كلاهما. وأقيم لنفسي كاهنا أمينا يعمل حسب ما بقلبي ونفسي" انتهى. فهذا القول صريح فى أن الله كان وعد أن منصب الكهانة يبقى فى بيـت عَـالِي الكاهن وبيت أبيه، ثم أخلف وعده ونسخ ذلك الحكم وأقام كاهنًا آخـر، يعمل حسب ما بقلب الرب ونفسه. والعياذ بالله تعالى.

وقد نقل الفاضل ورجرد منيت فى تفسيره قول الفاضل يـاترك هكذا: "ينسخ الله ههنا حكمًا كان وعد به وأقر به بأن رئـيس الكهنـة يكون منكم إلى الأبد. أعطى هذا المنـصب ألعـازار الولـد الأكبـر لهارون، ثم أعطى إيثامار الولد الأصغر لهارون، ثم انتقل الآن بسبب ذنب أولاد عالى الكاهن إلى أولاد ألعازار" انتهى. فهذا القول يدل على أن الخُلف وقع فى وعد الله مرتين فى زمان الشريعة الموسوية. وأمـا الخلف الذى وقع فى الأمر عند ظهور الشريعة المسيحية مرة ثالثة أنه لم يبق أثر مّا لهذا المنصب، لا فى أولاد ألعازار ولا فى أولاد إيثامار، أما الوعد الذى كان لألعازار فهو مصرح به فى الأصـحاح الخـامس والعشرين من سفر العدد. ولا يتحير الناظر من خلف وعد الله –علـى مذاق أهل الكتاب– لأن كتب العهدين ناطقة به، وبأن الله يفعل أمرا ثم

يندم على فعله –تعلى الله على ذلك علوًّا كبيرًا– فلقد جاء فـــى العـــدد التاسع والثلاثين من الأصحاح التاسع والثمانين من الزبور فى كـــلام سيدنا داود عليه السلام لله تعالى هكذا: "لكنك رفضت ورذلت وغضبت علـــى مسيحك. نقضت عهد عبدك، نجست تاجه فى التراب" انتهى. فهذا قول داود عليه السلام صريح فى أن الله تعالى نقض عهده الذى كان وعده إيـــاه. وجاء فى العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين هكذا: "فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسَّف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم" انتهى. وفى الزبور الـــسادس بعد المائة هكذا: "فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم وذكر لهم عهـــده وندم على كثرة رحمته" انتهى. وفى العدد الحادى عشر من الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول فى قول الرب هكـــذا: "تـــدمت على أنى صَيَّرتُ شاول ملكًا أنه رجع من ورائى ولم يعمل بما أمرته" انتهى. فهذه الأقوال كلها صريحة فى نسبة الندم لله عز وجل –تعـــالى عـــن ذلك علوًّا كبيرًا–

ومن الأحكام المنسوخة قبل العمل بها: ما جاء فى العدد العاشر من الأصحاح الرابع من كتاب حِزقيال من النسخة المطبوعـــة ســـنة ١٨٤٨ ميلادية ونصه هكذا: "وطعامك الذي تاكله يكون بالوزن كـــل يوم عشرين شاقلا، من وقت إلى وقت تأكله، وتشرب المـــاء بالكيـــل سدس الهين، من وقت إلى وقت تشربه، وتأكل كعكا من الشعير علـــى

الخرء الذي يخرج من الإنسان، تخبزه أمام عيونهم. ,وقال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم. فقلت: آه يا سيد الرب. ها نفسي لم تتنجس، ومن صباي إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس. فقال لي: انظر قد جعلت لك خثي البقر بدل خُرء الإنسان؛ فتصنع خبزك عليه" انتهى.

فَنُسِخ الأول بالثاني؛ لأن الرب أمره أولاً بأن يلطخ خبزه بزبل يخرج من الإنسان، ثم لما استغاث حزقيال عليه السلام للرب نسخ له هذا الحكم قبل العمل به وأعطاه زبل البقر عوضًا عن رجيع الإنسان. ومثل هذا قد ورد فى العدد الأول من الأصحاح العشرين من سفر الملوك الثانى هكذا: "في تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء إليه إشعياء بن آموص النبي، وقال له: هكذا قال الرب: أوص بيتك لأنك تموت و لا تعيش. فوجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلا: آه يا رب. اذكر كيف سرتُ أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك. وبكى حزقيا بكاء عظيما ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلا: ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي: هكذا قال الرب إله داود أبيك قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. هاأنذا أشفيك. في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب، وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة" انتهى.

فهذا صريح فى أن الرب أمر حزقيًا على لسان إشعياء بأن أوص على بيتك لأنك ميت، ثم نسخ له هذه الحكم قبل أن يخرج إشعياء عليه السلام إلى المدينة الوسطى، وزاد على عمره خمسة عشرة سنة. إذا علمت هذا تعلم أن نسخ أحكام كتب العهد العتيق؛ واقع فيها بالفعل حيث نسخ بعض أحكامها بأحكامها الأخرى.

وهكذا وقع فى الإنجيل أيضًا فلقد جاء فى العدد الخامس من الأصحاح العاشر من إنجيل متى هكذا: " هَؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا ، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ." انتهى. فهذه الأعداد تدل صراحة على أن المسيح عليه السلام كان يخصص رسالته إلى [1]بنى إسرائيل –وهو

---

[1] أخطأ المؤلف فى قوله إن المسيح عليه السلام كان يخصص رسالته إلى بنى إسرائيل. والصواب: أنه كان يخصص رسالته بالضرورة فى بدئها إلى بنى إسرائيل. فلما عرفوا من التبشير بمحمد ﷺ فى بلاد بنى إسرائيل أمرهم بالتبشير بمجيئه فى جميع بلاد الأمم. والتبشير به مفهوم من الدعوة إلى "ملكوت السموات" لأن الملكوت له ﷺ ونص عبارته: "إلى طريق أمم لا غضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحَرىّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات" انظر إلى قوله عليه السلام "بالحرى" أى بالضرورة فلما عرفوا، أرسلهم إلى الأمم بقوله: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا..."

وهذا هو نص كلامه: " هَؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. اشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّاناً أَخَذْتُمْ ، مَجَّاناً أَعْطُوا. [9]لاَ تَقْتَنُوا ذَهَباً وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاساً فِي مَنَاطِقِكُمْ، وَلاَ

مزوَداً للطَّريقِ وَلاَ ثوبَيْنِ وَلاَ أَحذيَةً وَلاَ عصاً، لأنَّ الْفَاعِلَ مُستحقٌّ طَعَامَهُ. وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخلْتُمُوهَا فَافْحصُوا مَنْ فيهَا مُستحقٌّ، وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخرُجُوا. وَحِينَ تدخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُستحقاً فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُستحقاً فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ. وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخرُجُوا خَارِجاً مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ. هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلَكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ وَالأَبُ وَلَدَهُ وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ. وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : لاَ تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ. لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ. يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ، وَالْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَهْلَ بَيْتِهِ! فَلاَ تَخَافُوهُمْ. لأَنْ لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ. اَلَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلْمَةِ قُولُوهُ فِي النُّورِ، وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ، وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ. أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ ! فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. مَنْ يَقْبَلُ نَبِيّاً بِاسْمِ نَبِيٍّ فَأَجْرَ نَبِيٍّ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَقْبَلُ بَارّاً بِاسْمِ بَارٍّ فَأَجْرَ بَارٍّ يَأْخُذُ، وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ."

إنجيل مرقس فى قول المسيح عليه السلام خطابًا للحواريين هكذا: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكْرِزُوا بالإنجيل للخليقة كلها" انتهى. فهذا القول ناسخ للأول لكن قول المسيح عليه السلام لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" خبر منه عليه السلام والأخبار لا يجوز أن يطرأ عليها النسخ، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، فلا بد أن يكون أحدهما غلط. وهو الثانى يقينًا؛ **لأن رسالة المسيح خاصة فى بنى إسرائيل كما يدل على ذلك القرآن المجيد ونقل متى فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله هكذا:** " حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيذَهُ قَائِلاً: عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ " انتهى. فهذا القول يدل على أن المسيح عليه السلام حكم على التلاميذ بأن كل ما يقوله الكتبة والفريسيُّون من التوراة أن يحفظوه ويفعلوه. ويعضد هذا القول: قوله عليه السلام فى هذا الإنجيل: "ما جئت لأنقض الناموس بل جئت لأتمم" ولا شك أن الكتبة والفَرِّيسيين كانوا يقولون بحفظ جميع أحكام التوراة، سيما الأبدية. وقد علمت فيما تقدم: أن كلها منسوخة فى الشريعة المسيحية، أبدية كانت أو غير أبدية. ولذلك تراهم الآن لا يحافظون على السبت وبقية أعياد بنى إسرائيل ولا يختتنون ولا يحرمون أكل لحم الخنزير، ويأكلون المخنوق ويشربون أنواع المسكرات فى كل وقت من الأوقات، ولم يبق من أحكام التوراة إلا حرمة الزنا فقط كما علمت ذلك بما لا مزيد عليه. إذا علمت هذا ظهر لك أن قول المسيح عليه السلام لتلاميذه أن يحفظوا ويفعلوا جميع ما يقوله

الكتبة والفريسيون من التوراة؛ منسوخ البتة. ومن هذه الأمثلة يتضح لك أيها اللبيب جليًا أن النسْخ واقع فى الشريعة الموسوية والمسيحية أيضًا. وليس هو مختص بالشريعة المحمدية. فما ادعاه هذا القسيس من امتناع النسخ للشرائع باطل قطعًا. لا ريب ولا شك فيه. كيف لا وأن المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين. فبعض الأحكام يكون مقدورًا للمكلفين فى بعض الأوقات ولا يكون مقدورًا فى بعض آخر، ويكون البعض مناسبًا لبعض المكلفين دون البعض الآخر.

ألا ترى أيها اللبيب أن المسيح ﷺ قال للحواريين: "إن لى أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم لكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به" كما صرح بذلك يوحنا فى العدد الثانى عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله. وقال عيسى ﷺ للأبرص الذى شفاه: "لا تخبر عن هذا الحال أحدًا" كما صرح بذلك متى فى الأصحاح الثامن من إنجيله، وقال للأعميين الذى فتح أعينهما: "لا تخبرا أحدًا عن هذا الحال" كما هو مصرح به فى الأصحاح التاسع من إنجيل متى، وقال ﷺ لأبوى الصبية التى أحياها: "لا تخبرا أحدًا عن ما كان" كما صرح بذلك لوقا فى الأصحاح الثامن من إنجيله، وقد أمر الذى أخرج الشياطين منه بأن "ارجع إلى بيتك وأخبر بما صنع الله بك" كما صرح بذلك لوقا أيضًا فى الأصحاح الثامن من إنجيله، وقد علمت فيما تقدم أن حكم الطلاق نُسخ مرتين، مرة فى الشريعة

الموسوية ومرة فى الشريعة المسيحية، وكذلك بنو إسرائيل ما أُمــروا بالجهاد على الكفار، ما داموا فى مصر وأمروا بعد ما خرجوا منها.

الطُّرق الثلاث فى نسخ الشريعة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليـــل " **والحاصـــل: لا يسع المسلمين فى هذه القضية إلا سلوك إحدى هذه الطرق الثلاث إما أن يقولوا بأن النسخ قد وقع فى جميع آيات التوراة والإنجيل. وهـــو رأى لا يوافقهم عليه عالم من علمائهم. بل هو رأى الذين فى بحـــر الجهل يعمهون. وإما أن يقروا بأن التوراة والإنجيل ليس جميع مـــا فيهما منسوخًا كما أبانه صاحب إظهار الحق والـــسيوطى وغيـــره، وعليهم عند ذلك تبيين الآيات المنسوخة والتصديق والعمل بما بقـــى غير منسوخ، وإمسا أن يعدلوا[1] عن الادعاء بنسخ التوراة والإنجيل. وهو الصواب**"

أقول وبالله التوفيق: فلقد علمت أيها اللبيب أن ما عليه المسلمون فى قضية النسخ:هى الطريق الثانية.وهى أن التوراة والإنجيـــل لـــيس جميع ما فيهما منسوخًا.وإنما المنسوخ منهما بعض أحكامهما العمليـــة المطلقة، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، لكن لا يلزمنـــا أيها القسيس العمل بما بقى غير منسوخ، لما قد علمت فيما سبق من أن التوراة والإنجيل بل وسائر كتب العهد العتيق والجديد قد تطرق إليهـــا التحريف بالتغيير والتبديل والزيادة والنقصان، حتى أصبحت مملـــوءة

---

[1] لا يقدر المسلمون على أن يعدلوا عن الادعاء بنسخ التوراة والإنجيل؛ لما جاء فـــى القرآن الكريم من أن محمدا ﷺ مهيمنا على التوراة. والهيمنة هى التي تـــدل بـــصراحة على نسخ القرآن للتوراة.

من الأغلاط والاختلافات الغير محصورة. فاختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب؛ فصارت غير معتبرة فى الحقيقة ونفس الأمر؛ لتعسر تمييز حقها من باطلها وصدقها من كذبها. ولأجل هذا جاءنا القرآن المجيد كافيًا وافيًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فما من أمر له أدنى تعلق وارتباط بالمنفعة العمومية أو المنفعة الخصوصية، إلا وقد أحاط به هذا الكتاب المبين، الذى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ والعجب كل العجب من المسيحيين أنهم ينكرون وقوع النسخ فى الشرائع، ويقولون بعدم جوازه، مع أنه قد وقع فيها بالفعل.

ولقد علمتَ فيما تقدم: أن بعض أحكام التوراة العملية، وعلمت أن الحواريين؛ قد نسخوا جميع أحكامها بعد المشاورة التامة إلا أربعة أحكام منها فأبقوا حرمتها ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا، ثم جاء حضرة قديس أهل التثليث بولس ونسخ جميع أحكامها بل وجميع أحكام الإنجيل أيضًا، بل ما أبقى من أحكام سائر الكتب السماوية إلا حكم الإيمان بالمسيح ﷺ فلقد قال فى الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية: "إن جميع ذوى أعمال الشريعة ملعونون. لا يتزكّى أحد عند الله بالناموس؛ فإن الناموس لا يتعلق بالإيمان. وإن المسيح قد افتدانا من لعنة الناموس لما صار لأجلنا لعنة" انتهى ملخصًا.

ثم قال فى العدد الثالث والعشرين من هذا الأصحاح المذكور هكذا: "ولكن قبلما جاء الايمان كنا محروسين تحت الناموس مُغلقا

علينا إلى الايمان العتيد أن يعلن. إذًا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح[1] لكي نتبرر بالايمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" انتهى. فصرح فى هذا القول ههنا بأنه لا طاعة لأحكام توراة موسى وسائر كتب الأنبياء بعد الإيمان بالمسيح عليه السلام ومن هذا: ما أتى فى العدد الثامن عشر من الأصحاح السابع من رسالته العبرانية ونصها هكذا: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذا الناموس لم يكمل شيئًا " انتهى.

ففى هذا العدد تصريح بأن نسخ أحكام التوراة لأجل أنها ضعيفة بلا منفعة ولا فائدة –والعياذ بالله تعالى– فإذا قال المسلمون مثل قول هذا القديس؛ فلا يستغرب ذلك منهم لأن الشريعة المسيحية بالنسبة إلى الشريعة المحمدية عتيقة قريبة من الاضمحلال فلا استبعاد من نسخها. على رأى هذا القديس بل هو ضرورى.

وقال هذا القديس أيضًا فى العدد الثانى عشر من الأصحاح المذكور هكذا: "فإنه لما تغيرت الكهانة؛ فبالضرورة يصير تغير

---

[1] المسيح بحسب لسان اليهود هو محمد ﷺ ويطلق عليه "المسيح الرئيس" والتوراة تؤدب الناس إلى مجيئه ليقبلوا شريعته. ولن يستكبر المسيح ولا أصحابه المقربون منه على ا لعبودية والخضوع لله. وقد وصفت التوراة أصحاب محمد بالملائكة لشبههم بهم فى الطهر. ففى إنجيل متى: "ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده، وجميع الملائكة القديسين معه" [متى ٢٥: ٣١] ولقب ابن الإنسان ولقب المسيح هما لواحدا وهو النبى الآتى محمد ﷺ.

للناموس أيضًا" انتهى. فهذا القديس قد أثبت في هذا العدد التلازم بين تبدل الكهانة والإمامة وتبدل الشريعة. فبناءً على مثل هذا التلازم إذا قال المسلمون بنسخ الشريعة المسيحية أيضًا؛ فهم مصيبون لا مخطئون على رأى هذا القديس. وقال فى العدد السابع من الأصحاح الثامن من رسالته العبرانية أيضًا هكذا: "فإنه لو كان العهد الأول غير معترض عليه؛ لم يوجد للثانى موضع" انتهى ثم قال فى العدد الثالث عشر من هذا الأصحاح المذكور هكذا: "فبقوله عهدًا جديدًا صير الأول عتيقًا. والشئ العتيق والبالى قريب من الفناء" انتهى. فهذا القول صريح من هذا القديس بأن أحكام التوراة كانت معيبة وقابلة للنسخ لكونها عتيقة وقريبة من الفناء والاضمحلال، وجاء فى تفسير دوالى ورجردمينت فى ذيل شرح العدد الثالث عشر هكذا: "هذا ظاهر جدا: أن الله تعالى يريد أن ينسخ العتيق ألا نقص بالرسالة الجديدة الحسنى؛ فلذلك يرفع المذهب الرسومى اليهودى ويقوم المذهب المسيحى مقامه" انتهى.

وفى العدد الرابع عشر من الأصحاح الثانى من رسالة بولس إلى أهل أفسس هكذا: "ونقض حائط السياج المتوسط. أى العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا" انتهى. وقال فى العدد التاسع من الأصحاح العاشر من رسالته العبرانية هكذا: "ينزع الأول لكى يثبت الثانى" وفى نسخ أخرى فينسخ الأول حيث يثبت الثانى" انتهى. قال فى تفسير دوالى ورجردمينت فى شرح هذا العدد والعدد الثامن قبله هكذا: "استدل الحوارى فى هاتين الآيتين وفيهما إشعار بكون ذبايح اليهود غير كافية

ولذا تحمل المسيح على نفسه الموت ليجبر نقصانها، وينسخ بفعل أحدهما استعمال الآخر" انتهى. وقال بولس في العدد العشرين من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: "مع المسيح صلبتُ وأنا الآن حي، لكني لست أنا بحي، بل إن المسيح هو الحي فيّ. وما نلت الآن من الحياة الجسمانية؛ فهو متعلق بالإيمان بابن الله الذي أحبني، وجعل نفسه فدية لأجلي، وأنا لا أبطل نعمة الله لأنه إن كانت العدالة بالناموس؛ فقد مات المسيح عبثًا" وفي نسخة أخرى: إن كان بالناموس بر فالمسيح إذًا مات بلا سبب" انتهى؛ قال داكترهمنز في شرح العدد العشرين من هذا الأصحاح هكذا: "خلّصني ببذل روحه لأجلي عن شريعة موسى" ثم قال في العدد الحادي والعشرين هكذا: "أستعمل هذا العتيق لأجل ذلك، ولا أعتمد في النجاة على شريعة موسى، ولا أفهم أن أحكام موسى ضرورية؛ لأنه يجعل إنجيل المسيح كأنه بلا فائدة "انتهى.

وقال يابل في شرح العدد الحادي والعشرين المذكور هكذا: "لو كانت شريعة اليهود تعصمنا وتنجينا فأية ضرورة كانت لموت المسيح؟ ولو كانت الشريعة جزاءً لنجاتنا، فلا يكون موت المسيح لها كافياً " انتهى.

فكل هذه الأقوال ناطقة بجعل الفراغ من شريعة موسى ونسخها. فالصواب في شأن المسيحيين أن يعترفوا بهذه القضية وإلا فيصبحون كمن ينكر طلوع الشمس وهي في رابعة النهار، وليس دونها سحاب.

والمنكر ينظر إليهـا بعينـه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

والحاصل: لا يسع المسيحيين في إنكار هذه القضية إلا سـلوك إحدى هذه الطرق الثلاثة التي على وفق عدد التثليث. إمـا أن يبقـوا مصرّين على عدم جواز النسخ لبعض الأحكام العمليـة مـن الكتـب السماوية، ويلزمهم عند ذلك العمل بجميع أحكام التوراة، أبدية كانت أو غير أبدية. وأما أن يبقوا على عدم العمل لشيء من أحكامها، وعلـيهم عند ذلك الاعتراف بأن جميع أحكام التوراة التي لـيس معمـولاً بهـا عندهم من جملة الأغلاط الواقعـة فيهـا، وإن مـا ورد مـن أقـوال الحواريين وبولس الدالة على نسخ أحكام التوراة صراحة مـن جملـة الأغلاط الواقعة في الإنجيل أيضا. وأما أن يعدلوا عن إنكـارهم هـذا ويقروا بجواز النسخ المصطلح عليه عندنا معاشر المـسلمين، وهـو الأسلم. وما أطربني من قول القائل: "كل يحصد ما زرع، ويجزى بما صنع"

إنكار التحريف فى التوراة والأناجيل

ولما فرغ هذا القسيس من إنكاره لمسألة النسخ أخذ يتكلم في الإنكار على من قال بتحريف التوراة والإنجيل فقال هكذا: "**وأما من قالوا بتحريف الكتابين المذكورين وتغييرهما وتبديلهما حتى أصبحا مملوئين من الغلطات[1] والاختلافات؛ فلا سند لهم على ذلك من القرآن أيضا. بل هو اختراع محدث من عندهم، لم يخطر على بال نبيهم فضلاً عن وجوده في القرآن، بل الذي يفهم منه عكس قولهم. أي عدم التغيير والتبديل**"

أقول: إن إنكار وقوع التحريف بالتغيير في التوراة والإنجيل إنما هو مجرد عناد ومكابرة للمعلوم بالضرورة والبداهة، فلا يسمع كلامه وينبذ وراء الظهور فإن الأغلاط والاختلافات قد ثبت وقوعها فيهما بالحس والمشاهدة. وما ذلك إلا بسبب التغيير والتبديل بالزيادة، وأما قول القسيس فلا سند على ذلك من القرآن؛ غلط يقيناً. فإن القرآن المجيد دل على وقوع ذلك صراحةً، والآيات الواردة فيه الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل كثيرة جداً فمن ذلك: قوله تعالى في سورة المائدة ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾

---

[1] من أغلاط التوراة: "سبعين نفسا" فى مخطوط عبرى وجد فى قُمران وفى التوراة اليونانية تقرأ "خمسا وسبعين نفسا" [راجع أعمال الرسل ٧: ١٤]

فهذه الآية الشريفة صريحة في أن اليهود كانوا يحرّفون كلام التوراة ويغيّرونه عن مواضعه التي وضعها الله عليها، وجاء من قوله تعالى في السورة المذكورة بعد هذه الآية هكذا: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ أي مما أخفوه أهل الكتاب في التوراة والإنجيل؛ فلا يبينه لهم. إذا لم تدع إليه داعية دينية ولم يكن في ذكره مصلحة صيانة لهم عن زيادة الإفصاح. كما يفصح عن ذلك التعبير عن عدم الإظهار والتبيين بالعفو، ترغيباً وترهيباً لهم. وأما ما تدعو إليه داعية دينية ويكون في ذكره مصلحة؛ فقد بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأوضح عبارة وأجلى بيان كما لا يخفى ذلك على ذوي العقول والأذهان.

وقد جاء في سورة البقرة في حق أسلاف اليهود هكذا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ معناه لا تطمعوا أيها المؤمنون في هؤلاء اليهود أن يؤمنوا لكم، وقد كان فريق من علماء أسلافهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه ويبدّلونه من بعد ما عقلوه وفهموه وهم يعلمون أنهم مبطلون وعلى الله مفترون.

وجاء في سورة آل عمران هكـــذا: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ فقوله ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ معناه: لم تخلطون الحق الذي أنزله الله تعالى بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونـــه بأيديكم حتى يشتبه أحدهما، بالآخر؟ فإن اللبس: هو الخلط يقال لـــبس الشيء بالشيء إذا خلط بعضهما في بعض بحيـــث يتعـــذر انفـــصال أحدهما عن الآخر، وقد توعد الله سبحانه وتعالى لهم على ذلك بـــشدة العذاب بقوله في سورة البقرة: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ فكـــل هذه الآيات الشريفة صريحة الدلالة على ثبوت وقوع التغيير والتبـــديل في التوراة والإنجيل. وبهذا تعرف أن قول صاحب البرهان: "لم يخطر على بال نبيهم فضلاً عن وجوده في القرآن؛ غلط ومحـــض افتـــراء" كيف وأن نبينا محمداً ﷺ لم يترك صغيرة ولا كبيرة لها أدنـــى تعلـــق وارتباط بالمنفعة العمومية والمنفعة الخصوصية إلا وقد أخبرنا بها هذا النبي الكريم؟ فكيف أمر بالتحريف الذي هو من أهم الأمور الدينية؟

ولقد روى البخاري في صحيحه حديثاً عن ابن عبـــاس ﷺ فـــي كتاب الاعتصام من كتابه بإسناده، ثم أورده في كتـــاب الـــرد علـــى الجهمية بإسناد آخر؛ وأنا أنقله لك عن الكتاب الثاني مع بعض عبـــارة الإمام القسطلاني في الموضعين المذكورين: "**يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتـــاب**" أي اليهود والنصارى "عن شيء وكتابكم الـــذي

أنزله على نبيكم أحدث الأخبار بالله" أي أقرب الأخبار نزولاً من عند الله ﷻ "محضاً لم يشب" أي خالصاً لم يخلط فلم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، بخلاف التوراة والإنجيل وقد "حدثكم الله ﷻ في كتابه أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم ما ليس من عند الله وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً" أي عوضاً يسيراً" أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلاً يسألكم عن الذي أُنزل عليكم. فلم تسألون أنتم منهم مع علمكم أن كتابهم محرف" انتهى.

فهذا الحديث صريح في أن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- كانوا يعلمون وقوع التحريف في التوراة والإنجيل فضلاً عن النبي ﷺ وبرهان الحس والمشاهدة شاهد على ذلك؛ فإنه قلما يخرج أصحاح أو عبارة من كتب العهد العتيق والجديد ويكون خالياً عن الغلط أو الاختلاف.

وها أنا أنقل لك ههنا شيئاً، وأكتفي في النقل على ثلاثين من الاختلافات، ومثلها من الأغلاط؛ خوف الإطالة، وأقدم لك ذكر الأغلاط على الاختلافات فأقول:

الغلط الأول:

في العدد الثالث من الأصحاح السادس من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية هكذا: "لن تسكن روحي في الإنسان إلى الأبد؛ لأنه لحم، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" وفي

نسخة أخرى هكذا: "لن تدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" فقوله "وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" ليس من كلام الله -سبحانه وتعالى- لأن هذا القول غلط؛ فإن أعمار الذين كانوا في الزمان السابق طويلة جداً. فنوح عليه السلام عاش تسعمائة وخمسين سنة، كما هو مصرح به في الأصحاح التاسع من سفر التكوين. وعاش سام بن نوح عليه السلام ستمائة سنة كما هو مصرح به في الأصحاح الحادي عشر من السفر المذكور. وعاش ابنه أرفكشاد أربعمائة وثمانية وثلاثين سنة، كما هو مصرح به في الأصحاح المذكور. وعاش سيدنا إبراهيم عليه السلام مائة وخمسة وسبعين سنة وهكذا أعمار هذا الزمان ما بين الستين إلى السبعين والبلوغ إلى الثمانين والتسعين؛ قليل جداً.

الغلط الثاني:

في العدد الثامن من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين في خطاب إبراهيم عليه السلام هكذا: "وسأعطي لك ولنسلك أرض غربتك جميع أرض كنعان ملكاً إلى الدهر وأكون لهم إلهاً" انتهى؛ فهذا القول غلط لأن أرض كنعان لم تعط لإبراهيم عليه السلام قط، وكذا لم تعط لنسله ملكاً إلى الدهر، بل الانقلابات التي وقعت في تلك الأراضي لم يقع مثلها في غيرها، ومضت مدة طويلة جداً والحكومة الإسرائيلية زائلة عنها رأساً. كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع على تواريخ كتب العهد العتيق.

الغلط الثالث:

في العدد العاشر من الأصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني في وعد الرب لبني إسرائيل على لسان النبي ناثان هكذا: "وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه؛ فلا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما في الأول، منذ يوم أقمت قضاة على شعبي إسرائيل الخ" فهذا القول يدل على أن الرب سبحانه وتعالى كان وعد إسرائيل أن يكونوا في هذا المكان المذكور بالهدوء والاطمئنان ولا يحصل لهم الإيذاء من أيدي الأشرار ذوي الإثم. والمراد بهذا المكان المذكور: مدينة أورشليم أي القدس الشريف ولقد أقام بنو إسرائيل في هذا المكان لكنهم لم يحصل لهم وفاء الوعد، وأوذوا في هذا المكان إيذاءً بليغاً وقتلهم وأسرهم وجلاهم عنها سبعين سنة. وهكذا آذاهم السلاطين الآخرون. فآذاهم طيطوس الرومي إيذاءً جاوز الحد حتى مات في حادثته ألف ألف ومائة ألف بالقتل والصلب والجوع وأسر منهم سبعة وتسعين ألفا وجلاهم منها هم وأولادهم، وهم إلى الآن متفرقون في أقطار العالم في غاية الذل والنكال.

الغلط الرابع:

في العدد الثاني عشر من الأصحاح المذكور من السفر المذكور في وعد الرب لداود عليه السلام على لسان النبي ناثان هكذا: "متى كَمُلت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيمُ بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت ملكه. هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد.

أكون له أباً وهو يكون لي ابنا إن تَعَوَّج أُأدبه بقضيب وبضربات بني آدم، ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول، الذي أزلته من أمامك، ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد" انتهى.

وجاء هذا الوعد في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول وهو هكذا. "هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة، وأريحه من جميع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً، وأنا له أبا وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد" انتهى.

فعلم من هذين القولين: أن الله تعالى وعد أن السلطنة لا تزول من بيت داود ﷺ إلى الأبد. وهو غلط. وفيه شيء آخر يجب التنبيه عليه وهو أن مقدس أهل التثليث بولس نقل هذا القول في العدد السادس من الأصحاح الأول من رسالته العبرانية في فضل المسيح على الملائكة هكذا: "أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابناً" انتهى. وعلماء أهل التثليث يصرحون في كتبهم أن هذا العدد إشارة إلى العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع من سفر صموئيل نقلة. **قال الشيخ رحمة الله: وهذا الزعم غير صحيح لوجوه:**

الأول: أنه صرح في سفر أخبار الأيام المذكور أن اسمه يكون سليمان.

الثاني: أنه صرح في السفرين المذكورين أنه يبني لاسمي بيتاً؛ فلابد أن يكون هذا الابن بانى البيت، وهو ليس إلا سليمان عليه السلام وقد ولد المسيح عليه السلام بعد ألف وثلاث سنين من بناء البيت، وهو كان يخبر بخرابه، كما هو مصرح به في الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى.

الثالث: أنه صرح في السفرين المرقومين أنه يكون سلطاناً والمسيح عليه السلام ما كان سلطاناً على إسرائيل بل كان فقيراً حتى نقل عنه أنه قال في حق نفسه هكذا: "للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه" كما هو مصرح بذلك في العدد العشرين من الأصحاح الثامن من إنجيل متى.

الرابع: أنه صرح في سفر أخبار الأيام المذكور أنه يكون صاحب راحةٍ وهدوء، وأن الرب يريحه من جميع أعدائه، والمسيح عليه السلام ما حصل له الهدوء والراحة من أعدائه من أيام الصبَّا إلى أن قُتل وصلب -على زعمهم- بل كان خائفاً من اليهود ليلاً ونهاراً، فاراً في أكثر أوقاته من موضع إلى آخر، حتى أسروه وأهانوه وضربوه وصلبوه، بخلاف سليمان عليه السلام فإن هذا الوصف كان ثابتاً في حقه على الوجه الأكمل.

الخامس: أنه صرح في السفر المذكور هكذا: "فأجعل سلامةً وسكينةً على إسرائيل في أيامه" مع أن اليهود كانوا في عهد المسيح عليه السلام مطيعين للروم وعاجزين عنهم.

السادس: أن سليمان عليه السلام ادعى بنفسه أن هذا الخبر في حقه كما هو مصرح به في الأصحاح السادس من السفر الثاني من أخبار الأيام. فإن قالوا: إن هذا الخبر وإن كان بحسب الظاهر في حق سليمان عليه السلام لكنه في الحقيقة في حق المسيح عليه السلام لأنه من أولاد سليمان، قلت: هذا غير صحيح لأن الموعود به لابد أن يكون موصوفاً بالصفات المذكورة، والمسيح عليه السلام بخلاف ذلك. وإن قطعنا النظر عن الصفات المذكورة فلا يصح أن يراد بهذا الخبر؛ المسيح -على زعم الجمهور من متأخريهم- لأنهم يقولون لأجل رفع الاختلاف الواقع بين كلام متى ولوقا في بيان نسب المسيح عليه السلام أن متى بيَّن نسب يوسف النجار ولوقا بين نسب مريم عليها السلام وهو مختار القسيس فندر صاحب ميزان الحق. والظاهر أن المسيح عليه السلام ليس ولداً ليوسف النجار ونسبته إليه من قبيل أضغاث الأحلام، بل هو ولد مريم عليها السلام وبهذا الاعتبار لا يكون من أولاد سليمان عندهم، بل من أولاد ناثان بن داود عليه السلام فلا يكون الخبر الوارد في حق الحقيقة، وإنما هو من أبناء أخيه ناثان. انتهى

الغلط الخامس:

في العدد الثاني من الأصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني هكذا: "وكان أخزيا ابن اثنين وأربعين سنة حين ملك" وهذا غلط كيف لا وأن أباه يهورام حين مات كان ابن أربعين سنة وابنه أخزيا جلس على سرير السلطنة بعد موته متصلاً، كما يعلم ذلك من

الأصحاح الذي قبل هذا الأصحاح المذكور فلو لم يكن غلطاً؛ يلزم أن يكون أكبر من أبيه بسنتين. ولقد جاء في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني أن أخزيا حين ملك كان ابن اثنتين وعشرين سنة، وهو الصحيح. والأول غلط يقيناً.

الغلط السادس:

في العدد الثامن من الأصحاح الأول من إنجيل متى في بيان نسب المسيح ﷺ هكذا: "ويورام ولد عُزّيا" وهذا القول غلط فإن الذى يُعلم من العدد الحادى عشر من الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول أن يورام ابنه أخزيا وأخزيا ابنه يوآش ويوآش ابنه أمصيا، وأمصيا ابنه عزّيا فعزيا هو ابن أمصيا لا بن يورام. وهؤلاء الثلاثة أجيال ساقطة من إنجيل متى. وهم كانوا من السلاطين المشهورين وأحوالهم مندرجة فى سفر الملوك وأخبار الأيام الثانى من التوراة، ولا يعلم وجه وجيه لإسقاط هذه الأجيال الثلاثة فى الإنجيل سوى أنه غلط من متّى الإنجيلى.

الغلط السابع:

فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الأول من إنجيل متى أيضًا: أن زَرُبَّابل بن شَألتيئيل. وهو غلط أيضًا لأن زربابل بن فدايا لا بن شَألتيئيل عمه، كما هو مصرح به فى الأصحاح الثالث من أخبار الأيام.

الغلط الثامن:

فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الأول من إنجيل متى أيضًا: أن أبيهود بن زروبابل وهو غلط أيضًا لأن زروبابل كان لــه خمــسة أولاد من الذكور ولم يوجد فيهم أبيهود، كما يعلم ذلك من العدد التاسع عشر من الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول. فهــذه ثلاثــة أغلاط صدرت عن متى الإنجيلى فى نسب المــسيح ﷺ وصــاحب إظهار الحق ذكر فى كتابه إحدى عشر غلطًا صدرت عن متى فى هذا الأصحاح فقط. فراجعه إن شئت.

الغلط التاسع:

فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الأول من إنجيل متــى أيضًا هكذا. "وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ : هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً ، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيل الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا" انتهى. والمراد بالنبى عند علماء أهل التثليث: إشعياء ﷺ حيث قال فى العدد الرابــع عشر من الأصحاح السابع من كتابه هكذا: "اجل يعطيكم الرب عينــه علامة: ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل" انتهى. فمــا نقله متى غلط لوجوه:

الأول: أن المسيح ﷺ ما دعاه أحد بعمّانوئيل أصلاً، لا أمه ولا أبوه ولا أحد من الناس، وإنما اسمه يسوع. وكان الملك قال لأبيه فــى يوسف النجار فى الرؤيا: "وتدعو اسمه يسوع" كما صرح بذلك متــى فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الأول مــن إنجيلــه، وكــان جبريل ﷺ قال لأمه مريم عليها السلام هكذا: "ستحبلين وتلدين ابنــا

وتسمينه يسوع" كما صرح بذلك لوقا في العدد الحادى والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيله. والمسيح ﷺ لم يُدع ولا فى حين من الأحيان بعمانوئيل.

الوجه الثانى: إن القضية التى وقع فيها هذا القول التى من كلام إشعياء ﷺ تأبى أن يكون مصداق هذا القول المسيح ﷺ فإن من رجع إلى ذلك الأصحاح وتأمله وجده فى رصين ومملكة الملك فقَح أن امرأة عذراء تلد ابنا وتدعوا اسمه عمانوئيل وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الولد الخير عن الشر. وقد ثبت أن أرض الملك فقَح قد خربت فى مدة إحدى عشر سنة من هذا الخبر؛ فلا بد أن يتولد هذا الولد قبل هذه المدة وتخرب قبل تميزه. وأما المسيح ﷺ فقد تولّد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها. وقد اختلف علماء اليهود من أهل الكتاب فى مصداق هذا الخبر فاختار البعض أن إشعياء ﷺ يريد بالمرأة؛ زوجته. وهذا القول هو الحرى بالقبول وقريب من القياس.

الوجه الثالث: أن اللفظ الذى ترجمه متى الإنجيلى ومترجم كتاب إشعياء بالعذراء هو لفظ عَلَمَه ومعناه فى العربية عند علماء اليهود: المرأة الشابة. سواء كانت عذارء أو غيرها. ويقولون: إن هذا اللفظ وقع أيضًا فى الأصحاح الثلاثين من سفر الأمثال ومعناه أيضًا: أنه المرأة الشابة التى زوجت. وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة يعنى ترجمة أيكوئلا وترجمة تهيودوش وترجمة

سميكس. وهذه التراجم عندهم قديمة يقولون إن الأولى ترجمت فى سنة مائة وتسعة وعشرين من الميلاد وكانت هذه الثلاثة معتبرة عند القدماء من المسيحيين سيما ترجمة تهيودوش. فعلى تفسير هذه التراجم القديمة وتفسير علماء اليهود يكون كلام متى الإنجيلى ظاهر الفساد. وقال فرى فى كتابه الذى صنفه فى بيان اللغات العبرانية، وهو كتاب معتبر مشهور بين علماء بروتستنت إن هذا اللفظ مشترك بين العذراء والمرأة الشابة. فعلى قول هذا الفاضل يكون هذا اللفظ مشتركًا بين هذين اللفظين. والحجة متى تطرق إليها الاحتمال سقط منها الاستدلال فحمله على العذراء خاصة، على خلاف تفاسير اليهود الذين هم أهل النسان العبرانى، وعلى خلاف تفاسيرالتراجم القديمة؛ يحتاج إلى دليل يخصصه بذلك. ويعلم من هذا أيضًا: أن ما قاله صاحب ميزان الحق فى كتابه المسمى بحل الأشكال من أنه ليس معنى هذا اللفظ إلا العذراء فقط؛ غلط يقينًا.

الغلط العاشر: فى العدد الثالث والعشرين من الأصحاح الثانى من إنجيل متى أيضًا فى حال المسيح ﷺ هكذا: "وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة[1] لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا" انتهى. وهذا القول غلط أيضًا فإنه لا يوجد فى كتاب من كتب الأنبياء أنه سيدعى ناصريا. واليهود ينكرون هذا الخبر أشد الإنكار، وعندهم

---

[1] مدينة الناصرة: من نصيب اليهود السامريين والعداء كان شديدا بين اليهود العبرانيين الذين منهم المسيح بحسب أمه؛ فكيف يعيش المسيح وأمه فى الناصرة؟

هذا زور وبهتان. بل يعتقدون أنه لم يقم نبى من الجليل المشتمل على مدينة الناصرة، فضلاً عن أن يقم من الناصرة. كما صرح بذلك يوحنا الإنجيلى فى العدد الثانى والخمسين من الأصحاح السابع من إنجيلـــه. فهذه خمسة أغلاط صدرت من متى فى الأصـــحاحين الأولـــين مـــن إنجيله. وصاحب إظهار الحق ذكر فى كتابه سبعة عشر غلطًـــا عـــن هذين الأصحاحين فقط. فارجع إليه إن شئت.

الغلط الحادى عشر: فى العدد التاسع مـــن الأصـــحاح الـــسابع والعشرين من إنجيل متى أيضًا هكذا: "حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِـــلِ: وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ ،ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ" انتهى فلفـــظ إرمياء غلط وهو من الأغلاط المشهورة الواقعة فى إنجيل متى. فـــإن هذا القول لا وجود له فى كتاب إرمياء أصـــلا، بـــل لا يوجـــد هـــذا المضمون فى كتاب آخر من سائر كتب العهد القديم بهذه الألفاظ. نعم يوجد فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عـــشر مـــن كتـــاب زكريا عليه السلام عبارة تناسب هذه العبارة لكن بين العبارتين فرق جلـــى. ومع قطع النظر عن هذا الفرق لا علاقة لعبارة كتـــاب زكريـــا عليه السلام بعبارة متى. ومن رجع إلى هاتين العبارتين وتأملهمـــا؛ يعلـــم حقيقـــة الأمر، وأن ما نقله متى غلط يقينًا.

الغلط الثانى عشر: فى العدد التاسع والثلاثين من الأصـــحاح الثـــانى عشر من إنجيل متى هكذا " فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ: جيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً ، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّـــامٍ

وَثَلاَثَ لَيَالٍ ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ" انتهى. وهذا القول غلط صريح وليس هو من كلام السيد المسيح؛ فإن المصلوب صلب قريبًا من نصف النهار من يوم الجمعة المبارك كما يظهر ذلك من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا ومات في الساعة التاسعة وطلب يوسف جسده من بيلاطس وقت المساء؛ فكفنه ودفنه. كما صرح بذلك مرقس فى الأصحاح الخامس عشر من إنجيله. فكان دفنه فى ليلة السبت ومكث هذا الجسد فى القبر إلى قبيل الفجر من نهار الأحد، كما صرح بذلك فى الأصحاح العشرين من إنجيل يوحنا. إذا علمت هذا تعلم أن قوله "يمكث فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" غلط يقينًا فإنه ما مكث إلا يومًا واحدًا وليلتين على ما شهد به هذا الإنجيل.

الغلط الثالث عشر: فى العدد السابع والعشرين من الأصحاح السادس عشر من إنجيل متى أيضًا فى قول المسيح هكذا: " فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِه ، وَحِينَئِذ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِه. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتياً فِي مَلَكُوتِه " انتهى وهذا غلط أيضًا وليس من كلام السيد المسيح عليه السلام فإن جميع الذين كانوا قائمين هناك ذاقوا الموت وصاروا عظامًا بالية وترابًا، ومضى على ذوقهم الموت أزيد من ألف وثمانمائة سنة، وما أرى أحد منهم ولا غيرهم ابن الإنسان آتيًا فى ملكوته.

الغلط الرابع عشر: فى العدد الثالث من الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى أيضًا. وحاصل ما فيه: أن المسيح عليه السلام كان جالسًا على جبل الزيتون فتقدم إليه تلاميذه وسألوه عن علامة الزمان الذى يصير فيه بيت المقدس خرابًا، وعلامة الوقت الذى ينزل[1] فيه

---

[1] علامات نهاية الزمان: المقصود بها نهاية زمان الملك فى اليهود، وبدء زمان الملك فى العرب من مبعث محمد ﷺ وقد فهم المؤلف أن نهاية الزمان هى قيام يوم القيامة. ويدل على ما قلنا: أن المسيح بعدما تكلم عن العلامات قال فإذا تمت العلامات يظهر ابن الإنسان ويؤسس ملكوت السموات والملكوت هو لمحمد ﷺ يقول لوقا: " وَتَطَلَّعَ فَرَأَى الأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِزَانَةِ، وَرَأَى أَيْضاً أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ. فَقَالَ: بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ لأَنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ ، وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا ، أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا . وَإِذْ كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ الْهَيْكَلِ إِنَّهُ مُزَيَّنٌ بِحِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَتُحَفٍ ، قَالَ: هَذِهِ الَّتِي تَرَوْنَهَا ، سَتَأْتِي أَيَّامٌ لاَ يُتْرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ . فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ : يَا مُعَلِّمُ ، مَتَى يَكُونُ هَذَا ؟ وَمَا هِيَ الْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَصِيرُ هَذَا؟ فَقَالَ: انْظُرُوا! لاَ تَضِلُّوا. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي، أَنَا هُوَ ! وَالزَّمَانُ قَدْ قَرُبَ! فَلاَ تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ. فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَقَلاَقِلَ فَلاَ تَجْزَعُوا ، لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَوَّلاً ، وَلَكِنْ لاَ يَكُونُ الْمُنْتَهَى سَرِيعا . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ،وَتَكُونُ زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ ، وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ. وَتَكُونُ مَخَاوِفُ وَعَلاَمَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَبْلَ هَذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعَ وَسُجُونٍ ، وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي. فَيَؤُولُ ذَلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً. فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا ، لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا. وَسَوْفَ تُسَلَّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالإِخْوَةِ وَالأَقْرِبَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكِنَّ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِكُمْ لاَ تَهْلِكُ. بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ. وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ ، فَحِينَئِذٍ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَد اقْتَرَبَ خَرَابُهَا. حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ ، وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا فَلْيَفِرُّوا خَارِجاً ، وَالَّذِينَ فِي الْكُوَرِ فَلاَ يَدْخُلُوهَا ، لأَنَّ هَذِهِ أَيَّامُ انْتِقَامٍ ، لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ. وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ! لأَنَّهُ يَكُونُ ضِيقٌ عَظِيمٌ عَلَى الأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هَذَا الشَّعْبِ. وَيَقَعُونَ بِفَمِ السَّيْفِ ، وَيُسْبَوْنَ إِلَى جَمِيعِ الأُمَمِ ، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الأُمَمِ حَتَّى تُكَمَّلَ أَزْمِنَةُ

من السماء، وعلامة قيام القيامة. فبيَّن عليه السلام علامات الكل وبين أولا زمان خراب بيت المقدس، ثم قال: وبعد هذه الحادثة فى تلك بلا مهلة يكون نزولى ومجئ القيامة. فمن العدد الخامس إلى العدد الثامن والعشرين يتعلق بخراب بيت المقدس، ومن العدد التاسع والعشرين يتعلق بخراب بيت المقدس، ومن العدد التاسع والعشرين إلى آخر الأصحاح يتعلق بنزول المسيح عليه السلام ومجئ القيامة. وبعض أعداد هذا الأصحاح هكذا " وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ،وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصاً وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا ، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ

الأُمَمِ. وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَعَلَى الأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ. اَلْبَحْرُ وَالأَمْوَاجُ تَضِجُّ وَالنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ ، لأَنَّ قُوَّاتِ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. وَمَتَى ابْتَدَأَتْ هَذِهِ تَكُونُ ، فَانْتَصِبُوا وَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لأَنَّ نَجَاتَكُمْ تَقْتَرِبُ . وَقَالَ لَهُمْ مَثَلاً: اُنْظُرُوا إِلَى شَجَرَةِ التِّينِ وَكُلِّ الأَشْجَارِ. مَتَى أَفْرَخَتْ تَنْظُرُونَ وَتَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنَّ الصَّيْفَ قَدْ قَرُبَ. هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً ، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً ، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ ، وَلَكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ ، فَيُصَادِفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً. لأَنَّهُ كَالْفَخِّ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْجَالِسِينَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. اِسْهَرُوا إِذاً وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الإِنْسَانِ . وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ، وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ. وَكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يُبَكِّرُونَ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَسْمَعُوهُ."

قَرِيبٌ. هَكَذَا أَنْتُمْ أَيضاً ، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلَكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ " انتهى.

أقول: وهذا غلط أيضًا وليس من كلام السيد المسيح عليه السلام فإنه لا بد أن يكون نزول المسيح عليه السلام من السماء ومجئ القيامة فى الأيام التى صار فيها خراب بيت المقدس بلا مهلة، كما يعلم ذلك من الأصحاح المذكور، وأنه لا بد أن ينظر ذلك الجيل المخاطب هذه الأمور الثلاثة، ويكون نزول المسيح عليه السلام من السماء فى عصرهم، كما كان ذلك ظن الحواريين والمسيحيين الذين كانوا فى الطبقة الأولى؛ لئلا يزول كلام المسيح قبل أن تزول السماء والأرض ويصر الحق باطلاً. والعياذ بالله تعالى. وقد جاء هذا الخبر فى الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس، ووقع فى الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل لوقا أيضًا. وبهذا الاعتبار بعد هذا الخبر ثلاثة أغلاط فى الإنجيل.

الغلط الخامس عشر: فى العدد الثامن والعشرين من الأصحاح التاسع عشرمن إنجيل متى أيضًا فى قول المسيح عليه السلام للحواريين هكذا: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي ، فِي التَّجْدِيدِ ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً " انتهى. وهذا القول أيضًا غلط وليس من كلام المسيح عليه السلام فإن يهوذا الأسخريوطى أحد هؤلاء الاثنى عشر المخاطبين قد ارتد ومات مرتدًا

جهنميًا[1]. والعياذ بالله تعالى. فلا يمكن أن يجلس علي الكرسى الثانى عشر إلا أن تكون تلك الكراسى والمجد فى جهنم. والعياذ بالله تعالى.

الغلط السادس عشر: فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا هكذا: "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" انتهى. وهذا الخبر أيضًا غلط صريح؛ فإن أخنوخ وإيلياء عليهما السلام صعدا إلى السماء. كما هو مصرح به فى الأصحاح الخامس من سفر التكوين والأصحاح الثانى من سفر الملوك الثانى.

الغلط السابع عشر: فى العدد الثالث والعشرين من الأصحاح الحادى عشر من إنجيل مرقس هكذا: "لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ! وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ" انتهى. وهذا أيضًا غلط صريح. وقد جاء مثل هذا فى العدد السابع عشر من الأصحاح السادس عشر من الإنجيل المذكور أيضًا هكذا: "وَهَذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لاَ يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُون " وجاء فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا " انتهى. فقوله: "من يؤمن بى" عام لا يختص بشخص دون شخص آخر، بل يتناول جميع الذين

---

[1] بحسب قول النصارى.

يؤمنون بالمسيح ﷺ وكذا قوله: "من يقول لهذا الجبل انتقل" عـام لا يختص به أحد دون آخر، وزمان دون زمان. ولا يختص بمن يـؤمن بالمسيح ﷺ بل يعم جميع العالم الذين لا يشكّون فى انتقال الجبـل إذا قالوا له انتقل. وكذا قوله "هذه الآيات تتبع المؤمنين" عـام لا يخـتص بالحواريين ولا بالطبقة الأولى من المسيحيين، وتخصيص هذه الأمور بالطبقة الأولى لا دليل عليه سوى الادعاء البحت، على أنه ما سـمعنا أن أحدًا من المسيحيين فعل أفعالاً أعظم من أفعال المسيح ﷺ بل ولا مثلها ولا أقل منها. لا فى الطبقة الأولى ولا بعدها. فقولـه "ويعمـل أعظم منها" غلط يقينًا. وليس من كلام المسيح ﷺ فإنه لا مصداق لهذا القول فى طبقة من طبقات المسيحيين. والأعمال التى صـدرت عـن الحواريين ليست هى أعظم مما صدر عن المسيح ﷺ وقد اعتـرف علماء بروتستنت بأن صدور خوارق العادات بعد الطبقة الأولـى لـم يثبت بدليل قوى. والحق أن المسيحيين المعاصريين لنا ليسوا بمؤمنين بالمسيح ﷺ من إحياء الموتى وإبراء الأكمـه والأبـرص وإخـراج الشياطين من المجانين وحمل الحيَّات، وما عملوا من ذلك شيئًا فليسوا بمؤمنين.

الغلط الثامن عشر: فى العدد السابع والعشرين مـن الأصـحاح الثالث من إنجيل لوقا فى بيان نسب المسيح ﷺ هكذا: " بْنِ يُوحَنَّا، بْـنِ رِيسَا ، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ ، بْنِ نِيرِي" ففى هذا العدد ثلاثة أغلاط. **الأول:** أن أولاد زربابل خمسة مصرح بهم فى الأصحاح الثالث مـن أخبـار

الأيام الأول، ولم يوجد فيهم رِيسا، وهو مخالف لما كِتب متى أيـــضًا. **الثانى**: أن زربابل ابن فدايا وليس بن شالتيئيل، وإنما شالتيئيل عمـــه، كما علمت ذلك فى الغلط السابع. **الثالث**: أن شالتئيل بن يكُنيا ولـــيس ابن نِيرى. كما يُعلم ذلك من الأصحاح الثالث من أخبار الأيـــام الأول. وهو مخالف لما كتب متى أيضًا. فهـــذا العـــدد فيـــه ثلاثـــة أغـــلاط واختلافات فتأمل.

الغلط التاسع عشر: فى العدد الحادى عشر من الأصحاح الثانى عشر من إنجيل لوقا نقلاً عن قول المسيح ﷺ هكذا: "وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ أَوْ بِمَا تَقُولُـــونَ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوه " انتهى. فهذا القـــول يفيد أن المسيح ﷺ كان وعد تلاميذه أن الشئ الـــذى يقولونـــه أمـــام الحكام والسلاطين يكون بإلهام روح القدس، ولا يكون من قولهم. وهو غلط صريح وليس من كلام السيد المسيح ﷺ ويدل على ذلك: ما جاء فى أول الأصحاح الثالث والعشرين من كتاب الأعمال فى قصة تقـــديم بولس فى المجمع أمام حنانيا رئيس الكهنة، وهو هكذا: "فتفرس بولس في المجمع وقال: أيها الرجال الإخوة إني بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم. فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يـــضربوه على فمه. حينئذ قال له بولس: سيضربك الله أيها الحـــائط المبـــيض. أفأنت جالس تحكم عليّ حسب الناموس وأنت تأمر بـــضربي مخالفـــا للناموس؟ فقال الواقفون: أتشتم رئيس كهنة الله؟ فقال بولس: لم أكـــن

أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كَهنة: لأنه مكتوب: "رئيس شعبك لا تقل فيه سوءا" انتهى. فلو كان القول الذى نقله لوقا صادقًا، ومن كلام المسيح؛ لما غلط حضرة بولس مقدس أهل التثليث الذى هو من أكابر الحواريين فى زعم أهل التثليث. وهو يدعى أيضًا المساواة بينه وبين أعظم الحواريين بطرس ولا ترجيح لحضرة بطرس عليه عند فرقة بروتستنت؛ فغلطُ هذا المقدس الذى عليه اعتماد فرقة بروتستنت؛ دليل واضح علىعدم صدق القول الذى نقله لوقا فإنه لو كان صدقًا لاستحال أن يغلط حضرة القديس بولس؛ لأن روح القدس يستحيل عليه الغلط، وحيث كان هذا القول مذكورًا فى الأصحاح العاشر من إنجيل متى والأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس؛ يُعد هذا الاعتبار ثلاثة أغلاط فى الإنجيل، على وفق عدد التثليث.

الغلط العشرون: فى العدد الخامس من الأصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس فى حال ظهور المصلوب بعد قيامه من القبر هكذا: "وأنه ظهر لصَفَا ثم للاثنى عشر" انتهى. وهذا غلط صريح أيضًا لأن يهوذا الإسخريوطى الذى هو أحد هؤلاء الاثنى عشر كان قد مات قبل حدوث هذه الواقعة، فما كان الحواريون إلا إحدى عشر. ولهذا كتب مرقس فى العدد الرابع عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله أنه ظهر للإحدى عشر. فارجع إليه إن شئت، بل الذى يظهر من كلام يوحنا فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح العشرين من إنجيله أن الحواريين الذين ظهر لهم المسيح ما كانوا إلا

عشرة؛ فإنه نص على أن توما الذى هو واحد من الإثنى عشر؛ لم يكن مع الحواريين حين ظهور المصلوب. فعلى هذا لم يكن حاضرًا في ذاك الوقت سوى عشرة من الحواريين وبهذا الاعتبار يُعدّ هذا الغلط غلطين. وفيه اختلافان.

الغلط الحادى والعشرون: فى العدد الثانى والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل لوقا فى قول جبريل لمريم عليهما السلام هكذا: "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ،وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَة " انتهى . وهذا النقل غلط يقينًا من وجهين.

الوجه الأول: أن المسيح عليه السلام من أولاد يواقيم على حسب النسب المندرج فى الأصحاح الأول من إنجيل متى. ولا يصحّ أن يجلس أحد من أولاد يواقيم على كرسى داود البتة، كما يعلم ذلك من العدد الثلاثين من الأصحاح الثانى والعشرين والعدد الثلاثين من الأصحاح السادس والثلاثين من كتاب إرمياء.

الوجه الثانى: أن المسيح عليه السلام ما جلس على كرسى داود عليه السلام أصلاً بل ولا ساعة واحدة ولم يحصل له حكومة على آل يعقوب عليه السلام البتة، بل قام آل يعقوب عليه وأحضروه أمام كرسى بيلاطس، وحكم عليه بالضرب والإهانة والقتل وسلّمه إلى اليهود فصلبوه -على زعمهم- ويعلم من الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا: أن المسيح عليه السلام كان يهرب خوفًا من أن يصير ملكًا، ولا يتصور الهرب من أمر

بعثه الله لأجله، على ما بشرت به مريم من جبريل قبل ولادته. ومن المعلوم البين: أن كرسى داود ﷺ كان فى الأرض لا فى السماء؛ فتأمل.

الغلط الثانى والعشرون: فى العدد الرابع والستين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى فى خطاب المسيح ﷺ لليهود هكذا " مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ ،وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ " انتهى وهذا غلط أيضًا لأن اليهود ما رأته جالسًا عن يمين القوة أصلاً ولم تبصره آتيًا على سحاب السماء لا قبل موت المصلوب ولا بعده إلى هذا الحين.

الغلط الثالث والعشرون: فى العدد التاسع والعشرين من الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس نقلاً عن المسيح ﷺ هكذا " اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، بُيُوتاً وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَداً وَحُقُولاً، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ[1] الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ " انتهى. وجاء هذا الخبر فى الأصحاح الثامن عشر من إنجيل لوقا أيضًا، وكذا فى الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى. وهو غلط يقينًا؛ لأن الإنسان إذا ترك امرأة لأجل الإنجيل أو لأجل المسيح؛ لا

---

(1) لأن المؤلف لم يفهم معنى الدهر الآتى قال ما قال. والحق: أن الدهر الآتى هو دهر شريعة القرآن. والدهر السابق عليه هو دهر شريعة التوراة.

يحصل له مائة امرأة فى هذا الدنيا يقينًا. لأن المسيحِيين لا يُجَــوِّزون التزوج فى هذا الزمان بأزيد من إمرأة واحدة، وإذا كان المراد بهن فى هذا القول المؤمنات بالمسيح عليه السلام بدون عقد النكاح؛ يكون الأمر أفحش وأفسد –والعياذ بالله تعالى– وقوله "حقولاً مع اضطهادات" لا معنى له فإن الكلام هنا فى حسن المكافئــة والمجــازاة، فمــا دخــل الــشدائد والاضطهادات ههنا؟ وحيث كان هذا القول مندرجًا فى متــى ولوقــا ومرقس يُعَدّ بهذا الاعتبار ثلاثة أغلاط فى الإنجيل.

الغلط الرابع والعشرون: فى العدد الــسادس والعــشرين مــن الأصحاح الرابع عشر من إنجيل لوقا نقلاً عن كلام المسيح عليه السلام هكذا: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ ، حَتَّــى نَفْسَهُ أَيْضاً ، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِــي فَــلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً " انتهى.

وهذا الأدب عجيب، وليس من كلام[1] السيد المسيح عليه السلام فإنه قد قال موبخًا لليهود هكذا: "فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمْ أَباً أَوْ أُمّاً، فَلْيَمُتْ مَوْتاً" كما صرح بذلك متى فى العدد الرابع مــن الأصــحاح الخامس عشر من إنجيله. فبغض الوالدين ليس من إكرامهما، فكيــف يعلم ببغضهما؟ حاشا جنابه الشريف أن يصدر عنه ذلك.

---

[1] هو من كلام المسيح يحثهم به على الجهاد فى سبيل الله. والجهاد المطلــوب ههنــا: هو الدعوة إلى ملكوت السموات.

الغلط الخامس والعشرون: في العدد التاسع والأربعين من الأصحاح الحادى عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئاً، ولاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا! . وَلَمْ يَقُلْ هَـذَا مِـنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَـنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ" انتهى

وهذا القول غلط لوجوه:

الأول: أن هذا القول يدل علي أن قيافا رئيس كهنة اليهود؛ كان نبيا من الانبياء الصادقين. وهو باطل قطعا.

الثاني: أن قوله أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، يدلُّ علي أن موته كان كفارة عن أمته اليهود فقط، لا عن العالم كله. وهو مخالف لما هو مزعوم أهل التثليث. ويلزم علي هذا القول أيضا أن يكون قول يوحنا الانجيلي "وليس عن الأمة فقط" مخالف لنبوة قيافا رئيس الكهنة.

الثالث: أن هذا النبي الصادق الذي ثبتت نبوته عند يوحنا الإنجيلي، وهو الذي كان رئيسا للكهنة حين صلب المصلوب، هو الذي أفتي بقتله وكذبه ونسبه إلى التجديف والكفر ورضي بإهاناته وضربه، كما يُعلم ذلك من العدد السابع و الخمسين من الأصحاح السادس و العشرين من إنجيل متي. وعبارته فيه هكذا "والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلي قيافا رئيس الكهنة الخ"

ثم قال في العدد الثالث والستين: "وأما يسوع فكان ساكتا فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ فقال له يسوع: أنت قلت. وأيضا أقول لكم: إنكم من الآن تبصرون ابن الانسان(١) جالسا عن يمين القوة وآتيا علي سحاب السماء. فمزق حينئذ رئيس الكهنه ثيابه قائلا: قد جدف ماحاجتنا بعد إلي شهود.

ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: إنه مستوجب الموت. حينئذ بصقوا في وجهه، ولكموه، وآخرون لطموه" انتهي.

وقد أورد هذا الخبر يوحنا أيضا في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثامن عشر من إنجيله. وعبارته في حقه هكذا: "ومضوا به الي حنَّان أولا لأنه كان حمي قيافا الذى كان رئيسا للكهنة في تلك السنه. وكان قيافا هو الذي أشار علي اليهود أنه خير ان يموت إنسان واحد عن الشعب" انتهي.

فإذا كان كلام قيافا رئيس الكهنة بالنبوة والإلهام، فكيف ساغ له أن يفتي بقتل المسيح؟ وكيف كذبه وكفره ورضي بضربه وإهانته؟ أيفتي النبي بقتل إلهه ويكفر به في ألوهيته ويكفره ويهينه؟ فإذا كانت النبوة حاويه لأمثال هذه الشنائع؛ فنحن برآء عن هذه النبوة وعن صاحبها. والحق أن يوحنا الحواري بريء عن أمثال هذه الأقوال

---

(١) ابن الإنسان لقب محمد ﷺ وهذا يدل على أن المسيح فى آخر عمره كان يبشر به.

الواهية، كما أن المسيح عليه السلام بريء عن ادعاء الالوهية والبنوة الحقيقية، وإنما هذه وامثالها من خرافات المثلثين يقينا.

الغلط السادس والعشرون: في العدد الخمسين من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متي هكذا: "فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح وإذا حجاب الهيكل قد انشقّ إلي اثنين من فوق إلي أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت و قام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين " انتهي.

أقول إن هذه الحكاية لا سبيل إلي تصديقها[١] لوجوه:

الأول: إن هذه الحوادث العظيمة حيث كانت ظاهره ومشهودة؛ يستبعد العقل ألا يكتبها أحد من المؤرخين الذين كانوا في ذاك الزمان، غير متي الإنجيلي. ولو فرضنا أن المخالفين امتنعوا عن كتابتها لأجل سوء ديانتهم أو عنادهم فلابد أن يكتبها الموافقون، سيما لوقا الانجيلي الذي كان أحرص الناس في تحرير العجائب التي تصدر عن المسيح عليه السلام وكان متتبعا لجميع الأمور التي كان يفعلها المسيح عليه السلام كما يُعلم ذلك من مقدمة إنجيله. وكيف يتصور أن يكتب الإنجيليون الحالات التي ليست بعجائب ولا يكتبون الأمور العجيبة؟

---

[١] الغرض من كتابتها: هو تجميع نبوءات من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ واللغو فيها بهذه الحيلة.

وكيف كتب مرقس ولوقا انشقاق الحجاب وترك الأمور الباقية التي اعظم منه؟ فإن تشقق الصخور وقيام الأموات من القبور أعظم من انشقاق حجاب الهيكل.

الثاني: إن متي كتب في هذا الأصحاح "أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس في اليوم الثاني من صلب المصلوب قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال في حياته: إني أقوم بعد ثلاثة أيام فمر بضبط القبر إلي اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلا و يسرقوه، فتكون الضلالة الأخرى أشر من الأولى"

وذكر متي في هذا الأصحاح أيضا: "أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضين بقتله وصلبه. فلو وقعت هذه الأمور؛ ماكان يمكنهم أن يذهبوا إلى بيلاطس" والحال أن حجاب الهيكل منشق، والصخور مشققة والقبور مفتوحة والأموات حية قائمة من قبورها. فكيف يتصور أن تذهب اليهود إلي بيلاطس وهم مشاهدون لهذه العجائب التي كانت بعد موته، ويقولون له عنه: إنه كان مضلا مع أن بيلاطس ماكان راضيا بقتله من أول الأمر كما علمت؟ فلو كانت هذه الأمور واقعة ورآها بيلاطس؛ لكان كذبهم في قولهم عنه إنه كان مضلا -العياذ بالله تعالي- لأن هذه العجائب لا تصدر لأجل موت رجل مضل.

الثالث: إن هذه الأمور آيات عظيمة. فلو وقعت لكان آمن كثير من الروم و اليهود في ذلك الوقت، علي ما جرت به العاده ألا تري أنه لما نزل روح القدس علي الحواريين وصاروا يتكلمون بألسنة

مختلفة تعجب الناس وآمن منهم نحو ثلاثة آلاف رجل علي ما هو مصرح به في الأصحاح الثاني من كتاب أعمال الرسل. وهذه الأمور التي صدرت عند صلب المصلوب أعظم من القدرة علي التكلم بألسنة مختلفة. قال الفاضل نورتن في كتابه بعد أن نقل عبارة متي هكذا: "هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة في اليهود بعد ما صارت أورشليم خرابا. فلعل أحدا كتبها في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متي، وأدخلها الكتاب في المتن، ثم وقع هذا المتن في يد المترجم فترجمها علي حسبه" انتهي.

قلت: وهذا القول هو عين الحق و الانصاف، وعليه المعول، ولا يلتفت إلي غيره.

الغلط السابع والعشرون: في العدد السادس و الثلاثين من الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا أن شالح بن قَيْنان بن أرفكشاد. وهذا غلط يقينا لأن شالح بن أرفكشاد لا ابن ابنه. كما يعلم ذلك من الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين ومن الأصحاح الأول من سفر أخبار الأيام الأول، بل لا يوجد لهذا الاسم ذكر في كتب العهد القديم في الأصل العبراني، ولا ترجيح لغيره عليه لأنه الأصل. قال شارح الأناجيل القس سمعان كلهون في الصفحة السبعين، من كتابه المسمي اتفاق البشير ودليل المسترشدين، المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٦ من الميلاد هكذا: "ان قَيْنان المذكور بعد أرفكشاد ليس له ذكر في العهد القديم في الأصل العبراني. فالظاهر أنه قد دخل في إنجيل

لوقا من غفلة أحد النساخ" انتهي. قلت: ولقد أنصف هذا القسيس باعترافه أن هذا الجيل دخل زائدا في الإنجيل، وهذا من التحريف بالزيادة. فتأمل.

الغلط الثامن والعشرون: في العدد الخامس و العشرين من الأصحاح الثاني من إنجيل مرقس نقلا عن كلام المسيح عليه السلام هكذا: "فقال لهم: أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله في أيام أبياثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا" انتهى.

ففى هذين العددين ثلاثة اغلاط:

الأول: أن داود عليه السلام حين جاع ودخل بيت الله، كان منفردا وما كان معه أحد فقوله: "والذين كانوا معه" غلط.

الثانى: قوله: "وأعطى الذين كانوا معه" غلط أيضا؛ لانه لم يكن معه أحد.

الثالث: أن رئيس الكهنة الذى كان فى تلك الايام الذى أعطى داود عليه السلام خبز التقدمة والموجود؛ هو أخيمالك لا أبياثار وأما أبياثار فهو ابن أخيمالك. كما يعلم ذلك كله من الأصحاح الحادى والعشرين والثانى والعشرين من سفرصموئيل الأول. وعلماء بروتستنت قد اعترفوا بالغلط الثالث إلا شارح الاناجيل القس سمعان كلهون فإنه أجاب عنه بجواب بارد لا يلتفت إليه.

الغلط التاسع والعشرون: فى العدد التاسع عشر من الأصحاح التاسع من الرسالة العبرانية لبولس هكذا:"لأن موسى بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفا قرمزيا وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلا **هذا هو دم العهد**[1] الذي اوصاكم الله به والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمه رشها كذلك بالدم، وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم" انتهي.

وهذا القول غلط أيضاً لوجوه:

الأول: أنه ما كان دم العجول والتيوس، وإنما الذي كان دم الثيران فقط. والثيران جمع ثور وهو الواحد من البقر.

الثاني: أن الدم ما كان في هذه المرة مع ماء وصوف قرمزي وزوف وإنما الذي كان هو الدم فقط.

الثالث: أن موسي عليه السلام ما رشّ علي الكتاب نفسه ولا علي جميع آنية الخدمة بل رش نصف الدم علي المذبح ونصفه الآخر علي

---

[1] فى التوراة أن بنى إسرائيل لما خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام اتجهوا إلى جبل الطور. وقال الله لهم: هل توافقون على أن أنزل عليكم شريعة تجاهدون بها الأمم وتمحون بها عبادة الأصنام؟ وردوا بقولهم: "كل ما تكلم به الرب فإياه نفعل" عندئذ جعل لموسى ميقاتا أربعين ليلة هو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل ليعمل معهم عهدا. فأخذ موسى الشيوخ وصعد إلى الجبل ونزل فعمل مراسيم وشعائر العهد –الذى هو أيضا الميثاق– ورش الدم...إلخ. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أى أنهم لما قالوا سمعنا وإياه نفعل؛ واثقهم.

الشعب كما يعلم ذلك صراحةً من العدد الثالث إلي العدد التاسع من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج وعبارته فيه هكذا: "فجاء موسي وحدّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسي جميع أقوال الرب وبكّر في الصباح وبني مذبحا في أسفل الجبل واثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثني عشر، وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسي نصف الدم ووضعه في الطسوس ونصف الدم رشه علي المذبح وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا: كل ماتكلم به الرب نفعل و نسمع له، وأخذ موسي الدم ورش علي الشعب وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم علي جميع هذه الاقوال" انتهي.

الغلط الثلاثون: في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني من إنجيل متي هكذا: "وكان هناك إلي وفات هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: من مصر دعوت ابني" انتهي.

والمراد بالنبي القائل: هوشع عليه السلام وأشار متي الإنجيلي إلي العدد الأول من الأصحاح الحادي عشر من كتاب هوشع المذكور، وهذه الإشارة غلط. ولا علاقة لهذا العدد بالمسيح عليه السلام فإن ذلك العدد في ذاك الكتاب نصه هكذا: "إن إسرائيل منذ كان غلاما انا احببته ومن مصر دعوت أولاده" على ما فى النسخة العربية المطبوعة سنة

١٨١١ من الميلاد. فالإنجيلى حرف صيغة الجمع بـــالفرد، وضــمير الغائب بالمتكلم. فقال ما قال وكذلك اصحاب التراجم المطبوعــة بعــد تلك الترجمة قد حرفوا أيضا صيغة الجمع وضمير الغائب بالمتكلم فى كتاب هوشع؛ لتوافق عبارته عبارة الإنجيل لكن لا تخفى خيانتهم على من طالع الأصحاح المذكور فى الكتاب المرقوم فإنه وقــع فــى حــق المدعوين من مصر بعد ذلك العدد هكذا: "كلما دعوا ولــوا وجــوههم وذبحوا للبعاليم وقربوا للأصنام"

وهذه الأمور لا تصدق على المسيح عليه السلام فإنه مــا ذبــح للبعاليم ولا قرب للأصنام. والحق أن هذه العبارة قيلت فى حق بنــى إسرائيل الذين كانوا فى مصر تحت طاعة فرعون.

ومما يستحق الذكر ها هنا ما يعلم من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام ما ذهب إلى مصر مدة حياته حتى يدعى منها؛ فإنــه صــريح كلامه أن بعد ما تمت مدة نفاس السيدة مريم ذهبت بــه مــع يوســف النجار إلى أورشليم وبعد تقديم الذبيحة رجعا به الى ناصــرة الجليــل وأقاما فيها وكان يذهبان إلى أورشليم فى أيام العيد من كل سنة، ولمــا بلغ عمره اثنى عشر سنة صعد إلى أورشليم وأقام فيها ثلاثة أيام بغير اطلاع أبويه جاءا إلى أورشليم وأخذاه ونزلا به الى الناصــرة وأقــام هناك خاضعا لهما إلى أن عُمّد بماء الأردن ونزل عليه روح القــدس. كما يعلم ذلك من الأصحاح الثانى والثالث من إنجيل لوقا.

فعلى كلامه هذا: لا سبيل لذهابه الى مصر وإقامته فيها حتى يُدعى منها؛ فإن صريح هذا الكلام أن المسيح عليه السلام لم يسافر قط من أرض اليهود لا إلى مصر ولا إلى غيرها. فما فى متى غلط يقينا.

وحيث وصلتُ فى النقل إلى الثلاثين غلطا التى أردت ذكرها؛ أكتفى عليها خوف الإطالة. والآن أسرع فى ذكر الاختلافات الثلاثين التى وعدتُ فى نقلها. فأقول:

الاختلاف الأول: يعلم من العدد الثالث عشر، من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن جادا أتي الى داود وأخبره قائلا: أن يكون علي أرضك سبع سنين جوعا. ويعلم من العدد الثاني عشر من الأصحاح الحادي و العشرين من سفر أخبار الأيام الأول أن الجوع يكون ثلاثة سنين. ففي الأول سبع سنين وفي الثاني ثلاثة سنين. ومفسرو المسيحيين قد اعترفوا بأن الأول غلط. وفي هاتين العبارتين اختلاف آخر في الوباء. ففي الأولي يكون الوباء في ارض داود ثلاثة سنين وفي الثانية ثلاثة اشهر. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف الثاني: يعلم من العدد الثامن من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني أن يهوياكين حين ملك كان ابن ثماني عشرة سنة ويعلم من العدد التاسع من الأصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني أنه ابن ثماني سنين فقط حين ملك. فبينهما اختلاف صريح والثاني غلط يقيناً كما اعترف بذلك مفسروهم. قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره في شرح هذه العباره هكذا: "وهذه

العبارة غلط البتة لأن سلطنته كانت الي ثلاثة أشهر ثم ذهب الي بابل أسيراً وكان في الحبس وأزواجه معه. والغالب أنه لا يكون لابن ثماني سنين أزواجا. ويشكل أيضاً أن يقال لمثل هذا الصغير أنه فعل ما كان قبيحاً عند الله. كما صرح بذلك في أصحاح أخبار الأيام المذكور. فهذا الموضع من هذا السفر محرف البتة" انتهي.

قلت: وهذا القول هو عين الحق والانصاف.

الاختلاف الثالث: في العدد الرابع من الأصحاح العشرين من سفر الخروج في خطاب موسي عليه السلام وقومه هكذا: "لا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة مّا مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الارض" وهذا مخالف لما جاء في العدد الثامن عشر من الأصحاح الخامس والعشرين من السفر المذكور في خطاب موسي عليه السلام أيضاً هكذا: "فاصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما علي طرفي الغطاء وتصنع كروباً واحداً علي الطرف من هنا وكروباً آخر علي الطرف من هناك. من الغطاء تصنعون الكروبين علي طرفيه، ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلي فوق مظللين بأجنحتهما الغطاء ووجهاهما كل واحد إلي الآخر. نحو الغطاء يكون وجها الكروبين" انتهي. فبينهما اختلاف صريح أحدهما غلط والأقرب أنه الثاني؛ فتأمل.

الاختلاف الرابع: يعلم من العدد الأول من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن الرب ألقي في قلب داود عليه

السلام أن يحصي بني إسرائيل ويعدّهم، ويعلم من العدد الأول، من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني أن الذي ألقي ذلك في قلب داود عليه السلام إنما هو الشيطان. والعياذ بالله تعالي. وحيث كان عندهم أن الله سبحانه وتعالي لم يخلق الشر؛ لزم الاختلاف القوي بين هاتين العبارتين.

الاختلاف الخامس: في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الرابع من سفر الملوك الأول هكذا: "وكان لسليمان أربعون ألف مزود لخيل مركباته واثنا عشر ألف فارس" وفي العدد الخامس والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر أخبار الأيام الثاني هكذا: "وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر ألف فارس" انتهي. فبينهما اختلاف صريح. وصاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ من الميلاد قد حرف عبارة سفر أخبار الأيام فبدل لفظ أربعة آلاف بأربعين ليوفق بين العبارتين. وهذه سجية فيهم لا يرجي تركها منهم. كما قال تعالي في سورة المائدة في حق اهل الكتاب:﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ والفاضل آدم كلارك قد نقل في تفسيره اختلاف التراجم ذيل عبارة سفر الملوك، ثم قال: الأحسن ان نعترف بوقوع التحريف في هذه الأعداد نظراً إلي هذه الاختلافات. انتهي.

الاختلاف السادس إلي الاختلاف العاشر: من قابل بيان نسب المسيح عليه السلام المدروج في الأصحاح الأول من إنجيل متي ببيان النسب المدروج في الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا وجد فيهما خمس

اختلافات: **الأول:** يُعلم من متي أن يوسف النجار ابن يعقوب، ومن لوقا انه ابن هالي. **الثاني:** يعلم من متي أن السيد المسيح عليه السلام من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام ويعلم من لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود عليه السلام. **الثالث:** يعلم من متي أن شألتئيل بن يكُنيا، ومن لوقا أنه ابن نيري. **الرابع:** يعلم من متي ان اسم ابن زربابل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريسا. وقد عرفت أن أسماء أولاد زربابل مصرح بها في الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول ولم يوجد فيهم أحد اسمه أبيهود ولا ريسا. كما قد علمت ذلك في الغلط السابع. والحق أن كليهما غلط. **الخامس:** يعلم من متي أن من داود إلي المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا، ويعلم من لوقا أنهم إحدي وأربعون جيلاً. ولما كانت هذه الاختلافات ظاهرة البيان تحير فيها علماء المسيحيين من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلي هذا اليوم، الذي نحن فيه. غير أن بعضهم وجه بعضها بتوجيهات ضعيفه لا يلتفت إليها. ولذلك اعترف بعض محققيهم بأن هذين الإنجيلين مختلفان اختلافاً معنوياً. وهذا هو عين الحق والإنصاف.

الاختلاف الحادي عشر: في العدد التاسع عشر من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا: "أن اليهود أرسلت من أورشليم كهنة ولاويين إلي يوحنا المعمدان ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر أني لست أنا المسيح. فسألوه إذًا ماذا؟ أإيليا أنت؟ فقال: لست أنا ألنبي أنت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن

نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية. قَوِّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي. وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيلياء ولا النبي؟" انتهي. قلت: والمراد بيوحنا المعمدان سيدنا يحيي عليه السلام و قوله لست أنا إيلياء مخالف لقول المسيح عليه السلام الذي نقله متي في العدد الرابع عشر من الأصحاح الحادي عشر من إنجيله في خطاب التلاميذ "وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي" ونقل أيضاً في العدد العاشر من الأصحاح السابع عشر من إنجيله هكذا: "وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتي أولاً و يرد كل شيء، ولكنِ أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم. حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" انتهي.

فعلم من هذين القولين أن يوحنا المعمدان هو إيليا المزمع أن يأتي. فلزم هذا التناقض الصريح بين قول يوحنا و قول المسيح عليهما السلام فإن يوحنا قال عن نفسه لما سألوه: لست أنا إيلياء والمسيح. قال هو إيلياء. وههنا شيء آخر يجب التنبيه عليه. وهو ان عبارة يوحنا الإنجيلي تدل صراحةً علي أن بني إسرائيل كانوا في عهد يحيي والمسيح عليهما السلام ينتظرون ثلاثة أشخاص مرسلين: المسيح وإيليا والنبي عليهم الصلاة السلام فإن صريح هذه العبارة أن اليهود أرسلوا

جماعةً من علماءهم حين ظهر سيدنا يحيي عليه السلام بمظهر النبوة والرسالة ليسألوه هل أنت المسيح أو إيلياء أو النبي؟

وقد ثبت عند غير اليهود من أهل الكتاب أن عيسي عليه السلام قد جاء وهو الموعود[1] به في التوراة، وعرفت أن المسيح قد شهد ليحيي عليه السلام أنه هو إيلياء الموعود به. بقي حينئذ الثالث من المنتظرين وهو النبي أي المعهود الذي ذكره الله سبحانه لموسي عليه السلام في التوراة بقوله: "وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بني إخوتهم وأجعل كلامي في فمه" الخ. وقد أنجز الله سبحانه وتعالي الوعد وبعثه -ولله الحمد- نبياً أمياً خاتم الانبياء وأول الاصفياء. فما ادعاه أهل الكتاب من أنهم ما كانوا ينتظرون نبياً آخر غير المسيح وإيلياء عليهم السلام ادعاء باطل لا أصل له بشهادة الإنجيل ولا يلتفت إلي من قال إن النبي المسؤل عنه هو عين المسيح لأنه قول الذين في بحر الجهل يعمهون. ولقد جاء في العدد الأربعين من الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا أيضاً حين تعجب اليهود من تعاليم المسيح عليه السلام هكذا: "فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا: بالحقيقة هو النبي. آخرون قالوا: هذا هو المسيح، وآخرون قالوا: أ لعل المسيح من الجليل يأتي؟" انتهي.

---

(١) عيسى ليس هو النبى الموعود به فى التوراة فإن المسيح والنبى فى هذه الشهادة هما لقبان لواحد هو محمد ﷺ وإيلياء بحساب الجمل: هو اسمه المبارك؛ فإنه عدد إيلياء ٥٣ وعدد أحمد ٥٣.

وهذا القول أيضاً صريح في أن النبي عند أهل الكتاب غير المسيح. ولذلك قابلوه به، وأقاموا الدليل عليه بأن المسيح من الجليل يأتي؛ وهو من الجليل حقاً كما لا يخفي. فقد ثبت من هذا أيضاً أن المسيح غير النبي الموعود به في التوراة، و عرفت فيما تقدم آنفاً أن إيلياء هو سيدنا يحيي بشهادة المسيح عليه السلام فلا مجال حينئذ لإنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ وبعثته. ومن أنكرها كمن أراد أن يلقي غطاءً ليستر ضوء النهار. وهذا الدليل وحده كافي شافي بالنسبة إليهم فما بالك إذا كان غالب أصحاحات كتبهم المقدسه تشير إلي نبوته تصريحاً وتلويحاً. ولولا ضيق المقام لذكرت لك شيئاً من ذلك بهذه المناسبة، لكن لما كان هذا الأمر مفروغاً منه ولا يحتاج الى زيادة بيان لثبوت نبوته كطلوع الشمس وهى فى رابعة النهار؛ نكتفى على هذا القدر، ونرجع الى ما كنا فيه فنقول:

الاختلاف الثانى عشر: كتب متى فى العدد الأول من الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيله أن المسيح عليه السلام " لما ذهب إلى أورشليم وقرب من بيت فاجي أرسل اثنين من تلاميذه إلى القرية المذكورة ليأتيا له بأتان كانت مربوطة هناك وجحشاً معها فأتيا له بهما وركب عليهما وكتب بقية الإنجيليين ليأتيا له بالجحش فقط فأتيا به وركب عليه"

فبين القولين اختلاف صريح فراجعهما إن شئت.

الاختلاف الثالث عشر: نقل متى فى العدد الثامن عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام لما كان راجعاً من بيت عنيا إلى أورشليم؛ جاع. فنظر على الطريق شجرة تين فجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها: لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد. فيبست التينة فى الحال" انتهى. وكتب مَرْقُس فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام خرج إلى بيت عنيا مع الاثنى عشر، وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا؛ جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد، وكان تلاميذه يسمعون. وجاء إلى أورشليم. ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول. فتذكر بطرس وقال له: يا سيدى انظر إلى التينة التى لعنتها قد يبست" انتهى ملخصاً.

ففى هاتين العبارتين اختلاف صريح. وفيه أمور أخرى راجعها فى كتاب إظهار الحق إن شئت.

الاختلاف الرابع عشر: كتب متى فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام جاء إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه بماء الأردن التى لتكفير الخطايا ولكن منعه يوحنا قائلاً: إنى محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ؟ فأجاب يسوع وقال: اسمح

الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ. حينئذ سمح له. فلمـا تعمّـد يسوع صعد للوقت من الماء، فنزل عليه روح القدس شبه حمامة. وفي اليوم الثاني والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا نقـلاً عـن كلام يوحنا المعمدان عليه السلام هكذا: "وشهد يوحنا قائلاً: إنـي قـد رأيت الروح عليه نازلاً مثل حمامة في السماء فاستقر عليه وأنا لم اكن أعرفه. لكن الذي ارسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي تري الروح نازلاً و مستقراً عليه. فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" انتهي. و جاء في العدد الثاني من الأصحاح الحادي عشر من إنجيـل متـي هكـذا: "يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميـذه. وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟" انتهي. فبين هـذه العبـارات الثلاثة اختلاف صريح. فإنه يُعلم من العبارة الاولي أن يوحنا المعمدان كان يعرف المسيح عليهما السلام قبل نزول الروح عليه. ولذلك امتنع أولاً من تعميده، ويعلم من العبارة الثانية، أنه ما كان يعرفـه إلا بعـد نزول الروح عليه، ويعلم من الثالثة أنه لم يكن يعرفه لا قبـل نـزول الروح عليه ولا بعدها. ولذلك أرسل إليه في آخر حياتـه اثنـين مـن تلاميذه، وسأله "هل أنت هو الآتي الموعود به أم ننتظر آخر سـواك؟" فبين العبارات الثلاث تناقض و اختلاف واضح؛ فتأمل.

الاختلاف الخامس عشر: كتب متي في العدد التاسع و العـشرين من الأصحاح العشرين من إنجيله أن المسيح عليه السلام لما خرج من أريحا وجد أعميين جالسين في الطريق؛ فلمس أعينهما فللوقت أبصرت

أعينهما. وكتب مرقس في العدد السادس والاربعين من الأصحاح العاشر من إنجيله ولوقا في العدد الخامس والثلاثين من الأصحاح الثاني عشر من إنجيله أن الذي وجده المسيح جالساً علي الطريق أعمي واحداً فقط. فشفاه من العمي. وبين لوقا ومرقس اختلاف آخر في هذه الحادثة فإن لوقا ينص علي أن شفاء هذا الأعمي كان لما اقترب المسيح عليه السلام من أريحا. ومرقس يقول: إنه كان لما خرج منها. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف السادس عشر: يعلم من متي في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الثامن من إنجيله أن المسيح عليه السلام لما جاء إلي العبر كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور فشفاهما. ويعلم من مرقس في العدد الثاني من الأصحاح الخامس من إنجيله، ومن لوقا في العدد السابع و العشرين من الأصحاح الثامن من إنجيله أن الذي استقبله وقتئذٍ مجنون واحد فقط من القبور. فبين هؤلاء الثلاثة اختلاف صريح. فراجعهم ان شئت.

الاختلاف السابع عشر: يعلم من العدد العاشر من الأصحاح العاشر من إنجيل متي، ومن العدد الثالث من الأصحاح التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام أوصي تلاميذه حين أرسلهم إلي خراف بيت إسرائيل الضالة أن لا يحملوا شيئاً للطريق حتي العصي لا يحملوها. ويعلم من العدد الثامن من الأصحاح السادس من إنجيل مرقس أنه كان

منعهم عن حمل كل شيء إلا العصا فقط. فإنه أجازهم أن يحملوها.
فبين القولين تناقض واختلاف صريح.

الاختلاف الثامن عشر: في العدد الحادي و الثلاثين من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا هكذا: "ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً" انتهي. وفي العدد الرابع عشر من الأصحاح الثامن من هذا الإنجيل أيضاً هكذا: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق" انتهي. فبين هذين القولين اختلاف عظيم نفياً واثباتاً.

الاختلاف التاسع عشر: في العدد الثامن من الأصحاح العاشر من رسالة بولس الأولي إلي أهل كورنثوس هكذا: "ولا تزن كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثه وعشرون ألفاً" و هذا الخبر مخالف لما في العدد التاسع من الأصحاح الخامس و العشرين من سفر العدد؛ فإن نصه هكذا "وكان من مات أربعة و عشرين ألفاً من البشر" انتهي. ففيهما اختلاف بمقدار ألف. وأحدهما غلط. وهو الثاني يقيناً.

الاختلاف العشرون: كتب متي في العدد السابع عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله قول المسيح عليه السلام في حق بُطرس الحواري -الذي هو أعظم الحواريين- هكذا: "فأجاب يسوع وقال له: طوبي لك يل سِمعان بن يُونا إن لحماً و دماً لم يُعلن لك. لكن أبي الذي في السموات، وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس. وعلي هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوي عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات؛ فكل ما تربطه علي الأرض يكون مربوطاً في السموات،

وكل ماتحمله علي الأرض يكون محلولاً في السموات" انتهي. ثم كتب في العدد الثالث و العشرين من هذا الأصحاح المذكور قول المسيح عليه السلام في حق بطرس أيضاً هكذا: "فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" انتهي. ففي هذين القولين اختلاف عظيم. وقد نقل علماء بروتستانت في رسائلهم أقوال القدماء من المسيحيين في ذم بطرس الحواري. فمن ذلك قولهم: إن يوحنا فم الذهب صرح في تفسيره الذي علي إنجيل متي هكذا: "إن بطرس كان به داء التجبر والمخالفة الشديدة وكان ضعيف العقل" انتهي. وقالوا: "إن إكستاين كان يقول: "إن بطرس كان غير ثابت لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً" انتهي. قلت فإذا كان بطرس متصفاً بهذه الصفات. أيجوز أن يكون مالكاً لمفاتيح السموات، وأن ما ربطه علي الأرض يكون مربوطاً في السموات، وما حله علي الأرض يكون محلولاً في السموات؟ وكيف يكون هذا هو الصخرة والأساس لكنيسة المسيح عليه السلام؟ وكيف أن لا تقدر أبواب النيران علي إدخال الموصوف بكونه شيطاناً الذي كان للمسيح عليه السلام، معثرة ويهتم بما للناس، ولا يهتم بما لله؟ أيكون مثل هذا أعظم الحواريين وإذا كان حال الأعلي هكذا، فكيف كان حال الأدني منهم؟ وإذا كان كلهم هكذا أيؤخذ بما يخبرون، ويعوّل علي ما يقولون؟ حاشا. وما قلت هذا إلا لأجل الإلزام فقط. وأما اعتقادي فينزه جميع الحواريين عن هذه الأوصاف وأمثالها. فتنبه ولا تكن من القوم الغافلين.

الاختلاف الحادي والعشرين: في العدد الأربعين من الأصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متي بعد بيان مثل الكرم هكذا " فمتي جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلي كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها " انتهي. وفي العدد الخامس عشر من الأصحاح العشرين من إنجيل لوقا بعد بيان المثل المذكور هكذا: "فماذا يفعل بهم صاحب الكرم يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين و يعطي الكرم لآخرين؟ فلما سمعوا قالوا حاشا" انتهي. فبين العبارتين اختلاف عظيم في هذا المثل الواحد. فإن متي يصرح أنهم قالوا إنه يهلكهم شر هلاك ولوقا يصرح أنهم أنكروا ذلك بقولهم حاشا. وكلام لوقا يدل علي ان الكلام المذكور من كلام المسيح عليه السلام. وكلام متي يدل علي أنه من كلام اليهود الذين كانوا مخاطبين بهذا المثل. وفي هذا المثل اختلاف آخربين لوقا ومتي ومرقس. فإن متي يذكر أن رب البيت أرسل إلي الكرامين عبيداً "بصيغة الجمع" وأنهم ضربوا بعضا منهم، وقتلوا بعضاً، و رجموا بعضاً. وأما مرقس ولوقا فلا يذكران إلا عبدا واحداً. و قد اعترف القس سمعان. كلهون شارح الأناجيل في ذيل شرح هذا المثل بأن متي كان يدقق بذلك اكثر من لوقا ومرقس. فتأمل.

الاختلاف الثاني و العشرين: في العدد الثاني من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متي هكذا: "أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب" ثم قال في العدد السادس هكذا: "وفيما كان

يسوع في بيت عَنْيا في بيت سِمعان الأبرص تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن. فسكبته علي رأسه وهو متكئ. فلما رأي تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين: لماذا هذا الإتلاف لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطي للفقراء؟ فعلم يسوع وقال: لماذا تزعجون المرأة فإنها قد عملت بي عملاً حسناً لأن الفقراء معكم في كل حين؟ الخ.

ووقعت هذه العباره في العدد الأول من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل مرقس هكذا: "وكان عيد الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه، ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب. وفيما هو فى بيت عَنْيا فى بيت سمعان الأبرص وهو متكىء جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه. وكان قوم مغتاظين فى أنفسهم فقالوا: لماذا كان تلف الطيب هذا؟ لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاث مائة دينار، ويعطي الفقراء. و كانوا يؤنبونها. أما يسوع فقال: اتركوها. لماذا تزعجونها؟ لقد عملت بي عملاً حسناً لأن الفقراء معكم في كل حين. ومتي زاد؛ تقدرون أن تعملوا بهم خيراً وأما أنا فلست معكم في كل حين" انتهي.

وفي العدد الأول من الأصحاح الثاني عشر من إنجيل يوحنا هكذا " ثم قبل الفِصْحِ بستة أيام أتي يسوع إلي بيت عَنْيا حيث كان "لَعَازَر" الميت الذي أقامه من الأموات؛ فصنعوا له هناك عشاءً. وكانت

مرثا تخدم. وأما لَعَازَر فكان من المتكئين معه. فأخذت مريم مَنًا من طيب ناردين خالص كثير الثمن، و دهنت قدمي يسوع، ومسحت قدميه بشعرها؛ فامتلأ البيت من رائحة الطيب. فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الأسخريوطي المزمع أن يسلمه: لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاث مائة دينار ويعط للفقراء؟ قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده و كان يحمل ما يلقي فيه. فقال يسوع: اتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته؛ لأن الفقراء معكم في كل حين، وأما أنا فلست معكم في كل حين" انتهي.

وفي هذه الأقوال اختلاف عظيم من خمسة أوجه :

الأول: أن مرقس ومتي يصرحان بأن إفراغ قارورة الطيب علي المسيح كان قبل الفصح بيومين، ويوحنا يصرح بأن هذا كان قبل عيد الفصح بستة أيام.

الثاني: أن متي ومرقس أخبرا بأن إفراغ الطيب كان علي رأس المسيح ويوحنا أخبر بأنه كان علي رجليه حتي أن مريم مسحتهما بشعرها.

الثالث: أن مرقس يخبر بأن المعترضين كانوا أناساً من الحاضرين ومتي يفيد أنهم كانوا التلاميذ ويوحنا يشهد أن المعترض كان يهوذا الاسخريوطي أحد الحواريين الاثني عشر الذي كان أمين صندوق الجمعية و كان يسرق ما يلقي فيها بشهادة يوحنا الإنجيلي.

الرابع: أن يوحنا بين مقدار ثمن الطيب ثلاث مائة دينار، ومرقس بالغ فيه فقال أكثر من ثلاث مائة دينار، ومتي أبهم الثمن. فقال: بثمن كثير.

الخامس: أنهم اختلفوا في نقل قول المسيح للمعترضين علي مريم التي أفرغت هذا الطيب؛ فتأمل وكن من المنصفين.

الاختلاف الثالث والعشرون: كتب متى فى العدد السابع والأربعين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيله فى بيان كيفية قبض اليهود على مسيح النصارى للصلب هكذا: "وفيما هو يتكلم إذ يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذى أقبله هو هو. أمسكوه. فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدى وقَبَّله فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه " انتهى. وفى العدد الثالث من الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفَرِّيسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح؛ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه. وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصرى. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم. فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم ايضاً من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصرى. اجاب يسوع: قد قلت لكم إنى أنا هو. فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء

يذهبون. فقبضوا عليه وأمسكوه" انتهى. فانظروا أيها العقلاء الى هـذا الاختلاف الصريح فى كيفية مسك المسيح. أيكون مثـل هـذا بـوحى وإلهام؟

الاختلاف الرابع والعشرون: كتب متى فى العـدد الثالـث مـن الأصحاح السابع والعشرين من إنجيله قصة موت يهوذا الأسخريوطى الذى أسلم المصلوب لليهود هكذا: "حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دِينَ؛ ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأتُ إذ سلّمت دماً بريأ. فقالوا: ماذا علينا؟ أنت ابصر. فطـرح الفضة فى الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نلقها فى الخزانة؛ لأنها ثمن دم؛ فتـشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرةً للغرباء. لهذا سُمّى ذلك الحقل حقـل الدم إلى هذا اليوم " انتهى.

ونقل لوقا هذه القصة من قول بطرس الحوارى فى العدد السادس عشر من الأصحاح الأول من كتاب الأعمال ببيان آخر مخـالف لمـا ذكره متى من وجهين:

الأول: إن متى يفيد أن يهوذا الأسخريوطى خنق نفـسه ومـات، بخلاف كتاب الأعمال فإنه يفيد أنه سقط علي وجهه، وانشق بطنه من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها، ومات.

الثاني: إن متي يفيد أن رؤساء الكهنة أخذوا ثلاثين درهمـاً مـن الفضة التي ألقاها يهوذا في الهيكل، واشتروا بها حقل الـدم بخـلاف

كتاب الأعمال فإنه يفيد أن يهوذا هو الذي اشتري الحقل لنفسه فبين الكلامين اختلاف صريح أحدهما غلط لكن وقع في كتاب الأعمال بعد نقل هذه القضية هكذا: " وهذا معلوم لجميع سكان أورشليم. فالذي يظهر من هذا: أن الصحيح قوله. وما نقله متي غلط. قال صاحب إظهار الحق:

ويدل علي كونه غلط وجوه أخري أيضاً:

الأول: إنه صرح في عبارته بأن يهوذا رد الثلاثين من الفضة إلي رؤساء الكهنة والشيوخ في الهيكل. وهو غلط لأن الكهنة والشيوخ كانوا في هذا الوقت عند بيلاطس البُنْطي، و كانوا يشتكون إليه في أمر مسيح النصاري المزمع أن يصلب، وما كانوا في الهيكل. كما يدل علي ذلك العدد الثاني من هذا الأصحاح نفسه.

الثاني: سياق عبارة هذا الأصحاح تدل علي أن قصة موت يهوذا أجنبية محضة بين العدد الثاني والعدد الخامس عشر من هذا الأصحاح.

الثالث: إن موت يهوذا كان في صباح الليل الذي أسر فيه مسيح النصاري للصلب، وبعيد جداً أن يندم علي فعله هذا في هذه المدة القليلة ويخنق نفسه لأنه كان عالماً قبل تسليمه أن اليهود إذا قبضوا عليه يقتلونه، بل ما سلمه إلا لهذا الأمر" انتهي بتصرف. وهو ما يستحق الاعتبار. والذي يقال إن كلا العبارتين غلط، والذي صلب إنما هو الذي دل عليه يقيناً. كما قال تعالي في حق المسيح عليه السلام:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقــال: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾
واختلاف عبارة متي وعبارة كتاب أعمال الرسل في كيفية موت يهوذا الأسخريوطي الذي دل عليه؛ دليل واضح علي ذلك.

الاختلاف الخامس والعشرون: كتب مرقس في العــدد الخــامس والعشرين من الأصحاح الخامس عشر من إنجيله في بيان الوقت الذي صلب فيه المصلوب هكذا: "و كانت الساعة الثالثة فصلبوه" وصــرح يوحنا في العدد الرابع عشر من الأصحاح التاسع عشر من إنجيلــه أن المصلوب كان إلي الساعة السادسة عند بــيلاطس البنطــي. فبينهمــا اختلاف عظيم في وقت صلب المصلوب. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف السادس والعشرون: كتب متــي فــي الأصــحاح الــسابع والعشرين من إنجيله و مرقس في الأصحاح الخامس عشر من إنجيله ان اللصين الذين صلبا مع المصلوب كانا يُعَيِّرَانِه وكتب لوقا في العدد التاسع والثلاثين من الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله أن أحدهما هو الذي عير المصلوب، والآخر زجره، وقال للمــصلوب: "اذكرنــي يارب متي جئت في ملكوتك. فقال له المصلوب: إنك اليوم تكون معي في الفردوس" فبينهما تناقض و اختلاف صريح.

وقوله "اليوم تكون معي في الفردوس" غلط من وجهين:

الأول: إن المصرح به في عقائد المسيحيين أن المسيح ماصــعد إلي الفردوس إلا بعد أن دخل الجحيم، ومكث فيه ثلاثة أيام، ثم صعد. فقوله "اليوم تكون معي في الفردوس" غلط علي أصولهم.

الثاني: إن هذا اللص المخاطب كان مصلوباً و معلقاً علي خشبة ولا يصح للمعلق علي خشبة ان يدخل جنة الفردوس -علي حكم كتبهم المقدسة- فلقد جاء في العدد الثالث و العشرين من الأصحاح الحادي و العشرين من سفر التثنية هكذا: "وإذا كان علي إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلق علي خشبة؛ فلا تبت جثته علي الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله" انتهي. ومعني الملعون من الله المطرود من رحمة الله. فإذا كان هذا مطروداً من رحمة الله، فكيف يدخله جنته؟ وجاء في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من رسالة قديس المسيحيين بولس إلي أهل غلاطيه هكذا: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من علق علي خشبة" انتهي. قلت: ولما كان هذا القول بيناً واضحاً لم يحتج إلي زيادة بيان. فتأمل.

الاختلاف السابع والعشرون: كتب متي في العدد السادس والأربعين من إنجيله هكذا: "ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وكتب مرقس في العدد الرابع والثلاثين من الأصحاح الخامس عشر من إنجيله هكذا: "وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وكتب لوقا في العدد السادس والأربعين من الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله هكذا: "ونادي يسوع بصوتٍ عظيم وقال: يا أبتاه في يديك

أستودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح" انتهى. فبين هؤلاء الإنجيليين الثلاثة اختلاف صريح في نقل كلام المصلوب حين أسلم روحه؛ فتأمل.

الاختلاف الثامن والعشرون: كتب مرقس في العدد العشرين من الأصحاح السادس عشر من إنجيله أن النساء أتين إلي قبر المصلوب إذ طلعت الشمس، وكتب يوحنا في العدد الأول من الأصحاح العشرين من إنجيله أن الظلام كان باقياً، والتي جاءت امرأة واحدة. وهي مريم المجدلية أحد النساء المذكورات في مرقس. فبينهما اختلاف من وجهين فراجعهما إن شئت.

الاختلاف التاسع والعشرين: يعلم من كلام متي في الأصحاح الثامن والعشرين من انجليه أن مريم المجدلية ومريم الأخري التي كانت معها لما ذهبتا إلي قبر المصلوب في وقت الفجر؛ وجدتا ملَكاً عند القبر. فأخبرهما أن المصلوب قد قام من الأموات فرجعتا. وفيما هما راجعتان لاقاهما المصلوب في الطريق وسلّم عليهما وقال لهما: اذهبا وقولا لإخوتي أن يذهبوا إلي الجليل وهناك يرونني. ولما وصلتا إذ قوم من الحراس جاءوا إلي المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان؛ فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا، وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم؛ فشاع هذا القول عند اليهود الي هذا اليوم" انتهي ملخصاً.

وكتب لوقا في الأصحاح الرابع و العشرين من إنجيله في بيـــان هذا الظهور: "أن مريم المجدلية ومريم الأخري ونساءً غيرهما كثيرات ذهبن إلي قبر المصلوب ولما وصلن إلي القبر دخلنه فلم يجـــدن فيــه جسد المصلوب، وفيما هم مجتازون في ذلك رأين رجلين يعني مَلَكَيْن واقفين بثياب براقة، فأخبراهن بقيام المصلوب مـــن الأمـــوات. ولمـــا سمعن كلام الرجلين رجعن من عند القبر، وأتين إلي الأحـــد عـــشر، وبقية التلاميذ، واخبرنهم بهذا كله. فترآي كلامهن لهم كالهـــذيان ولـــم يصدقوهن" وكتب يوحنا في الأصحاح العشرين من إنجيله في بيان هذا الظهور أن مريم المجدلية وحدها جاءت إلي قبر المصلوب عند الفجر و الظلام باقٍ؛ فوقفت عند القبر تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلي القبر فنظرت ملكين بثياب بيض جالسين، واحد عند الرأس والآخـــر عنـــد الرجلين فقالا لها يا امرأة: لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا ســـيدي ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا الكلام التفتـــت إلـــي الـــوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع فقال لها يسوع: اذهبـــي إلـــي إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلي أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ انها رأت الرب، وأنه قال لهـــا هـــذا" انتهي ملخصاً فبين الثلاثة اختلاف عظيم. ومن رجع إلي هذه الأناجيل وطالع فيها هذه القضية، يري فيها العجب العجاب.

الاختلاف الثلاثون: في العدد الرابع عشر من الأصحاح الـــسابع من إنجيل متي هكذا: "ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلي

الحياة" وفي العدد الثامن والعشرين من الأصحاح الحادي عشر من هذا الإنجيل هكذا: "تعالوا يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأن نيري هين وحملي خفيف" انتهي. فإذا صار ضم هذين القولين يحصل منهما أن الاقتداء بمسيح النصاري ليس طريقاً يؤدي إلي الحياة لأن الطريق التي تؤدي إلي الحياة ضيقة وحملها ثقيل وليس بخفيف علي حكم القول الأول.

ولما وصلت في النقل الي الثلاثين اختلافاً التي اردت ذكرها؛ اكتفيت عليها خوفاً من التطويل. ومن أراد أزيد من ذلك فليتصفح الكتب المطولة في هذا الفن، يجد فيها اختلافات وأغلاط أخري، كادت أن لا تحصي من كثرتها. والفاضل صاحب إظهار الحق ذكر ما ينوف عن مائة غلط وأكثر من مائة اختلاف، بينها ببيانات واضحة تشفي العليل و تروي الغليل. إذا علمت ما قررناه يتضح لك جلياً أن ما سلكه صاحب البرهان في مقالته السالفة من إنكاره علي من قال بتحريف التوراة والإنجيل غلط يقيناً. فإنه قد ثبت لك وقوع ذلك فيهما بشهادة برهان الحِسِّ والمشاهدة. وقد جاءنا الكتاب والسنة شاهدان علي ذلك أيضاً. وكفانا ذلك شاهداً ودليلاً.

تسليم المسلم بصحة التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: " **فـإذا ثبـت أن القرآن نفسه يسلِّم بصحة التوراة والانجيل، وأنه لا يشير إلي وقوع التغيير والتبديل فيهما، وأن محمداً كان يذكر الكتابين المذكورين بغاية الوقار من غير إشارة إلي تغيير ونحوه؛ فلا يسع المسلم المجادل إن كان مسلماً إلا أن يُسَلِّم هو أيضاً بصحة هـذين الكتـابين، وأنهمـا سالمان من التبديل والتغيير والزيادة والنقص، وإلا فيكون قد كـذَّب نبيه، وكفر بالقرآن. ومتي كان كذلك؛ لا يكون مسلماً**"

أقول: إن من يحدد التأمل ويمعن النظر فيما أسلفناه؛ يعلم بالبداهة واليقين أن ماسلكه صاحب البرهان هنا قد أخطأ فيـه طريـق الحـق والصواب. فإن صريح الآيات القرآنيـة والأحاديـث النبويـة يـشهد بتحريف هذه التوراة وهذا الإنجيـل وتغييرهمـا، وذم أهلهـا علـي تحريفهما من غير توقير ولا تبجيل.

فقول صاحب البرهان إن القرآن لا يشير الي وقوع ذلك فيهمـا؛ غلط ومحض افتراء. وأي دليل أيها العاقل اللبيب أصرح مـن قولـه تعالي ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؟ وقوله تعالي: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ إلي غير ذلك من الآيات. وكلها تدل علي أن أهل الكتاب قد حرَفوا كلام الله وغَيَّروه وبدَّلوه وكتبوا بأيديهم ما ليس من عند الله ثم قالوا إنه من عند الله حتي خلطوا الحق بالباطل

والصدق بالكذب. و تأمل قوله عليه الصلاة والسلام في خطاب المؤمنين: "لم تسألون أنتم منهم" أي من أهل الكتاب مع علمكم أن كتابهم محرف "فإن هذا الحديث الشريف صريح أيضاً في تحريف كتب أهل الكتاب وأن الصحابة -رضوان الله تعالي تعالي عليهم- كانوا يعلمون ذلك وبمقتضى هذه النصوص الشريفة يجب علي كل مسلم يؤمن بالله ورسوله أن يرفض هذه الكتب وينكرها أشد الإنكار، وكل من يصدقها ويؤمن بجميع ما احتوت عليه ولم يعتقد وقوع التحريف والتغيير والتبديل فيها؛ يكون قد كذب نبيه و كفر بالقرآن. كيف لا وأن هذه الكتب التي عناها صاحب البرهان تصرح بتفسيق الأنبياء الكرام وتنقيصهم وإهانتهم ونسبة الزنا والكفر إليهم والقرآن الكريم قد كسح جميع هذه الأباطيل و نزه ساحتهم عن ذلك كله ومدحهم وأثني عليهم بالعصمة والزهادة والعفة وأخبر أنهم كانوا من الصالحين الطائعين الأخيار والصديقين الأبرار. ومعلوم للعاقل من الصبيان أن الفاسق فضلاً عن الكافر و الملعون لا يكون من الصديقين ولا من الصالحين الطائعين. نسأله تعالي أن يجعلنا من القوم المهتدين و نستعيذ به أن نكون من القوم الضالين الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، ويقولون علي الله مالا يعلمون ﴿أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾

تفسير الآيات القرآنية في تحريف التوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل:

نعم ورد في بعض آيات القرآن ذكر تحريف أهل الكتاب التوراة والإنجيل بتبديل الألفاظ أو إدخال الزيادة والنقص فيهما، ولكننا إن راجعنا الآيات المذكور فيها أمر التحريف بالتأمل والإنصاف دون تعصب واعتساف نجد معناها لا يفيد تغيير الألفاظ بل يفيد تغيير أهل الكتاب كلام الله علي غير مقتضاه. ولكي يتضح لك الأمر أتم اتضاح ويفصح عما في ضمير تلك الآيات أتم إفصاح؛ أوردنا لك الآيات التي يستند عليها أهل الإسلام في دعواهم هذه. أما الآية الأولي: فهي قوله في سورة البقرة ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وأما الآية الثانية: ففي سورة النساء ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وأما الآية الثالثة: ففي سورة المائدة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ وأما الآية الرابعة: ففيها أيضا: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ فالتحريف لم يذكر الا في هذه [1] الآيات. ولنرجع

---

[1] القسيس يغالط. فإن من بعد مواضعه: تحريف لفظي. وعن مواضعه: تحريف معنوي. وتعمد ترك الآية ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ وهذا تحريف لفظي بوضع كلام بجانب الكلام الصحيح مثل وضع إسحق بجانب الوحيد.

إلي معني التحريف في اللغة فنقول: التحريف في اللغة صرف وإمالة الشيء عن أصله كما ذكر. في تاج العروس. وقال في تفسير ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ إنه تغيير الكلم عن مواضعه. إنه تغيير الكلم عن معانيه الحقيقية. إذا علمت هذا تعلم أن التحريف ليس محصوراً في التبديل والإفساد والتغيير اللفظي كما تزعم العوام، بل كما يحتمل المعاني كذلك يحتمل الإمالة والصرف عن المقصود إلي معني آخر من دون تغيير الألفاظ وتبديل الأحرف. ومتي دخل في الحجة الاحتمال سقط منها الاستدلال"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية الي أقرب طريق إن هذا القسيس صاحب البرهان بعد أن أنكر في مقالته السالفة وجود آية في القرآن المجيد تشير إلي تحريف التوراة والإنجيل قد اعترف في مقالته هذه بوجود آيات تدل صراحةً علي ذلك لكنه أنكر كون ذلك التحريف بتبديل الألفاظ وتغييرها وإدخال الزيادة والنقص فيها لأن الآيات التي أوردها هنا بلفظ التحريف.

والتحريف في اللغة كما يحتمل التحريف اللفظي الذي هو تبديل الألفاظ من الكتاب وتغييرها أو إدخال الزيادة فيه أو النقص منه؛ فكذلك يحتمل التحريف المعنوي الذي هو تفسير الآيات علي غير مقتضاها وتأويلها بما يشتهون. ثم قال: ومتي دخل في الحجة الاحتمال سقط منها الاستدلال. وهذا القول غلط منه او تغليط. لأن الحجة، اذا دخلها

الاحتمال لا يسقط منها الاستدلال إلا إذا لم تقم قرينة علي تعين المراد من أحد المعنيين.

ويوجد معنا قرائن علي أن التحريف اللفظي والتحريف المعنوي كلاهما مراد. فإن الآيات الواردة في ذلك قد تنوعت بحسب مسالك المحرفين المتنوعة فإنهم حرفوا بعض الآيات تحريفاً لفظياً وبعضها تحريفاً معنوياً. لكن لا نزاع بيننا وبين المسيحيين في وقوع التحريف المعنوي؛ لأنهم يسلّمون صدوره عن اليهود في كتب العهد العتيق في تفسير العبارات التي هي إشارة في زعمهم إلي بعثة المسيح عليه السلام وألوهيته، وكذلك علماء بروتستنت يعترفون أنه وقع في العهد الجديد أيضاً من معتقدي البابا. كما أن معتقدي البابا يرمونهم بذلك رمياً شديداً. فإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة لنا لإثبات التحريف المعنوي لعدم النزاع في صدوره عنهم، وإنما النزاع في التحريف اللفظي. وهذا الذي أنكر وقوعه صاحب البرهان وجعل الآيات القرآنية التي أوردها بلفظ التحريف لا تدل عليه لاحتمالها المعنيين. كما عرفت.

وأنا أورد هنا أدلة تدل علي وقوع التحريف اللفظي في كتبهم وأنه مراد من الآيات القرآنية التي أوردها فأقول:

الدليل الأول: أنه وردت أحاديث نبوية وآيات قرآنية أخري تدل صراحةً علي أن التحريف اللفظي مراد من آيات التحريف أيضاً.

ومنه: قوله تعالي: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

﴾ وقوله تعالي في سورة البقرة في حق أهل الكتاب أيـضاً: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ فهاتان الآيتان الشريفتان صريحتان في وقوع التحريف اللفظي و التبديل و الزيادة و النقصان وقال عليه الصلاة و السلام في خطاب المؤمنين: "لم تسألون أنتم منهم؟" أي من أهل الكتاب" مع علمكم ان كتابهم محرف" وهذا الحديث الشريف أورده الامام البخاري[1] في صحيحه عن ابن عباس حَبْر هذه الامة؛ فيجب المصير إليه. وهو نص صريح في التحريف اللفظي، يدل عليه منطوقه و مفهومه. فإن الكتاب لا يوصف بالتحريف المعنوي، وإنما يوصف به الشخص المحرف. وأما التحريف اللفظي فيوصف به الكتاب. فيقال: كتاب محرَف. ولا يقال: شخص محرف. وكذلك قوله تعالي﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ نص صريح في التحريف اللفظي. كما ذكره الإمام فخر الدين الرازي في ذيل تفسير سورة النساء. وفرق هناك بين قوله تعالي:﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ وبين قوله ﴿يحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ فالأول يدل علي أنهم كانوا يخرجون اللفظ من الكتاب أو يدخلونه فيه أو يبدلونه بما يشتهون. والثاني يدل علي أنهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص الشريفة. وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا حدثكم

---

[1] الإمام البخارى لا يثبت أن التوراة محرفة بتبديل اللفظ وإنما بالتأويل الفاسد.

أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم. ولكن قولوا آمنا بالذي أنـــزل علينا وعليكم وإلهنا وإلهكم واحد. ونحن له مسلمون" وقد غــضب ﷺ حين رأي مع عمر قطعة من التوراة وقال: "أفــي شــك أنــت يــابن الخطاب؟" فكل هذه الأخبار الشريفة صريحة في التحريــف اللفظــي بالتبديل والتغيير والزيادة والنقصان.

الدليل الثاني: أن آيات هذا القرآن المجيد تخالف غالب مضامين هذه التوراة وهذا الإنجيل. مثلاً: إنه ورد في الأصحاح الحادي عــشر من سفر الملوك الأول نسبة الكفر والعياذ بالله تعالي لــسيدنا ســليمان عليه السلام والقرآن المجيد قد نفاه. عنه بقوله تعــالي:﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ[1] كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ وكذا قد ورد في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج أن هارون عليه السلام صنع العجل وعبده وأمر بني إسرائيل بعبادته والقرآن المجيد قد نزه ســاحته عــن ذلــك وأخبر أن الذي فعل هذا إنما هو السامري. وكذلك ما نسب إلي بقيــة الأنبياء الكرام من الكذب والزنا وغير ذلك من الأمور التي لا تليق بهم قد نفاها القرآن الكريم عنهم ونزه ساحتهم عن ذلك كله، ومدحهم علي العصمة والزهادة والعفة. وجاء في العدد السابع عشر من الأصــحاح الحادي والثلاثين من سفر الخروج من التوراة "أن الرب صنع السماء والأرض في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح وتنفس" وفي نــسخة

---

[1] المراد بالشياطين علماء بنى إسرائيل.

أخري قديمة: "واستلقي علي قفاه" والله سبحانه وتعالي قد نزه نفسه عن ذلك بقوله في كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ آي تعب. فهذه الآية رد علي من زعم أن الله عز وجل لما خلق السموات والأرض في ستة أيام؛ استرح. وجاء هذا في الإنجيل المتداول أن المسيح عليه السلام قُتل وصلب وأهين وتألم حتي استغاث بقوله: "إلهي إلهي لماذا تركتني" والقرآن المجيد نزه ساحته عن ذلك كله، وأخبرنا أن المسيح رفعه الله حياً إلي السماء طاهراً مطهراً من كل دنس وسوء، لم يمسه صلب ولا قتل ولا إهانة. قال تعالي: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ وقال ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وكذلك يزعمون أن في هذا الإنجيل التصريح بأن المسيح عليه السلام إله معبود، والقرآن المجيد يكفر من يقول ذلك بقوله تعالي: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وفي هذا القدر كفاية لذوي الألباب.

الدليل الثالث: قد علمت فيما تقدم بما لا مزيد عليه أن هذه التوراة وهذا الإنجيل مملوآن من الأغلاط والاختلافات. وما ذلك إلا بسبب وقوع التحريف اللفظي فيهما بالتغيير و التبديل و الزيادة والنقصان.

الدليل الرابع: قد عرفت فيما أسلفناه لك أن محققي المسيحيين ومفسريهم قد اعترفوا بوقوع التحريف اللفظي في كتبهم المقدسة. ولقد

صرح بذلك المتأخرون من الوثنيين والماديين والطبيعيين، وانعقد عليه إجماع أئمة المسلمين.

الدليل الخامس: أن التوراة التي أنزلها الله ﷻ علي موسي عليه السلام كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه. والموجود الآن عند أهل الكتاب ثلاثة. العبرانية وهي المعتبرة عند أهل اليهود وجمهور بروتستنت من المسيحيين. والسامرية وهي المعتبرة عند السامريين. واليونانية وهي التي كانت معتبرة عند سائر المسيحيين إلي القرن الخامس عشر من القرون المسيحية وكانوا إلي هذه المدة يعتقدون تحريف النسخة العبرانية وصحتها. وهي إلي هذا الزمان معتبرة عند الكنيسة اليونانية وعند كنائس المشرق أيضاً. وكل طائفة من هذه الطوائف الثلاثة تزعم أن النسخة التي عندها هي الصحيحة والغلط والاختلاف في الأخري، وبين اليهود والسامرة نزاع طويل في ذلك وكل فرقة منها تدعي أن الأخري هي التي حرفت التوراة تحريفاً لفظياً. وهذا الأمر مسلم عند التأمل، سيما في الجبل الذي أمر الرب ببناء الهيكل عليه؛ فإنه جاء في العدد الرابع من الأصحاح السابع و العشرين من سفر التثنية من النسخة العبرانية هكذا: "فاذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عِيبال وشيدوها بالجص تشييداً" وفي النسخة السامرية هكذا: "فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم اليوم في جبل جرزيم و شيدوها بالجص تشييداً" انتهي. فجِرزِّيم وعيبال جبلان متقابلان. فالأول من جهة الجنوب، والثاني من جهة

الشمال. بينهما وطني، ومحل إقامتي مدينة نابلس. وهي محل إقامة فرقة السامريين أيضا ويزعمون أنها هي القدس الشريف. وهم لا يزيدون عن أربعين رجلاً أو خمسين. ورجالهم أكثر من نسائهم في كل حين. وهذا الاختلاف الذي بين النسخة العبرانية و النسخة السامرية صريح في وقوع التحريف اللفظي في التوراة. وكذلك اختلفت النسخ الثلاثة المذكورة في مدة الزمان الذي من خلق آدم عليه السلام إلي طوفان نوح عليه السلام. فعلي وفق النسخة العبرانية هي ألف وستمائة سنة وست وخمسون سنة، وعلي وفق اليونانية ألف ومئتان واثنتان وستون سنة، وعلي وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين. فهذا اختلاف فاحش بين النسخ الثلاثة. لا يمكن التطبيق بينها وحيث كان نوح عليه السلام في زمن الطوفان ابن ستمائة سنة علي تصريح النسخ الثلاثة، وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وخمسون سنة؛ يلزم علي وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة. وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العبرانية واليونانية. إذ ولادة نوح عليه السلام علي وفق العبرانية بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة، وعلي وفق اليونانية بعد موته بسبعمائة واثنين و ثلاثين سنة. ولأجل هذا الاختلاف الفاحش ما اعتمد يوسيفس المؤرخ المشهور على نسخة من هذه النسخ الثلاثة، واختار أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست وخمسون سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم. وكذلك اختلفت النسخ الثلاثة

فى مقدار الزمان الذى من طوفان نوح عليه السلام إلى وقـت مـيلاد إبراهيم عليه السلام. فعلى وفق العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة، وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنان وأربعون سـنة، وعلـى وفـق اليونانية ألف سنة واثنتان وسبعون سنة. وهذا اختلاف فاحش بينهـا لا يمكن تطبيقه. ولما كان ميلاد إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة العبرانية، وعاش نـوح عليـه السلام بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة على ما هو مصرح به فـى العدد الثامن والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر التكوين؛ فيلـزم على هذا ان يكون سيدنا إبراهيم حين مات سيدنا نوح عليهما الـسلام ابن ثمان وخمسين سنة.

وهو باطل باتفاق المؤرخين، وتكذبة النسخة اليونانية والسامرية؛ فإن ميلاد إبراهيم عليه السلام باعتبار النسخة الأولى بعد موت سـيدنا نوح عليه السلام بسبعمائة واثنتين وعشرين سنة، وباعتبـار النـسخة الثانية بعد موته بخمسمائة واثنتين وتسعين سنة. وقد زيد فى النـسخة اليونانية بين أرفكشاد وشالح بطن واحد وهو قَيْنان، ولا يوجـد هـذا البطن فى العبرانية، ولا فى السامرية ولا فى السفر الأول من أخبـار الأيام ولا فى تاريخ يُوسيِفُس اليهودى. غير أن لوقا الإنجيلـى اعتمـد على اليونانية؛ فزاد قينان فى بيان نسب المسيح عليه الـسلام فيجـب على ملة بروتستنت أن يعتقدوا صحة اليونانية ولا يرفضوها ويعتقدون صحة غيرها؛ لئلا يلزم عليه كذب انجيلهم أو يكونون ممـن يؤمنـوا

ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ولأجل اختلاف هذه النسخ الثلاثة في مقدار الزمان المذكور؛ اختلف المؤرخون فيما بينهم، ونبذوا النسخ الثلاثة وراء ظهورهم وقالوا: إن الزمن المذكور ثلاثمائة واثنتان وخمسون سنة، غير أن يُوسيفس قال في تاريخه: إن هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة. كما هو منقول عنه في تفسير هنري واسكات، واكستاين أيضاً الذي كان من أعلم علماء المسيحيين في القرن الرابع من الميلاد. وكذا اختلفت النسخ الثلاثة في المدة التي من خلق سيدنا آدم عليه السلام إلى ميلاد سيدنا المسيح عليه السلام فعلى وفق العبرانية أربعة آلاف سنة وأربعة سنين، وعلى وفق السامرية أربعة آلاف وسبعمائة سنة، وعلى وفق اليونانية خمسة آلاف وثمانمائة واثنان وسبعون سنة.

ونقل هنري واسكات في المجلد الأول من تفسيره عن المحقق هيلز: إن هذه المدة خمسة آلاف سنة وأربعمائة وإحدى عشر سنة. وجارلس روحير نقل في كتابه خمسة وعشرين قولاً من أقوال المؤرخين في بيان هذه المدة. وقد نقل ترجمتها عن صاحب إظهار الحق، وقال إنه اعترف أنه لا يطابق قول منها الآخر، وإن تميز الصحيح منها عن الغلط؛ محال. وهذا البحث يكفي اللبيب شاهداً على تحريف جميع نسخ التوراة تحريفاً لفظياً.

وكذلك الإنجيل الطاهر الذي أنزله الله على المسيح عليه السلام كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه، والموجود الآن عند المسيحيين

أربعة أناجيل، ورسائل أخرى مجموعة فى مجلد واحد. أحدهما إنجيل متى والثانى إنجيل مرقس والثالث إنجيل لوقا والرابع إنجيـل يوحنـا والرسائل الأخرى. بعضها ينسب لرجل اسمه بُولُس ظهر فى أواخـر القرن الأول من القرون المسيحية، وبعضها ينسب إلى رجال آخرين. بعضهم من غير الحواريين، وبعضهم من الحواريين قد ألف كل مـن هؤلاء إنجيلاً على حسب دعوته. وهى مختلفة اختلافات كثيـرة فـى مواضع غير محصورة حتى أنهم يختلفون فى صفات المـسيح عليـه السلام وتعاليمه وأفعاله وأقواله وأيام دعوته ووقت الصلب. وفى نسبه أيضاً.

وهذا الاختلاف لايحتمل وقوع مثله من غيرهم، بـل لا يحتمـل وقوعه من الصبيان أولاد المكاتب. ومع هذا فعند كل مـن أصـحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان إنجيل يخالف بعـضه هـذه الأناجيـل ولأصحاب مانى كيز إنجيل على حدة يخالف ما عليه النـصارى مـن أوله إلى آخره ويدعون أنّه هو الصحيح وما عداه باطل. ولهم إنجيـل يسمى إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس والنصارى من غيرهم ينكرونه ويعدونه من الأناجيل الكاذبة. وقد نقل المفسر لاردنر فى المجلد الثالث من تفسيره فى ذيل بيان فرقة مانى كيـز المـذكورة عـن الفاضـل اكستاين، الناقل قول فاستس الذى كان من أعظم علماء هذه الفرقة فى القرن الرابع من الميلاد وعبارته فيه هكذا: "قال فاسـتس: أنـا أنكـر الأشياء التى ألحقها فى العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعيبـوا

صورته الحسنة وأفضليته؛ لأن هذا الامر محقق وهو: أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التى كتبها وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأن ألف الكتب التى توجد فيها الأغلاط والتناقضات" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى هذا الفاضل المسيحى كيف كان يصيح وينادى بأعلى صوته بأن أهل التثليث كانوا ألحقوا الأشياء فى العهد الجديد، وأن هذا العهد ليس من تصنيف المسيح ولا من تصنيف الحواريين ورفقائهم، وإنما هو من تصنيف رجل مجهول الاسم أوقع فيه الأغلاط والمناقضات.

ومن الفرق المسيحية الفرقة الابيونية التى كانت معاصرة لبولس ومنكرة عليه أشد الإنكار وكانت تقول إنه مرتد وكانت تسلّم من الأناجيل إنجيل متى فقط، لكن هذا الإنجيل كان مخالفاً للإنجيل المنسوب إلى متى، الموجود عند معتقدى بولس الآن فى كثير من المواضع، ولم يكن فيه الأصحاحان الأولان قال "بل" فى تاريخه فى بيان حال هذه الفرقة هكذا: "هذه الفرقة كان عندها من العهد الجديد إنجيل متى فقط، لكنها كانت حرفته في كثير من المواضع وأخرجت البابين الأولين منه" انتهي. وقال في بيان حال فرقة المارسيونية هكذا: "كانت هذه الفرقة تنكر كون كتب العهد العتيق إلهامية، وكانت تسلّم من

العهد الجديد إنجيل لوقا فقط، لكن ما كانت تسلم الأصحاحين الأولين منه وتسلم من رسائل بولس عشر رسائل لكن كانت تردّ منها ما كان مخالفاً لخيالها" انتهي.

وقال بولس مقدم المسيحيين في العدد السادس من الأصحاح الأول من رسالته الي أهل غلاطية هكذا: "ثم إني أعجب من أنكم أسرعتم بالانتقال عمن استدعاكم بنعمة المسيح إلي إنجيل آخر وهو ليس بإنجيل بل إن معكم نفراً من الذين يزعجونكم ويريدون أن يحرفوا إنجيل المسيح" انتهي. وهذا القول يدل صراحةً علي أنه كان في زمان بولس إنجيل يسمي إنجيل المسيح، وأن المحرفين كانوا في صدد تحريف إنجيل المسيح في ذلك الزمان فضلاً عن غيره من الأزمان. وهو الآن ما باقي منه إلا اسمه، كالعنقاء. قال آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره في شرح هذا المقام هكذا: "هذا الأمر محقق: وهو أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية، وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة هيجت لوقا علي تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة. والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية. وكان الفاضل فابري سيوس جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات" انتهي.

فظهر من كلام هذا الفاضل أن الأناجيل الكاذبة كانت موجودة قبل إنجيل لوقا، و قبل أن يحرر بولس رسالته إلي أهل غلاطية. وما فهم من كلام بولس أنه كان في عهده إنجيل يسمي بإنجيل المسيح هو

الحق. وهو مختار الفاضل اكهارن والكثير من المتأخرين من علماء الجرمن وإليه مال المحقق لكليرك، وكوب. وغيرهما من المؤرخين المحققين. وقد علمت فيما تقدم أن سلَسُوس المشرك الذي كان في القرن الثاني من القرون المسيحية كان ينادي بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلاً كأن مضامينها بدلت. وكفتنا هذه النقول دليلاً علي أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم تحريفاً لفظياً. فتنبه لهذا ولا تكن من القوم الغافلين.

تفسير المسلمين للتحريف

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فإن رأينا بعض آيات قرآنية فيها ذكر التحريف؛ فلا ينبغي لنا أن نفهم من أول الأمر أن المقصود بها التحريف اللفظي أو التحريف المعنوي بالتأويل، بل لابد من مراجعة الآية، والتأمل في سياق الكلام مع توفيق معاني الآيات بعضها مع بعض. و لعدم حصر التحريف فيما ذكرناه سابقاً؛ نري علماء المسلمين ولا سيما مفسري القرآن لم يتجاسروا علي أن يخصصوا بأن المقصود من التحريف المذكور في القرآن إنما هو التحريف اللفظي فقط، بل التحريف المعنوي أيضاً. كما بين ذلك الشيخ محمد الزرقاني في شرحه علي المواهب اللدنية بقوله: "إن الفقهاء اختلفوا هل تحريف التوراة والانجيل بالزيادة والنقص أو بتأويلهما وتفسيرهما بغير المراد منهما"؟ وكذلك فسر البيضاوي التحريف بالمعنيين المذكورين. فقال في تفسير الآية الأولي إن طائفة من أسلافهم أي من أسلاف اليهود يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد ﷺ وآية الرجم أو يؤولونه ويفسرونه بما يشتهون. وقال في تفسير الآية الثانية من ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها، وإثبات غيره فيها. أو يؤولونه بما يشتهون فيميلونه عن ما أنزل الله فيه" انتهي كلام البيضاوي. والأرجح أن

هذه الآية لا إشارة فيها إلي تحريف اليهود للتوراة أصلاً بل إلي تحريف كلمات ليست منزلة من عند الله، بل هي من عندهم استعملوها في مفاوضتهم[1] مع النبي فإنهم كانوا يمكرون عند مكالمته فيستعملون بعض الألفاظ يكون معناها في العربية بليغاً حسناً و في لغتهم شتماً وسباً فالإشارة في هذه الآية إلي هذا التحريف لا الي تحريف الكتاب. والذي يوضح لك ذلك تمام الآية وهو﴿ وَيَقُولُونَ

---

(1) يغالط القسيسُ المسلمين في تحريف التوراة بقوله: إن اليهود الذين كانوا يتكلمون مع محمد فى موضوع الرجم؛ هو الذين حرفوا أثناء المفاوضة. وهؤلاء ماتوا. وهم الذين يقصدهم القرآن بأن اليهود حرفوا التوراة، أما غيرهم فلم يحرفها. وما تزال التوراة خالية من التحريف. هذا هو كلام القسيس.

وكلام القسيس قد أخذه من الرواة الذين خُدعوا من اليهود والحق فى هذا الموضوع: هو أن المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود لم يفاوضوا ولم يحرفوا حتى نقول بالخصوص فى التحريف من أجل رجم يهوديين قد زنيا. وذلك لأن القرآن لم يذكر هذا الخصوص. وغرض القرآن من حكاية هذا الموضع: هو أن اليهود حرفوا التوراة عمدا من قبله بزمان طويل. وأن هذا التحريف موجود فى جميع النسخ الموجودة فى بلاد العالم فى زمانه، وسيظل على حاله مدة طويلة. فإن جاءوك أيها المسلم النائب عن رسول الله فى أى بلد من البلاد، وطلبوا منك الحكم عليهم بالقرآن؛ فاحكم عليهم بالقرآن. وإذا لم يأتوا وحكموا على أنفسهم بالتوراة فليحكموا على أنفسهم بالتوراة. إذ ليس لنا منهم إلا الجزية. هذا هو الغرض من نزول الآيات.

وقول القسيس بأن التحريف كان فى حادثة خاصة فى زمان محمد ﷺ هو قول يهدف من ورائه إلى أن التوراة الموجودة فى بلاد العالم غير محرفة. وهذا ضد الحقيقة. فإن نسخ التوراة فى العالم هى كنسخة واحدة، ولكنها محرفة فى مدينة بابل. ومنها ينقلون ويطبعون ويعدلون وينقحون.

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ، وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ[1] وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ وفسرها البيضاوي بقوله إنما قالوه أي هذا القول نفاقاً وصرفاً للكلام إلي ما يشبه السّب حيث وضعوا﴿رَاعِنَا﴾ المشابه لما يتسابّون به موضع

---

[1] إن قولهم: ﴿رَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ معناه:

أن الليّ: هو قراءة كتاب الزبور، الذى فيه النص على راعنا بالموسيقى وألحان الغناء. حتى يظهروا للسامعين أن ما يتلونه هو كتاب الله حقا.

وأما راعنا: فإنهم كتبوا فى سفر الزبور: أن النبى الآتى سوف يرعاهم بشريعته. فلذلك يقرأون نبوءة راعنا التي تدل على محمد ﷺ مع أنه قد جاء فإن كانوا يريدون أن يرعاهم فليدخلوا فى دينه. وإذْ هو جاء؛ فما هى الفائدة من قولهم ﴿رَاعِنَا﴾ ولذلك نهاهم عن قول راعنا لأن محمدا قد جاء. وهذا هو النص: "لإمام المغنين على السوسن شهادة لاساف مزمور يا راعي إسرائيل أصغ يا قائد يوسف كالضان يا جالسا على الكروبيم أشرق قدام افرايم و بنيامين ومنسى أيقظ جبروتك وهلم لخلاصنا يا الله أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص يا رب اله الجنود إلى متى تدخن على صلاة شعبك قد أطعمتهم خبز الدموع وسقيتهم الدموع بالكيل جعلتنا نزاعا عند جيراننا وأعداؤنا يستهزئون بين أنفسهم يا اله الجنود أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص كرمة من مصر نقلت طردت أمما وغرستها هيأت قدامها فاصلت أصولها فملأت الأرض غطى الجبال ظلها وأغصانها أرز الله مدت قضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها فلماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية يا اله الجنود ارجعن اطلع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة والغرس الذي غرسته يمينك والابن الذي اخترته لنفسك هي محروقة بنار مقطوعة من انتهار وجهك يبيدون لتكن يدك على رجل يمينك وعلى ابن ادم الذي اخترته لنفسك فلا نرتد عنك أحينا فندعو باسمك يا رب اله الجنود أرجعنا أنر بوجهك فنخلص"

﴿انظُرْنَا﴾ و﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ موضع لا أسمعت مكروهاً أو قتلاً بهما وضماً لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلي ما يضمرون من السب والتحقير استهزاءً وسخريةً. وفسر الآية الثالثة بالمعني الذي فسر به الثانية. وقال في تفسير الآية الرابعة: إنهم أي اليهود يميلونه أي الكلم عن مواضعه التي وضعه الله فيها إما لفظاً بإهماله وتغيير وضعه، وأما معني بحمله علي غير المراد وإجرائه في غير مورده.

روي: أن شريفاً من يهود خيبر زنا بشريفة و كانا محصنين فكرهوا رجمهما. فأرسلوهما مع رهط منهم إلي بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عنه فقالوا: إنْ أمركم بالجلد والتحميم؛ فاقبلوه وإن أمركم بالرجم فأبوا. فجعل ابن صوريا حكماً بينه وبينهم. وقال أنشدك الله الذي لا إله إلاَّ هو الذي فلق البحر لموسي ورفع فوقكم للطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم علي من أحصن؟ قال: نعم. فوثبوا عليه. فقال: خفت إن كذبته ان ينزل علينا العذاب. فأمر رسول الله ﷺ بالزانيين فرجما عند باب المسجد. انتهي كلام البيضاوي. وروي ابن إسحاق في كتاب سيرة الرسول لما حكّموا رسول الله ﷺ فيهما دعاهم بالتوراة، و جلس حَبْر منهم يتلوها، وقد وضع يده علي آية الرجم. قال فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبي الله آية الرجم يأبي أن يتلوها عليك؟ فقال لهم رسول الله ﷺ ويحكم يا معشر اليهود ما دعاكم إلي ترك حكم الله وهو بأيديكم؟ قال فقال رسول الله

ﷺ أنا أول من أحيي أمر الله وكتابه وعمل به. ثم أمر بهما فَرُجما عند باب المسجد. انتهي.

ففي هذا دليل أيضاً علي أن اليهود لم يتجاسروا علي أن يفسدوا التوراة أو يحرفوها تحريفاً لفظياً لأنهم لو جرت عادتهم بتحريف التوراة؛ لرفعوا آية الرجم التي كان العمل بها عندهم من أكره الأمور"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلي أقوم طريق: قد علمت أيها العاقل اللبيب فيما تقدم من قريب غير بعيد؛ أن أهل الكتاب قد تنوعت قبائحهم بالنسبة إلي تحريفهم كلام الله تعالي وآياته، فكتموا بعضها وأخفوا بعضها ونسوا بعضها، وأحرقوا بعضها ومزقوا بعضها وحرفوا بعضها تحريفاً معنوياً، والبعض الآخر تحريفاً لفظياً. وبهذا اعترف المحققون من مفسريهم و مؤرخيهم و نادي به المؤرخون، من الماديين و الوثنيين حتي سَمِع بذلك أهل الثقلين، وشهد علي صدق هذه الدعوي برهان الحس والمشاهدة، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه. وقد علمت هناك: أن التحريف المعنوي والتحريف اللفظي كلاهما واقعان في كتبهم المقدسة بنص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعرفت أن الفخر الرازي قد فرق بين قوله تعالي:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ وقوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ فالأول يدل علي التحريف المعنوي، والثاني يدل علي التحريف اللفظي. وكذلك كلام

البيضاوي الذي نقله هذا القسيس يدل علي وقوعهما حتماً. ولهذا مثّل للتحريف اللفظي بقوله كنعت محمد ﷺ وآية الرجم، لكن لم تحذف آية الرجم[1] من النسخة التي تلاها الحبر بين يدي النبي ﷺ كما تدل عليه

---

[1] قوله إن النبى ﷺ رجمهما. إن صح يكون رجمه لهما بحسب التوراة؛ لأنهم هم الذين جاءوه. ولا يكون رجمه لهما بحسب القرآن. فإن القرآن قد نسخ الرجم وأثبت الجلد بدله لعموم الزناة. ففى كتابنا الأحكام الشرعية فى التوراة النص والتفسير ما نصه: "يقول الله تعالى فى سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

لم يفرق بين الزانى المحصن بالزواج وبين الزانى غير المحصن. وجعل للجميع جدا واحدا هو الجلد مائة جلده. وجعل للأمة النصف. والرجم لا ينتصف. وجعل لامرأة النبى ﷺ الضعف والرجم لا يضعف. ونساء النبى كلهن عفيفات شريفات. ولكن الله جعل لهن حكما خاصا. به ينتفى الرجم. الذى كان حكما فى التوراة.

وفى الأحاديث النبوية فى باب رجم الحبلى عند البخارى ﷺ أن النبى ﷺ رجم ماعزا والغامدية. ومن المحتمل أنه رجم كلا منهما قبل نزول آية الجلد. لأن التوراة فيه أحكم الرجم. وقد كان العرب عليها. ومن المحتمل أنه رجم بعد نزول آية الجلد؛ فهذا يكون منه اجتهاد كاجتهاده فى أخذ الفداء من أسرى بدر. ولما نزل القرآن؛ ترك الفداء وأخذ بما فى القرآن، وترك اجتهاده. وإن كان قد رجم بعد نزول آية الجلد. فإنه يكون مخالفا للقرآن، وهو منهى عن مخالفته.

ثم إن الله تعالى ذكر حد القذف فى القرآن. وهو ثمانون جلدة. ولو كان الرجم مشروعا؛ لكان أولى بالذكر فى القرآن من حد القذف. وفى الأحاديث النبوية عن النبىﷺ: "لا ينكح الزانى المحدود إلا مثله" وروى: أن محدودا تزوج غير محدودة؛

ففرق على ﷺ بينهما. ومعنى هذا: إن المحدودة لم ترجم، وإلا فكيف تتزوج؟

وفى القرآن الكريم: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾

"قوله ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴾ ينفى الرجم؛ لأنه من بعده؛ إمساك فى القبور لا فى البيوت.

ذلك من حجج النافين للرجم فى الشريعة الإسلامية. وأما المثبتون للرجم فلهم أدلة من السنة وليس لهم أدلة من القرآن. فإن الألف واللام فى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ للعموم. وأدلتهم من السنة: أن النبى رجم ماعزا والغامدية، وأن الصحابة من بعده رجموا. ولذلك الإشكال يقول الأئمة: إن صح الحديث فهو مذهبى.

يقول الإمام فخر الدين الرازى ﷺ فى تفسيره الكبير:

"الخوارج أنكرو الرجم واحتجوا فيه بوجوه" :

أحدهما: قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ ﴾ فلو وجب الرجم على المحصن؛ لوجب نصف الرجم على الرقيق، لكن الرجم لا نصف له.

وثانيهما: أن الله سبحانه ذكر فى القرآن أنواع المعاصى من الكفر والقتل والسرقة، و لم يستقص فى أحكامها كما استقصى فى بيان أحكام الزنا.

ألا ترى أنه تعالى نهى عن الزنا بقوله: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾

ثم توعد عليه ثانيا بالنار كما فى كل المعاصى.

ثم ذكر الجلد. ثالثا.

ثم خص الجلد بوجوب إحضار المؤمنين. رابعا.

ثم خصه بالنهى عن الرأفة عليه بقوله: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ خامسا.

ثم أوجب على من رمى مسلما بالزنا ﴿ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ سادسا. ولم يجعل ذلك على من رماه بالقتل والكفر، وهما أعظم منه.

ثم قال سابعا: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا

رواية ابن إسحاق وإنما حَذْفُها كان من النسخة التي كانت عند يهود خيبر، الذين أرسلوا الزانيين مع رهط منهم لبني قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكم الرجم، كما يدل عليه قوله تعالي في وصفهم: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ يعني الحكم المحرف المزال عن موضعه ﴿فَخُذُوهُ﴾ واقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بأن أفتاكم محمد بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ أي أن تقبلوه. فهذه الآية

تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

ثم ذكر ثامنا: من رمى زوجته بما يوجب التلاعن، واستحقاق غضب الله تعالى.

ثم ذكر تاسعا: أن ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾

ثم ذكر عاشرا: أن ثبوت الزنا مخصوص بالشهود الأربعة.

فمع المبالغة فى استقصاء أحكام الزنا قليلا وكثيرا؛ لا يجوز إهمال ما هو أجل أحكامها وأعظم آثارها. ومعلوم أن الرجم لو كان مشروعا لكان أعظم الآثار. فحيث لم يذكره الله تعالى فى كتابه؛ دل على أنه غير واجب.

وثالثهما: قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ يقتضى وجوب الجلد على كل الزناة. وإيجاب الرجم على البعض بخبر الواحد يقتضى تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد وهو غير جائز. لأن الكتاب قاطع فى متنه، وخبر الواحد غير قاطع فى متنه، والمقطوع راجح على المظنون.

واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن: بما ثبت بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك. قال أبو بكر الرازى: روى الرجم أبو بكر وعمر وعلى وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدرى وأبو هريرة وبريدة الأسلمى وزيد بن خالد فى آخرين من الصحابة. وبعض هؤلاء الرواة روى خبر رجم ماعز وبعضهم خبر اللخمية والغامدية. وقال عمر ﷺ : "لولا أن يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لأثبته فى المصحف"

الشريفة نص صريح علي أن يهود خيبر حرفوا آية الرجم من توراتهم تحريفاً لفظياً.

وأما قول القسيس في ذيل تفسير الآية الثانية: "والأرجح أن هذه الآية لا إشارة فيها إلي تحريف اليهود للتوراة" الخ. فغلط يقيناً. واستدلاله بتمام الآية علي صحة ما زعمه؛ يدل علي شدة جهله؛ فإن جملة قوله تعالي ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ معطوفة بالواو التي بالجمع المطلق علي جملة قوله تعالي ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ فأمر التحريف خلاف قولهم ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ الخ لأن العطف يقتضي المغايرة، كما لا يخفي علي من له أدني إلمام بفن العربية. فهم جمعوا بين تحريف كلام الله تعالي وبين قولهم في خطاب النبي ﷺ ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ الخ ومن راجع هاتين الآيتين بالتأمل والإنصاف من غير تعصب ولا إجحاف يعلم أن ما أبداه هذا القس غلط محض، يدل علي قلة علمه وسوء فهمه. وهذا حاله في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وعلي هذه الأفهام السقيمة يرجو أن ترجّح عباراته و تفسيره الركيك علي عبارات و تفسير علماء هذا الدين المبين. وماهذا إلا عين الجهل والحماقة.

وكيف ينكر هذا القسيس تحريف اليهود للتوراة مع أن المحققين من مؤرخيهم ومفسريهم قد اعترفوا بوقوعه في مواضع متعددة من كتبهم. بل كتابهم الإنجيل يفيد ذلك أيضاً فلقد نقل يوحنا الإنجيلي في

العدد التاسع عشر من الأصحاح الرابع من إنجيله قصة المكالمة التي وقعت بين المرأة السامرية وبين المسيح عليه السلام وبعض عبارته فيها هكذا: "إني أري أنك ياربُّ نبي. وكان آباؤنا يسجدون في هذا الجبل (يعني جرِزِّيم) وأنتم. أي اليهود. تقولون المكان الذي ينبغي ان يسجد فيه هو أورشليم. قال لها يسوع: يامرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لافي هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للرب" انتهي.

فهذه المكالمة صريحة في وقوع الاختلاف بين النسخة السامرية وبين النسخة اليهودية في الموضع الذي ينبغي السجود فيه لله ﷻ. وهذا الاختلاف من أعظم الأمور المتنازع فيها بين الفرقتين، وكل منهما تدعي أن الأخري هي التي حرفت توراتها تحريفاً لفظياً بتبديل الألفاظ و تغيير المعاني، لكن سكوت المسيح عليه السلام عن البيان في جواب المرأة السامرية يدل علي أن الحق ما عليه السامريون في هذا الموضع، ولو كانوا هم المحرفون للتوراة في هذا الموضع؛ لكان للمسيح عليه السلام أن يبين هذا الأمر؛ لكنه ما بينه بل سكت عنه. فسكوته هذا دليل واضح علي أن المحرفين للتوراة في هذا الأمر هم اليهود يقيناً. قال المحقق هورن في المجلد الثاني من تفسيره في بيان آداب السامريين بالنسبة إلي التوراة هكذا: "إن كينكات يقول: لو لاحظنا أدب السامريين بالنسبة إلي التوراة، ولاحظنا عباراتهم، ولاحظنا سكوت المسيح حين المكالمة المشهورة التي وقعت بينه وبين المرأة السامرية، ولاحظنا أموراً أخرى؛ لاقتضي الكل أن اليهود حرفوا

التوراة قصداً. قال: وإن ماقاله محققو كتب العهد العتيق والجديد وهو أن السامريين حرفوها قصداً؛ لا أصل له" انتهي. قلت: **وهـذا يكفينـا لاقناع المنصفين من عقلاء المسيحيين.**

شهادة القرآن بعدم تحريف الإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "**فتحصل بما تقدم؛ نتائج: الأولي: أنه إن سلَّم أن التحريف واقـع؛ فإنمـا يكـون مخصوصاً في التوراة، ولا دخل له في الإنجيل؛ لأن آيات القرآن التي ذكر فيها التحريف نزلت علي قوم من اليهود، ولا إشارة فيها قـط. إلى أن النصاري حرفوا كتابهم. وعلي هذا يكون التحريف إنما وقـع في التوراة وحدها، وأما الإنجيل فتري كل آية من القرآن ورد ذكـره فيها تصفه بأكمل التعظيم والتوقير. فهذا برهان علي عـدم تحريفـه البتة**"

أقول وبالله التوفيق، وبه الهداية إلي أقوم طريق: إن مـا أورده صاحب البرهان في هذه النتيجة من أن الآيات القرآنيـة التـي وردت بلفظ التحريف إنما تشير إلي تحريف التوراة فقط، ولا دخل لهـا فـي الإنجيل؛ أمر مسلَّم عندنا معشر المسلمين، وإنا لا نقول: إن الإنجيـل الذي جاء ذكره في القرآن هو محرف، كما حرفت التوراة، وإنما نقول ونعتقد: أنه ضاع وفُقد بالكلية حتي لم يبقي له إلا الاسم. كالعنقاء. كما علمت ذلك فيما مرّ.

وهذه الأناجيل المتداولة الآن وإن كان يوجد فيها بعـض أمثـال شريفة وبعض أقوال صحيحة منقولة عن لسان السيد المـسيح عليـه السلام لكنها ليست هي الإنجيل المذكور في القرآن، لما قد علمت فيما

تقدم: أن الإنجيل الطاهر في اصطلاح القرآن هو ما أوحي إلي عيسي عليه السلام. قال تعالي في سورة المائدة في حق عيسي عليه السلام: ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ﴾ وهو كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه. والموجود الآن أربعة مجلدة، في مصحف واحد مع رسائل أخري تحكي أخبار المسيح وحكاياته وانتقالاته وتعاليمه الدينية وما جري له مع اليهود علي صور مختلفة باختلاف الرواة متي ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس ويعقوب وغيرهم من أشياخ النصاري حتي أنهم يختلفون في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته وفي نسبه الشريف ووقت صلبه علي زعمهم وفي كونه رباً أو رسولاً بل لايخرج أصحاح من أصحاحاتها ولا سطر من أسطرها ويكون خالياً من الغلط والاختلاف. فكل هذه الأناجيل التي هي علي هذه الصفة ليست هي الإنجيل الطاهر الذي جاء ذكره في القرآن. قال صاحب تخجيل من حرف الإنجيل في الباب الثاني من كتابه في حق هذه الأناجيل هكذا: "إنها ليست هي الإنجيل الحق المبعوث به الرسول المنزل من عند الله ﷻ" ثم قال والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح عليه السلام" انتهي. وقال صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون في بيان الإنجيل هكذا: "إنه كتاب أنزله الله سبحانه وتعالي علي عيسي بن مريم عليه السلام" ثم قال: "وهذه الأناجيل الأربعة ليست هي الإنجيل الأصلي المنزل علي عيسي عليه السلام" وقال الامام القرطبي في تصنيفه المسمي بكتاب "الاعلام بما في دين النصاري من الفساد والاوهام" في الباب الثالث

من كتابه هكذا: "إن الكتاب الذي بيد النصاري الذي يسمونه بالإنجيل ليس هو الإنجيل الذي قال الله فيه علي لسان رسوله ﷺ ﴿التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ انتهي.

ثم أورد الدليل علي هذه الدعوي وأثبت أن الحواريين ما كانوا أنبياء ولا معصومين من الغلط، وأن ما ادعوه من كراماتهم لم ينقل شيء منها علي التواتر، بل هي أخبار آحاد غير صحيحة. ولو سلمنا صحتها لما دلت علي صدقهم في كل الأحوال وعلي نبوتهم لأنهم لم يدعوا النبوة لأنفسهم وإنما ادعوا التبليغ عن عيسي ابن مريم. ثم قال: "فظهر من هذا البحث أن الإنجيل المدعي به لم ينقل تواتراً ولم يقم دليل علي عصمة ناقليه. فإذاً يجوز الغلط و السهو علي ناقليه؛ فلا يحصل العلم بشيء منه ولا غلبة الظن. فلا يلتفت إليه ولا يعول في الاحتجاج عليه" قال: "وهذا كاف في رده وبيان قبول تحريفه وعدم الثقة بمضمونه، ولكنا مع ذلك نعمد منه علي مواضع يتبين فيها تهافت نقلته، ووقوع الغلط في نقله" انتهي. ثم نقل المواضع المذكورة، وبعد أن نقلها قال: "فقد حصل من هذا البحث الصحيح أن التوراة والإنجيل لا يحصل الثقة بهما؛ فلا يصح الاستدلال بهما لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير. وقد دلت على بعض ما وقع فيهما من ذلك. وإذا جاز مثل ذلك من هذين الكتابين مع كونهما أشهر ما عندهم وأعظم عمدهم و مستند ديانتهم؛ فما ظنك بغير دينك من سائر كتبهم التي يستدلون بها

مما ليس مشهوراً مثلهما ولا منسوباً الي الله نسبتهما. هذا هو أولي بعدم التواتر، وبقبول التحريف منهما" انتهي. كلامه الشريف بلفظه.

وقال الإمام الهمام فخر الدين الرازي في كتابه المسمي بالمطالب العالية في الفصل الرابع من القسم الثاني من كتاب النبوات هكذا:

"وأما دعوة عيسي عليه السلام فكأنه لم يظهر لها تأثير إلا في القليل، وذلك لأنه ما دعي إلي الدين الذي يقول به هؤلاء النصاري؛ لأن القول بالآب والابن والتثليث أقبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل ومثل هذا لا يليق بأجهل الناس فضلاً عن الرسول المعظم المعصوم. فعلمنا أنه ما كانت دعوته البتة إلي هذا الدين الخبيث، وإنما كانت دعوته إلي التوحيد والتنزيه. ثم إن تلك الدعوي ما ظهرت البتة بل بقيت مطوية غير مروية. فثبت أنه لم يظهر لدعوته إلي الحق أثر البتة" انتهي.

قلت: وهذا القول يفيد أن هذه الأناجيل المحتوية علي القول بالتثليث ليست هي إنجيل المسيح الذي جاء ذكره في القرآن.

وذكر صاحب إظهار الحق رحمه الله "أن بعض فضلاء الهند استفتي في هذا الباب من علماء مدينة "دهلي" فأفتاه جميعهم وكتبوا أن هذا المجموع المشتهر الآن بالعهد الجديد؛ ليس بمسلّم عندنا، وليس هذا هو الإنجيل الذي جاء ذكره في القرآن، بل هو عندنا عبارة عن الكلام الذي أنزل علي عيسي عليه السلام" قال: وجميع علماء الهند شرقاً وغرباً فتواهم كفتوي علماء دهلي. ومن رد منهم علي رسائل القسيسين

سواء كان من أهل السنة والجماعة أو من أهل التشيع صرح في هذا الباب تصريحاً عظيماً، وأنكر هذا المجموع أشد الإنكار" انتهي.

قلت وهذه الاقوال كافية في بيان أن هذه الأناجيل ليست هي إنجيل المسيح عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن كيف يكون هذا الإنجيل هو إنجيل المسيح عليه السلام و فيه أخبار صلبه وتألمه واستغاثته عند الصلب بقوله: "إلهي إلهي لماذا تركتني"؟ والقرآن الكريم ينزه ساحته عن ذلك كله، ويخبر أنه رفع إلي السماء حياً[1] طاهراً بريئاً من كل ما نسب إليه، لم يقع عليه صلب ولا إهانة، وإنما وقعا علي من نافق من أتباعه ودل عليه. قال تعالي في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقال تعالي في السورة المذكورة ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾

فهذه المخالفة الواقعة بين القرآن وهذا الإنجيل كافية شافية فى الدلالة على تحريفه بل على تكذيبه. ولقد علمت فيما تقدم اختلاف الإنجيليين فى كيفية موت يهوذا الأسخريوطى الذى دل عليه. وذلك

---

[1] المؤلف يثبت رفع المسيح إلى السماء بجسده وروحه. وقد قال الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر: إن رفعة المسيح رفعة درجة كرفعة إدريس عليه السلام أما الجسد فلا. ونعم ما قال. ومعنى "ولكن شبه لهم" أن موسى عليه السلام قال: "إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم..." [تث ١٨] وهذا النبى هو محمد ﷺ فخدع اليهود جماعة الروم بقولهم إن عيسى هو الآتى مثل موسى فى مجيئه الثانى. أى شبهوا لهم عيسى بموسى. وذلك لإنكار نبوة رسول الله محمد من قبل مجيئه.

الاختلاف يدلنا يقيناً على أنه هو المصلوب البتة. وكذلك ورد فى هذا الإنجيل أن المسيح عليه السلام صار ملعوناً والعياذ بالله تعالى لكونه صلب وعلق على خشبة؛ ليكون فدية وكفارة عن العالم كما صرح بذلك قديس المسيحيين بولس فى الأصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية بقوله: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" لأنه مكتوب فى الناموس: ملعون كل من علق على خشبة" والقرآن المجيد نزه ساحته الشريفة عن ذلك كله فى مواضع متعددة وكذلك يزعمون أن فى هذا الإنجيل الأمر بالقول بالتثليث وألوهية المسيح عليه السلام والقرآن المجيد يخبر بكفر من يقول ذلك. قال تعالي في سورة المائدة: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أفلا يتوبون إلي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وقال في سورة المائدة: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾وفي آخر سورة النساء: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً

﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ[1] أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا﴾ ومعني هذه الآية: يا أهل الإنجيل ﴿لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ أي لا تتجاوزا الحد في دينكم ﴿وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ﴾ من تنزيهه عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ﴾ يعني أن المسيح مقصور علي الرسالة لا يتخطاها إلي ألوهية. بدليل لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ فانها تدل علي الحصر بمقتضي القواعد العربية. أي ما المسيح إلا رسول الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أوصلها إليها وحصلها فيها بواسطة جبريل الملك. وسمي المسيح كلمة الله لأنه خلق بكلمة كن من دون واسطة أب. كما قد علمت ذلك فيما تقدم، وليس هو نفس الكلمة. كما تزعم النصاري. وإنما هو أثرها فإن الكلمة معني من المعاني بخلاف المسيح عليه السلام فإنه ذات من الذوات. وقوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي أن المسيح ذو روح صدر من الله بدون توسط ما يجري مجري الأصل والمادة له. وليس هو جزء من الله سبحانه وتعالي كما تزعم النصاري. ومن هذا القبيل قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

---

(1) المراد بالمسيح: المسيح الرئيس المكتوب عنه فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال وهو محمد ﷺ. والمراد بالملائكة المقربون: أصحاب محمد المقربون منه كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين.

الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ وقوله ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ فعلي قولهم يلـــزم أن تكون جميع تلك الاشياء جزءً منه –سبحانه و تعالي عن ذلـــك علـــواً كبيراً– قيل: سمي المسيح روحاً لأنه كان يحيي الأموات والقلوب من موت الكفر والضلال فكأنه روح لأولئك المؤمنين ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾أي ثلاثة آلهة.﴿ انتَهُوا﴾ عن ذلك التثليث خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أى تنزه عن أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثـــل ويتطرق إليه فناء ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً و خلقاً لا يماثلـــه شيء من ذلك؛ فيتخذه ولداً أو شريكاً ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ أي مستقلاً بحفظ الأشياء وتدبير خلقه، ولا حاجة له إلي ولد يخلقه أو شريك يعينه وهذا القول صريح في مخالفة ما زعمته النصاري من أن في الإنجيل القول بأن المسيح إله معبود، وأن الله اسم لثلاثة. ممتازة بامتياز حقيقي؛ فهو واحد ثلاثة وهو ثلاثة واحد.

وإذا علمت هذه المخالفة الواقعة بين القرآن المجيد و هذا الإنجيل تعلم أن ما سلكه صاحب "البرهان" غلط أو تغليط منشأه سوء الفهم من شدة التعصب وعدم الإنصاف. وأي دليل يطلب من القرآن الكريم علي تحريف هذا الإنجيل أعظم من هذه المخالفة الواقعة بينهما في أصـــول ذلك الدين. فإن مسألة الصلب والتثليث أساسا الدين المسيحي، وعليهما مبناه. فإذا انتفيتا انهدم ذلك الدين من أصله، وبطل الإنجيـــل بـــشهادة القرآن. ومع هذا فلقد ورد في سورة المائدة: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى

أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ أي مما يخفونه. لا يخبر به إذ لا يضطر إليه في أمر ديني ككون المسيح ركب وهو ذاهب إلي القدس الشريف أتانةً وجحشاً ابن أتانة، علي ما أخبر متي أو ركب جحشاً ابن أتانة فقط علي ما أخبر غيره من الإنجيليين. فمثل هذه الأخبار لا ينظر إليها في أمر ديني حتي يبينها القرآن. وأما ماينظر إليه في أمر ديني فقد بين القرآن حقيقته بأوضح بيان، وأجلي إشارة. وقد علمت بعض ذلك.

وجاء في صحيح البخاري عن النبيﷺ أنه قال من حديث طويل في خطاب المؤمنين: "فلم تسألون انتم منهم" أي من أهل اليهود والنصاري" مع علمكم بأن كتابهم محرف"

وهذا الحديث كافٍ في الدلالة علي تحريف الإنجيل؛ فكيف إذا اجتمع مع الآيات القرآنية والأخبار التاريخية؟ فإنه يكفي لمن في قلبه أدني إصغاء للحق وإذعان للصدق؛ فلا يحتاج بعد ذلك إلي زيادة بسط إلا لمزيد التأكيد والايضاح. فتأمل أيها القسيس هداك الله ما احتوي عليه هذا الإنجيل من الأغلاط والاختلافات والعبارات الغير لائقة بالكتب السماوية، وانظر وفقك الله إلي ما حكته المؤرخون من المسيحيين و غيرهم في شأن هذا الإنجيل حتي تقف علي حقيقة ماهو عليه، وترجع عما تقول؛ فتفطن لذلك إن اردت سلامة جسدك من

العذاب الأليم الدائم في نار الجحيم. والله الهادي إلي سواء السبيل. وهو حسبي و نعم الوكيل.

قول القسيس
إن شهادة القرآن بتحريف التوراة
هى لليهود المعاصرين له والمجاورين له
فى زمنه

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "الثانية: إن القرآن لا يوبخ جميع أفراد طائفة اليهود علي تحريف التوراة، بل التوبيخ إنما وقع علي بعض قوم صدر منهم ذلك. وعلي ذلك لو فرضنا أن المراد بالتحريف هو التحريف اللفظي لبقي أكثر نسخ التوراة عند أكثر اليهود صحيحاً من دون تحريف لأنها لم تحرف عند الجميع، بل عند بعض أناس قليلين وُبِّخوا علي ذلك، كما أنه لو فرض أن فرقة من المسلمين غيروا نُسَخ القرآن التي في أيديهم فلا يجوز أن يقال: إن جميع طائفة المسلمين قد غيروا القرآن، وأن القرآن أصبح مغيراً ومبدلاً"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية الي أقوم طريق: إن من يمعن النظر ويدقق الفكر في هذه النتيجة يظهر له جهالة هذا القسيس في إقامة الدليل والحجة فإنه لا يُوجد في العقلاء من يقول إن تحريف التوراة وقع من جميع أفراد طائفة اليهود لعدم امكان ذلك، وإنما وقوعه بالزيادة والنقصان كان من كهّانهم وأحبارهم. وهؤلاء هم الواقع عليهم توبيخ القرآن المجيد، ولا يمكن صدور التحريف من عوامهم. فإذا صدر ذلك من علمائهم يتلقاه العوام بالقبول، وذلك لعدم حفظهم إياها

في الصدور. بخلاف القرآن المجيد فإنه مسطور في السطور ومحفوظ فى صدور الملايين من المسلمين ولا فرق فى ذلك بين العلماء منهم والعوام. وبرهان ذلك: الحس والمشاهدة. وكذلك لا يوجد من يقول إن سائر فرق اليهود اتفقت على تحريف التوراة. حاشا للاختلاف والعداوة الواقعين فيما بينهم، وإنما نقول: إن كل فرقة من اليهود كانت تحرف التوراة على حسب أهوائها وأغراضها. ولهذا ترى كل نسخة من نسخ التوراة بخلاف الأخرى؛ فإنك قد علمت فيما مر غير مرة أن نسخ التوراة المشهورة ثلاثة: السامرية وهى التى عليها السامرة، واليونانية وهى التى عليها بعض اليهود والأرثوذكس والكاثوليك النصارى، والعبرانية وهى التى عليها اليهود والنصارى البروتستنت وبين هؤلاء النسخ الثلاثة اختلاف لا يخفى على اللبيب أمره، حتى النسخ التى توجد من التوراة عند طائفة النصارى بعضها مخالف للبعض الآخر. فإن النسخة التى عند طائفة الروم الكاثوليك تخالف التى عند طائفة بروتستنت، والتى عند طائفة بروتستنت تخالف التى عند طائفة أرثوذكس وهكذا. وكل نسخة من نسخ التوراة توجد عند فرقة من فرق أهل الكتاب تخالف التى عند الفرقة الأخرى، بل النسخ التى توجد عند فرقة واحدة من تلك الفرق يخالف بعضها البعض الآخر فى مواضع متعددة تكاد أن لا تحصى، سيما إذا أضفنا ذلك إلىٰ فرقة بروتستنت؛ فإن التغيير والتبديل عندهم بمنزلة الأمر الطبيعى. ولذلك تراهم إذا طبعوا كتابًا من كتبهم مرة أخرى يوقعوا فيه غالبًا التغيير والتبديل

بالنسبة إلى المرة الأولى إما بتبديل الألفاظ أو بزيادتها أو نقصانها أو تقديم العبارات أو تأخيرها ويوجد فى خزانة كتبى من كتبهم المقدسة نسختان عربيتان بينهما اختلاف كثير وقد حصل لك أيها اللبيب الاطلاع على بعض منها فيما تقدم.

والأنسب أن أبين لك هاهنا أيضًا بعضًا منها ولا أخشى من التطويل اليسير. فأقول: جاء فى العدد السادس من الأصحاح التاسع من كتاب إشعياء من الترجمة العربية المطبوعة فى لندن سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين من الميلاد هكذا: "لأنه كان صبيًا ولد لنا، وابنا أعطينا، وصارت رياسته على منكبيه، ويدعى اسمه عجيبًا مشاورًا لله، جبارًا، أبا العالم الآتى، رئيس السلام؛ ليكثر سلطانه وسلامه، ليس له فناء على كرسى داود. وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالإنصاف والعدل، منذ الآن وإلى الأبد" انتهى. وجاءت هذه العبارة فى الترجمة المطبوعة فى بيروت سنة ألف وثمانمائة وسبعين من الميلاد هكذا: "لأنه يولد لنا ولدًا ونعطى ابنًا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام؛ لنمو رياسته وللسلام. لا نهاية له على كرسى داود وعلى مملكته. ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن وإلى الأبد" انتهى.

فانظر أيها المتفطن إلى هذا التباين البين الواقع بين هاتين النسختين. ولا يخفى عليك أيها المتنبه الفرق الحاصل بين قوله مشاورًا لله، وبين قوله مشيرًا إلهًا. وتأمل فى زيادة الفرق الحاصل بي، قوله

جبارًا أبا العالم، وبين قوله قديرًا. والظاهر أن التحريف الواقع في الترجمة الثانية كان قصديا ليوافق مزعومهم في السيد المسيح عليه السلام من كونه ربا وإلها؛ فإنهم يزعمون أن هذا الخبر في حقه. وقد علمت أنه ليس في حقه وإنما هو في حق سيدنا ومولانا محمد ﷺ للوجوه التي تلوتها عليك فيما تقدم صدر الكتاب، فتنبه لذلك، ولا تكن من القوم الغافلين، الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

وقد جاء في العدد العشرين من الأصحاح السادس من سفر الخروج من النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٠ هكذا: "وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هرون وموسى" انتهى.

وجاءت هذه العبارة في النسخة المطبوعة في لندن سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين هكذا: "فتزوج عمران يوكابد ابنة عمه فولدت له هارون وموسى" انتهى. فانظر أيها اللبيب إلى هذه المباينة الحاصلة بين قوله عمته وقوله ابنة عمه. والظاهر أن تحريف النسخة الثانية كان قصديا لئلا يقع العيب في نسب موسى وهارون عليهما السلام لأن نكاح العمة حرام في شريعة موسى عليه السلام كما يدل عليه صريح العدد الثاني عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر الخروج وهذا التحريف موجود في الترجمة العربية المطبوعة سنة ألف وستماية وخمسة وعشرين، والترجمة المطبوعة سنة ألف وثمانماية وخمسة وثلاثين. وقد سبق لهذا الكلام تتمة في مبحث النسخ؛ فارجع

إليه إن أحببت. وجاء فى العدد الثالث من الأصحاح التاسع من سفر التكوين من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٧ هكذا: " وكل ما يتحرك على الأرض وهو حى يكون لكم مأكولا كخضر العشب" انتهى. وجاءت هذه العبارة فى النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وإحدى عشر من الميلاد هكذا: "كل دبيب طاهر حى؛ يكون لكم مأكلا؛ كخضر العشب " انتهى. فزادوا فى هذه النسخة لفظ "الطاهر" من جانبهم لئلا يشمل الحيوانات المحرمة فى الشريعة الموسوية؛ فإنه ورد فى التوراة أنها نجسة. ولذلك حرم على بنى إسرائيل أكلها. ولنقتصر على هذه المخالفة ولا أذكر غيرها من الاختلافات هربا من التطويل. وذلك القدر يكفى اللبيب، ومن لا يكتفى بذلك فليرجع إلى النسختين المذكورتين، ويجرى المقابلة بينهما أو بين غيرهما يجد من الاختلافات ما لا يقدر أن يحصيه.

إذا علمت هذا ظهر بطلان ما سلكه صاحب "البرهان" فى هذه النتيجة، ومن كان مرتابا يزيل ارتيابه برهان الحس والمشاهدة، فضلا عن ما نقلناه فيما تقدم من إجماع المؤرخين قديما وحديثا على وقوع التحريف فى التوراة فى كل زمان من الأزمان وهذا عدا ما ورد فى ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾؟

قول القسيس: إن توبيخ القران لليهودهو في التحريف فى الألفاظ الدالة على محمد

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا :" **الثالثة: أن القرآن لا يوبخ اليهود على تحريف جميع التوراة، بل على تحريف بعض آيات، هى على حسب اعتقاد المسلمين تشير إلى محمد وصفاته، ولما كانت طائفة اليهود تنكر إشارة تلك الآيات إلى محمد وتحملها على غيره، قيل فى حقهم إنهم قد حرفوا كلام الله. فعلى ذلك يكون التحريف إنما وقع فى بعض آيات من التوراة اتخذها محمد إشارة إلى نبوته؛ فتكون سائر الآيات التى لم تذكر فيها الإشارات المتقدمة سالمة من التحريف، ولا شك أن تلك الآيات موجودة فى التوراة، لم تنقص حرفًا إلى زمننا هذه. وقال البيضاوى فى هذا الشأن تفسيرًا للآية ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يختارونها على الهدى، ويستبدلونها بعد تمكنهم منه، وحصوله لهم، بإنكار نبوة محمد ﷺ**"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن ما ادعاه صاحب البرهان على أهل الإسلام فى هذه النتيجة؛ باطل البتة. فإنه لا يوجد فى المسلمين -وقاهم الله- من يعتقد أن تحريف التوراة منحصر فى الآيات التى تشير إلى بعثة سيدنا ومولانا محمد ﷺ بل أجمعت الأمة الإسلامية على تحريف غالب آيات التوراة لعموم لفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن. فإن قوله تعالى

﴿يحرّفون الكلم من بعد مواضعه﴾ عام لا يختص بآية دون غيرها، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من حديث طويل فى حق النصارى واليهود: إن كتابهم محرف عام لا يختص بالآيات التى تشير إلى بعثة محمد ﷺ كما لا يخفى على من له أدنى رائحة من العقل. وأما تمثيل بعض المفسرين للتحريف اللفظى بقوله كنعت محمد ﷺ فلا يفيد انحصار التحريف فى ذلك كما توهمه هذا القسيس؛ لأن الكاف للتمثيل وليست للاستقصاء كما يشهد لذلك مخالفة القرآن المجيد لغالب مضامين هذه التوراة. وما اشتملت عليه من الأغلاط والاختلافات والعبارات المضحكة التى تلوت عليك بعضًا منها فيما تقدم؛ هو أدل دليل على كثرة وقوع التحريف فيها بالزيادة والنقصان والتغيير والتبديل. فمن هنا وما تقدم تعلم فساد ما سلكه صاحب "البرهان" فى هذه النتيجة. ولنقتصر على هذا خوف الإطالة. والله ولى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

كلام القسيس فى التحريف المعنوى واللفظى

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: " الرابعة -:وهى نتيجة النتائج-: ليس المراد بالتحريف التحريف اللفظى فقط، بل يحتمله ويحتمل التحريف المعنوى أيضًا. أى التأويل بدون تبديل الألفاظ أصلا. لأن الفقهاء وأئمة المفسرين اختلفوا فى معنى التحريف. هل هو التحريف اللفظى أو المعنوى؟ وكلا المذهبين مقبول عندهم. لأنه لم يطعن الذى ذهب إلى التحريف اللفظى فى الذى ذهب إلى التحريف المعنوى. وبالعكس. بل خيَّروا بين المذهبين. لأن كل واحد منهم ذكر فى تفسيره القولين. هكذا قالوا. وأقول: إن تأملت معانى الآيات التى أوردناها بعين الإنصاف يتحقق لك أن المراد بها التحريف المعنوى لا التحريف اللفظى[1]"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: قد علمت فيما أسلفنا لك أن التحريف اللفظى والتحريف المعنوى؛ كلاهما واقعان من

---

[1] إن كلام الله له معنى واحد. وينشأ الاختلاف فى الفهم من قلّة العلم ومسألة تحريف اليهود للتوراة مسألة خلافية من قلة العلم، وأيضا من خدع الرواة. والراسخون فى العلم المقيمى الصلاة لا يرون أن المسألة خلافية لأن النصوص القرآنية واضحة فى إثبات التحريف اللفظى والمعنوى. فلبس الحق بالباطل يدل على التحريف اللفظى ونسيانهم حظا مما ذكروا به يدل على التحريف اللفظى. ولو لم تكن عندهم نية التحريف وإعادة الكتابة؛ ما نسوا. ثم إنهم فى عصرنا هذا يؤولون النص تأويلا فاسدا. ولا يقدرون على إعادة كتابة النصوص. وجاء عن ذلك:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾

وعلى ما قدمنا لا تكون هذه المسألة خلافية إلا عند الجهلاء والمغرضون.

أهل الكتاب وعليهما مشى أئمة المفسرين. وهذا القسيس قد اعترف بأن كلا المذهبين مقبول عندهم، وما ذكرناه لك أيها المنصف فى الأبحاث المتقدمة من النصوص الشرعية والأقوال التاريخية الدالة على وقوع التحريف اللفظى؛ كاف للميز من الصبيان. وتأمل أيها الموفق قوله عليه الصلاة والسلام: "لم تسألون أنتم منهم" أى من أهل الكتاب "مع علمكم بأن كتابهم" محرف وإنك قد عرفت فيما تلى عليك: أن الكتاب لا يُوصف بالتحريف المعنوى، وإنما يوصف بالتحريف اللفظى. وحيث كان الأمر كذلك تعين حمل الآيات القرآنية الواردة فى هذا الشأن المحتملة للمعنيين المذكورين على التحريف اللفظى كما هو مقتضى قواعد التفسير. وهذا ما عليه السلف والخلف من أئمة المسلمين. وقد اعترف به المحققون من المسيحيين، ونبه عليه جميع المؤرخين من الموافقين والمخالفين. ولا وجه للإنكار بعد المشاهدة والعيان. والله المرشد لاعتقاد الصواب، والتخلى عن شؤم العصبية والارتياب.

قول القسيس إن المـراد مـن التحريف هو التحريف المعنوى

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فمـا يؤيـد زيادة تأييد أن المراد بالتحريف المذكور فى القرآن هـو التحريـف المعنوى، لا التحريف اللفظى بالزيادة والنقص، والمراد بـالتحريف المعنوى؛ التأويل. أى تفسير الآية على خلاف تفسير المسلمين: مـا يذكر فى بعض آيات القرآن من أن أهل الكتاب يكتمون الحق، ومـا يذكر فى بعض آيات أخر منه أنهم كانوا يخفون بعض أشـياء مـن الكتاب. ومما يوضح لك غاية الإيضاح أن المراد بالتحريف التحريف المعنوى: إتيانه فى هذه الآيات بالكتم والإخفاء فإنهما لا يدلان علـى أن التحريف المذكور فيها هو التحريف المعنوى لا مطلق التحريـف. كما رأينا. وعبر عنه فى هذه الآيات بالكتم والإخفاء ليحمل التحريف عليهما لأنهما مرادفين للتحريف المعنوى لا لمطلق التحريف، وإلا لما ساغ له أن يأتى بالكتم فى آيات والإخفاء فى آيات. والإخفاء لبعض آيات الكتاب لا يستلزم تغيير تلك الآيات وتبديلها بل ينفي هذا القـول فى الكتاب فمن هذه الآيات قوله فى سورة البقرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ وقـال البيضاوي تفسيراً لهذه الآية: إن الذين يلعنهم الله كأحبـار اليهـود ﴿أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ كالآيات الشاهدة على أمر محمد ﷺ ﴿ وَالْهُدَى﴾ ومـا

يهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به من بعده ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ في التوراة. وقال ابن إسحاق في سبب نزول هذه الآية: سأل معاذ ابن جبل أخو بني سلمة وسعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل وخارجة ابن زيد أخو الحارث ابن الخارج نفراً من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم عنه؛ فأنزل الله فيهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾

والظاهر: أن الآيات التي كان أهل الإسلام يظنونها أنها تشهد لنبوة محمد كانت باقية في التوراة، غير أن اليهود كتموها عنهم، إما بعدم إظهارها وإنكار وجودها في كتابهم، وإما بتأويلهم إياها بغير معتقد المسلمين. ومنها قوله في سورة البقرة أيضاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ﴾ ومنها قوله في سورة البقرة أيضاً: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ومنها قوله في سورة آل عمران: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ومنها وقوله في سورة المائدة: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ومنها قوله في سورة آل عمران: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل

الكتاب ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ومنها في سورة الأنعام: ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ قال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: إن اليهود كانوا يكتبون التوراة في أوراق متفرقة، أي كراريس أبدوا بعضها وأخفوا بعضها لا يشتهونها. فحاصل المعنى: أنهم كتبوا جميع أجزاء التوراة بتمامها وحفظوها عندهم، وإنما وبخوا على إخفاء بعض أجزاء منها ولو حصل من القرآن شك بصحة التوراة، وكان المراد منه توبيخ اليهود على إفساد كتابهم؛ لبين في هذه الآية لا محالة، ولما نص فيه على إخفاء بعض الأوراق والكراريس فقط. وهذه الآية تشهد بصريح اللفظ بأن التوراة التي كانت في أيام محمد في أيدي اليهود والتي كانت ينسخونها في كراريس هي من الله لا محالة. فمفاد هذه الآيات جميعها: أن آيات التوراة التي ظنها محمد شاهدة لنبوته كانت باقية فيها، وأنه لم يتجاسر أحد على تغييرها أو تبديلها أو زيادة عليها أو نقص منها، وأنهم حرفوها بالتأويل وكتم وإخفاء بعض آيات منها وتلبيس الحق بالباطل. أي تفسيره بالباطل. وبما ليس المقصود منها. وهذا هو التحريف المعنوي الذي يكون بالتأويل والكتم والإخفاء"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن هذا القسيس قد أطال الكلام في هذه القضية وأفرط في التطويل المحذور والذي يعلم من كلامه هذا عدم النزاع في وقوع التحريف المعنوي، وإنما النـــزاع في التحريف اللفظي بالتغيير والتبديل والزيادة والنقصان. ولقد ثبــت فيما قدمناه لك: أن التحريف بسائر أنواعه قد وقع من أحبار اليهود في جميع أجزاء التوراة فكتموا بعضها وأخفوا بعضها وأوّلوا بما يشتهون بعضها، وحرقوا بعضها ومزقوا بعضها وحرفــوا بعــضها تحريفــاً معنوياً والبعض الآخر تحريفاً لفظياً بأنواعه الثلاثة. وهذا لا سبيل إلى إنكاره بعد ثبوت وقوعه فيها بالحس والمشاهدة. ومـــاذا يقــول هــذا القسيس في ذلك بعد اعتراف المحققين من مفسريهم ومــؤرخيهم فـــي وقوع التحريف اللفظي في غالب أصحاحات التوراة وعباراتهم في هذا المقام طويلة الذيل لا يجعلها المعنيون بالاطلاع على ما تكشفه الأفكار من غرائب الفوائد وقت سياحتها العلمية ويكفى من تلك ما أسلفناه لـــك أيها اللبيب صدر الكتاب فرارا مـــن التطويـــل المحـــذور فـــى هـــذا المختصر؛ لكنى أذكر لك لزيادة الإيضاح عن صاحب إظهـــار الحـــق قولاً واحدا نقله عن علماء كا تلك فى الشاهد التاسع عشر من المقصد الثالث فى إثبات التحريف بالنقصان. وهو هكذا: "إن اليهـــود ضـــيعوا كتبا كثيرة من كتب الأنبياء قصدا لعناد الدين المسيحى" انتهى ملخصا. ثم قال: "وقد ألف ممفرد كاتلك كتابا سماه بسؤالات السؤال. وطبع هذا الكتاب فى مدينة لندن سنة ألف وثمانمائة وثلاث وأربعون من الميلاد.

فقال فى السؤال الثانى هكذا: "الكتب التى كان فيها هذا يعنى ما نقلــه متى الإنجيلى من أن المسيح سيدعى ناصريا انمحت لأن كتب الأنبياء الموجودة الآن لا يوجد فى أحد منها أن عيسى يدعى ناصـــريا. قـــال كريزاستم فى تفسيره التاسع على متى: "انمحى كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتبا لا لأجل غفلتهم، بل لأجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها" انتهى قول كريزاستم. قال ممفرد: "وهذا هو الأغلب جدا أنهم مزقوا الكتب وحرقوها لأنهم لما رأوا أن الحـــواريين يتمسكون بهذه الكتب فى إثبات مسائل الملة المسيحية فعلوا هذا الأمر. ويعلم هذا من إعدامهم كتبا نقل عنها متى. انظروا إلى جستن يقول فى المناظرة لطريفون: "اليهود أخرجوا كتبا كثيرة من العهد العتيق ليظهر أن العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق. ويعلم من هــذا: أن الكتب الكثيرة انمحت" انتهى كلام ممفرد.

قال الشيخ رحمة الله: "ويظهر منه أمـــران: الأول: أن اليهـــود مزقوا بعض الكتب وأحرقوا البعض لأجل عـــدم ديـــانتهم. والثـــانى: التحريف كان سهلا فى سالف الأزمان. ألا ترى كيف انمحـــت هـــذه الكتب بإعدامهم عن صفحة العالم". قال: "وإذا عرفت ديانة أهل الكتاب بالنسبة إلى الكتب الإلهية وعرفت سهولة وقوع التحريف فى الزمـــان السالف فأى استبعاد عقلى أو نقلى لو قلنا إنهم فعلوا مثلـــه بالكتـــب أو بالعبارات التى كانت تشهد صراحة لنبوة محمد ﷺ ؟"

قلت: ومن يطلع على أصحاحات سفر أخبار الأيام الأول والثانى وأسفار الملوك من كتبهم المقدسة يقف على حال ديانة بنى إسرائيل وقبائحهم التى أجروها فى سالف الأزمان بالنسبة إلى التوراة وأحكامها، وإذا كان حالهم فى تلك الأيام كما ذكر هناك، فكيف يكون حالهم مع التوراة فيما بعدها؟ ولعمرى إن داءهم هذا لفى ازدياد فى كل زمان بعده زمان، حتى سرى ذلك الداء فى أعضاء علماء المسيحيين. غير أن هذا الداء فى علماء ملة بروتستنت أشد، لا يرجى شفاؤهم منه، كما قد عرفت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه. وما أطربنى من قوله عن شأنه فى معرض التحريف ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أى من أهل الكتاب ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ أى لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم . فهذا البحث مع ما أسلفته فيما تقدم يكفى البالغ حد التمييز فى إثبات وقوع التحريف اللفظى فى التوراة. والآيات القرآنية التى ذكرها هذا القسيس ههنا ليستدل بها على أن المراد بالتحريف المذكور فى آيات القرآن إنما هو التحريف المعنوى لا التحريف اللفظى؛ فليس بشئ بل هو غلط منه أو تغليط منشأه شدة التعصب وعدم الإنصاف.

فإن الآيات الواردة فى كتم اليهود كلام الله وإخفائه لا يتعين حملها على التحريف المعنوى، كما زعم، وإنما هى تحتمل المعنيين المذكورين -أعنى التحريف المعنوى والتحريف اللفظى- إذ من المعلوم للمتبحر فى العلوم بل لا يخفى على من له أدنى إطلاع على كتب اللغة أن الكتم والإخفاء فى لغة العرب هو ترك إظهار الشئ

قصدا مع مسيس الحاجة إليه، وتحقق الداعى إلى إظهاره، لأنه متى لم يكن كذلك لا يعدّ من الكتم والإخفاء وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه، وقد يكون بإزالته عن موضعه بالكلية أو وضع شئ آخر موضعه. وهذا هو التحريف اللفظى بعينه. وحيث تبين لك أيها العاقل اللبيب ورود آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل صراحة على وقوع التحريف اللفظى؛ تعين حمل هذه الآيات عليه لا محالة، كما هو قواعد التفسير. وبرهانُ الحسّ والمشاهدة يؤكد ذلك. وعليه جرى أكثر المفسرين فى تفسيرهم لأيات الكتم والإخفاء. ففى الجلالين تفسيرا للآية الأولى التى نقلها من سورة البقرة ما لفظه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ أى التوراة ﴿ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ أى يبعدهم من رحمته ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، أو كل شئ بالدعاء عليهم باللعنة ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ ﴾ رجعوا عن ذلك وأصلحوا عملهم وبينوا ما كتموا﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. وقال أبو السعود فى تفسيره: المراد من قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ بيان دوام اللعن واستمراره، وعليه يدور الإستثناء المتصل فى قوله تعالى ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ ﴾ أى عن الكتمان ﴿ وَأَصْلَحُواْ﴾ أى ما أفسدوه بأن أزالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف. فانظر أيها الموفق إلى هذه

الأقوال فإنها تفيد بصريح اللفظ أن المراد بالكتم هـا هنـا التحريـف اللفظى. وهو الحق بدليل: ذكر الإصلاح والتبييـن. وكـذلك فـسرها غيرهم من محققى المفسرين. وأما الكتم فى الآية الثانية. فلقـد فـسره صاحب الجلالين وغيره من المحققين بما فسروا به الآية الأولى وقالوا فى تفسير الأية الثالثة الى أوردها القسيس وهى قولـه تعـالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ هم علماء اليهود والنصارى ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ أى محمـدًا ﷺ بأوصافه ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾ فإنهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم. روى عن عمر عليه السلام أنه سأل عبد الله ابن سلام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال: أنـا أعلم به منى بابنى قال ولم قال؟ لأنى لست أشك فى محمد أنـه نبـى. فأما ولدى فلعل والدته قد خانت . فقبل رأسه ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ ﴾ أى من أهل الكتاب وهم علماؤهم ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ ﴾ نعت محمد ﷺ وغيره ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أى أنهم كاتمون وتذكر ما تلوناه عليك فى تفسير الآية الأولى.

قال صاحب الجلالين فى تفسير الآية الرابعة التى ذكرها القسيس من سورة آل عمران:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أى من اليهـود والنـصارى ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ أى تخلطون ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ أى بالتحريف والتزويـر﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أى نعت النبى ﷺ وغيره﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق. وفـى تفـسير البيضاوى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحريف وإبراز الباطل

فى صورته ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نبوة محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عالمين بما تكتمونه. وفى تفسير النسفى: ولبس الحق بالباطل خلطه والباءُ فى قوله بالباطل إن كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به؛ كان المعنى ولم تكتبون فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتمتوه حتى لا يميز بين صحيحها وباطلها؟ وإن كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم؛ كان المعنى لم تجعلون الحق ملتبسًا مشتبهًا بباطلكم الذى تكتبونه بأيديكم وتكتمون الحق وأنتم تعلمون أنكم لابسون وكاتمون؟ ولعمرى أن اللبس والخلط الواقع فى التوراة والإنجيل لا يخفى على المميز من الصبيان بل لا يخفى على من له أدنى درجة من العقل وذرة من الذوق.

وأما تفسير قوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ ففى الجلالين﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ أى تكتبونه فى دفاتر مقطعة﴿تُبْدُونَهَا﴾ أى ما تحبون إبداءه منها ومما ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ فيها كنعت محمد ﷺ ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ أيها اليهود فى القرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾ من التوراة ببيان ما اختلفتم فيه﴿قُلِ اللّهُ﴾ أى الله أنزله. إن لم يقولوه. لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ أى اتركهم فى﴿خَوْضِهِمْ﴾ أى أباطيلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ وفى حاشية

الجمل على الجلالين ما لفظه: "وإنما جعلوا التوراة في كراريس مفرقة ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه بخلاف ما لو جعلوا الكل فى مجلد واحد، كالمصحف. فربما اطلع غيرهم على جميع ما فيها" انتهى. قلت: وعبارة البيضاوى التى ذكرها هذا القسيس صاحب البرهان فى ذيل هذه الآية ليست هى كما ذكرها، وإنما هى فى سائر النسخ هكذا: "وتضمن ذلك. أى قوله ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ إلخ توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة، وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض ما انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة وإخفاء بعض لا يشتهونه"

قلت: وهذه العبارة تقتضى بصريح اللفظ أن البعض الذى يخفونه هو الذى لم يجعلوه فى القراطيس، وعليها يكون قول المفسر صاحب الجلالين. مما فيها معناه مما فى التوراة. وذلك الكثير هو الذى لم يكتبوه فى القراطيس. فما أحبوا إظهاره كتبوه وما لم يحبوا إظهاره لم يكتبوه ولم ينقلوه منها. كذا فى حاشية الجمل على الجلالين. وعليه تكون هذه الآية نص صريح فى إثبات التحريف بالنقصان، والآيات التى قبلها تدل على إثبات التحريف والتغيير والتبديل، عدا قوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أى من أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فإن ظاهر هذه الآية الشريفة يدل على التحريف بالمعنى. والتى تدل على إثبات التحريف بالزيادة قوله تعالى

فى حق أهل الكتاب: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ فظاهر هذه الآية يدل على التحريف، بالزيادة غير أن كلام المفسرين يفيد أنها عامة فى التحريف والأكثر على أنها واردة فى التغيير والتبديل. والحاصل أن قبائح أهل الكتاب تنوعت بالنسبة إلى كلام الله تعالى فأخفوا بعضه وكتموا بعضه وزادوا فى بعضه ونقصوا من بعضه وحرفوا بعضه تحريفا معنويا والبعض الآخر تحريفا لفظيا بالتغيير والتبديل. وبرهان الحس والمشاهدة يؤكد ذلك. ومن اطلع على كتبهم المقدسة لا يخفى عليه هذا الأمر البديهى، ويعلم أن ما ادعاه صاحب البرهان غلط منه وافتراء محض لا يلتفت إليه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

الأيات القرآنية التي نزلت فى تحريف التوراة قد نزلت فى المدينة المنورة ولم تنزل فى مكة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " ثم مما يستحق الاعتبار فى هذا المحل أن تحريف أهل الكتاب كتابهم ليس له ذكر فى آية من الآيات المكية، بل يذكر فيها التوراة والإنجيل بغاية التعظيم والتوقير، ككونهما كتابين منزلين من عند الله، وأن القرآن أنزل مصدقا لهما. والسبب فى ذلك: أن محمدًا كان فى بداية أمره يرجو إمالة اليهود والنصارى إليه ويشوقهم إلى قبول نبوته قائلا: إن اسمه وصفاته موجودة فى كتبهم. ولما قرر لهم ذلك انضم إليه بعض منهم؛ فأسلم. وأكّد ذلك.

وأما أكثرهم فامتنع من تصديق نبوته وأنكر وجود ذكره فى الكتابين. فلما انقطع أمله من دخول اليهود والنصارى فى دينه؛ أخذ يلومهم على تحريف كلام الله. أى أنهم مع وجود ذكره فى كتبهم، ومع أنهم يعرفونه بسبب هذه الدلائل كما يعرفون أبنائهم؛ لم يقبلوه مؤولين تلك الآيات الشاهدة له تأويلا مغايرا لمعناها الحقيقى. فإذا ثبت أن محمدا سلّم بصحة التوراة والإنجيل كامل مدة إقامته فى مكة، كما يظهر من السور المكية. أفنقول إنه كذب نفسه لما انتقل إلى المدينة وأنكر فى المدينة ما أثبته فى مكة؟ والخلاصة: إن الآيات القليلة الواردة فى السور المدنية هى التى يذكر فيها تحريف أهل الكتاب لبعض ما فى كتابهم. فليس المقصود منه التحريف اللفظى، بل

كما أوضحنا آنفًا. فخلاصة ما تقدم: أن القرآن لم يقع فيه شك بصحة التوراة والإنجيل أصلا فضلا عن أن يشهد بتغيير وتبديل وقعا فيهما"

أقول لله در من قال:

إذا عجز الغبى؛ أتى السفاهة

فإن هذا القسيس لما استضعف أدلته التى أوردها على عدم تحريف التوراة والإنجيل؛ أخذ يطعن فى الحضرة النبوية بما لا يليق بحضرة جنابه الشريف ومقامه المنيف. لكن مثل هذا لا يعوّل على ما يقوله لشدة حماقته وجهله وفرط تعصبه بل وكفره. فكلام مثل هذا لا يُوجب نقصًا فى مقامه الرفيع. وهذه عادة الله سبحانه فى أنبيائه وأصفيائه. كما ورد فى كتابه العزيز: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ فما أرسل من نبى إلا وجعل له أعداء من المجرمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة. ولقد أتى اليهود أهل الكفر والجحود بما هو أعظم من هذا فنسبوا إلى سيدنا ومولانا المسيح عليه السلام وإلى أمه العذراء البتول ما هو أشد فى المقال وأعظم فى البهتان، ولا ضرر عليهما فى ذلك وما أطربنى من قول من قال:

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة

أن لا يرى ضَوْءَها من ليس ذا بَصَر

وكفى بجهنم جزاءً وافيا لمن كفر برسـل الله الطـاهرين، المؤيـدين بالمعجزات الباهرات والآيات البينات. ولولا أن القصد من هذه الرسالة تبيين غلط هذا القسيس لبنى جلدته لاكتفيت بالضحك من كلامـه عـن الجواب، لكنى جمعت بين الضحك والاعتناء على ضد ما استحـسنته الأفكار.

فأقول: أما الجواب عن قوله إن تحريف أهل الكتاب كتابهم ليس له ذكر فى الآيات المكية...إلخ فهو ما سيتلى عليك. اعلم: أن الآيـات المكية هى ما نزلت على النبى ﷺ قبل هجرته إلى المدينـة، والآيـات المدنية هى ما نزلت عليه بعدها، وحيث من المعلوم أن مكة المـشرفة لم تكن مسكنًا لأهل الكتاب، وإنما كانت مسكنا لمشركى العرب الـذين كانوا على رسوم فاسدة؛ نزلت الآية المكية للرد عليهم وإزاحة شبههم الداحضة، مع قيام الحجة عليهم، وتقرير دلائل التوحيد والنبوة بـأبلغ عبارة وأوضح بيان، ولم يكن فيها ذكر قبائح أهل الكتاب التى تنوعت بالنسبة إلى تحريفهم كلام الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق وغلطهـم فى السيد المسيح وأمه العذراء البتول؛ لما عرفت أنهم لم يكونوا مـن سكان مكة المشرفة، وإنما كانوا من سكان المدينة المنورة.

ولا يخفى أن آيات القرآن المجيد كانت تتزل نجوما بحسب الوقائع والأحوال. ولما أمر الله ﷻ نبيه الأكرم ورسوله الأفخم بالهجرة من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة اجتمع ﷺ مع أهل الكتاب فبلغهم رسالته ودعاهم إلى الإيمان به وبشريعته الغراء؛ فآمن بعضهم وهو

أجلهم علما وأعظمهم قدراً. كعبد الله ابن سلام، وتبعه على ذلك جماعة من أكابر أحبارهم وأعز أمرائهم. ولم يكن إسلامهم عن رغبة فى شئ من حطام الدنيا الفانى، بل رغبة منهم فى الآخرة الدائم نعيمها عن بصر وبصيرة ومعرفة تامة بعلامات النبوة التى كانوا يعلمونها. وما كفر به إلا أجهلهم عنادا أو حسدا منه أو طمعا ورغبة فى رياستهم وإمارتهم التى كانوا عليها. وهؤلاءالذين عمدوا إلى اسمه الشريف فحذفوه من التوراة وجاؤا إلى صفاته الشريفة فحرفوا بعضها تحريفا لفظيا كعادة أسلافهم المستحسنة عندهم. فنزلت الآيات المدنية توبخهم على هذا الفعل الشنيع وتذمهم على هذا الداء الموروث عن أسلافهم. قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ أى من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة فى ذم اليهود أهل الكفر والجحود. فلو نزلت تلك الآيات الكريمة بمكة المشرفة لم يكن فى إنزالها كبير فائدة[1] لما

---

[1] كان يجب على المؤلف –رحمه الله– أن يجيب بقوله: إن القرآن المكى والقرآن المدنى. ليس من دليل قوى من القرآن على التفرقة بينهما. حتى نقول بالمكى والمدنى. والتفرقة بينهما من روايات غير موثقة. ويدلك على ذلك: قراءة كتب التفاسير فإنها غير متفقة على المكى والمدنى، وغير متفقة أيضا على عدد بعض آيات السور.

١– فسورة الأنفال قيل مدنية إلا سبع آيات منها نزلت بمكة. والأصح أنها نزلت بالمدينة. هكذا فى الخازن والبغوى.

٢– وسورة الرعد قيل إنها مكية، وقيل إنها مدنية. والقولان مرويان عن واحد هما ابن عباس. هكذا فى الخازن.

عرفت أن مكة المشرفة لم تكن مسكنا لأهل الكتاب الصادر منهم تلك القبائح، بل كانوا من سكان المدينة المنورة. ولهذا كان بالآيات المدنية توبيخهم مع ذم النصارى وبيان غلطهم فى حق السيد المسيح وأمه العذراء البتول، وأنه رسول الله إلى بنى إسرائيل وأنهم ما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله إليه طاهرا مطهرا من كل دنس وسوء، مع تقرير دلائل نبوة نبينا ﷺ وأن اسمه وصفاته موجودة فى التوراة والإنجيل، وأنهم بسبب تلك الدلائل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم بل معرفتهم به أشد. وأن من يبتغ غير دين الإسلام دينا؛ فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وكلها مدنية نزلت بعد اجتماعه ﷺ بأهل الكتاب.

فما سلكه صاحب البرهان فى مقالته هذه؛ غلط منه منشأه التعصب من سوء الاعتقاد. وأما قوله: "فإذا ثبت أن محمدًا ﷺ سلَّم بصحة التوراة والإنجيل كامل مدة إقامته بمكة كما يظهر من السور المكية. أفنقول أنه كذب نفسه لما انتقل إلى المدينة وأنكر فى المدينة ما ثبته بمكة"؟ فلا يخفى ما فيه من الغلط وسوء الأدب مع الصادق الأمين. لكن مثل هذا لا يعول على ما يقوله -كما عرفت- وما رأينا آية من الآيات المكية ولا آية من الآيات المدنية يفهم منها ذم التوراة والإنجيل والنبى ﷺ مازال مدة إقامته بمكة المشرفة ولم يزل مدة إقامته بالمدينة المنورة يسلِّم بصحة نزول التوراة والإنجيل على موسى

٣- وسورة الإسراء هى مكية فى قول الجماعة. إلا أن بعضهم يقول فيها مدنى.

وعيسى -عليهما السلام- وأنهما كتابان كريمان جليلان نزلا من عند الله نورا وهدى للناس، غير أنه ما شهد لهما بالحفظ من وقوع التغيير والتبديل فيهما بل صرح بوقوعه فى مواضع متعددة. فوبخ أهلهما على إحداث ذلك فيهما وناقضهم بل كذبهم فيما دسّوه فيهما من نسبة الكذب والخيانة والكفر والزنا إلى أنبياء الله الكرام ورسله الفخام، وذمهم على خلطهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يعلمون.

فالتوبيخ والذم واردان فى القرآن المجيد إنما وقعا على أهلهما المحرفين لهما لا عليهما. كما فهم القسيس حتى نسب للنبى ﷺ ما لا يليق بجنابه الرفيع ومقامه المنيف. ولقد ذكرنى هذا ما تكرر التصريح به من علماء المسيحيين سيما فرقة بروتستنت وإنجيلهم فى ذم التوراة وموسى وسائر أنبياء إسرائيل عليهم السلام.

وأنا أنقل لك ههنا بعض أقوالهم فى ذلك ولا أخشى من التطويل اليسير فأقول: قال وارد كاتلك فى الصفحة الثانية والثلاثين من كتابه المطبوع سنة ألف وثمانماية وإحدى وأربعين ميلادية هكذا: "قال لوطر فى الصفحة الأربعين وإحدى وأربعين من المجلد الثالث من كتابه: "لانسمع من موسى ولا ننظر إليه؛ لأنه كان لليهود فقط ولا علاقة له بنا فى شئ ما" وقال فى كتاب آخر: "نحن لا نسلم موسى ولا توراته لأنه عدو عيسى" ثم قال: "إنه أستاذ الجلادين" ثم قال: "لا علاقة للأحكام العشرة بالمسيحيين" ثم قال "لنخرج هذه الأحكام العشرة لتزول كل بدعة حينئذ لأنها منابع البدعات بأسرها" وقال اسنلى بيس تلميذه:

"هذه الأحكام العشرة لا تعلّم فى الكنائس" وخرجت فرقة انتى نوميس من هذا الشخص وكانت عقيدتهم أن التوراة ليس بلائق أن يعتقد أنها كلام الله، وكانوا يقولون إن أحدا لو كان زانيا أو فاجرا أو مرتكبا ذنوبا أُخر؛ فهو فى سبيل النجاة البتة وإن غرق فى العصيان بل فى قعرها وهو يؤمن فهو فى سرور الذين يصرفون أنفسهم فى هذه الأحكام العشرة. فعلاقتهم بالشيطان صلب هؤلاء بموسى" انتهى.

قلت يلزم من هذه الأقوال المنقولة عن إمام فرقة بروتستنت وتلميذه الرشيد؛ كذب موسى وتوراته عند هذه الفرقة. فإن إمامهم صرح بأنه لا علاقة لهم بموسى فى شئ ولا يسمعون منه ولا ينظرون إليه ولا يسلّمون توراته؛ لأنه كان لليهود فقط، وعَدوًّا لعيسى وأستاذ الجلادين، وأنه لا علاقة لهم بالأحكام العشرة، ويلزم إخراجها من التعاليم المسيحية لنزول كل بدعة لأنها منابع سائر البدع. وصرح تلميذه الرشيد بأن من يعرف نفسه بأحكام التوراة العشرة يكون علاقته بالشيطان ومصلوب بموسى. فعلى هذا يلزم أن يكون تكذيب موسى عليه السلام وعبادة الأوثان وعدم تعظيم الأبوين وإيذاء الجار والسرقة والزنا والقتل وشهادة الزور من أعظم أركان ملة بروتستنت؛ لأن جميع هذه الأمور على خلاف أحكام التوراة العشرة التى هى منابع سائر البدعات عندهم. قال الشيخ رحمة الله: قال لى البعض من هذه الفرقة أيضًا: إن موسى عندنا ما كان نبيًا، بل كان عاقلا مدونا للقوانين. ثم قال: وقال لى البعض الآخر من هذه الفرقة أيضا: إن موسى عندنا كان سارقا

لصا. قال: فقلت له: اتق الله تعالى. قال: لم؟ وأن عيسى قال: "جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم" كما صرح بذلك يوحنا الإنجيلى فى العدد الثامن من الأصحاح العاشر من إنجيله. قال: فأشار بقوله: "جميع الذين أتوا قبلى" إلى موسى وغيره من أنبياء بنى إسرائيل"

قلت: والظاهر أن هذا القول هو الدليل لإمام فرقة بروتستنت وتلميذه فى ذم موسى وتوراته. ولقد جاء مثله فى هذا الإنجيل كثير. ففى العدد الحادى والعشرين من الأصحاح الثانى من رسالة بولس إلى أهل غلاطية هكذا: "إن كانت العدالة بالناموس؛ فقد مات المسيح عبثًا" انتهى. والمراد بالناموس: توراة موسى وما بعدها من كتب الأنبياء- عليهم السلام- قال داكتر همند فى شرح هذا المقام هكذا: "لا أستعمل هذا العتيق لأجل ذلك ولا أعتمد فى النجاة على شريعة موسى ولا أفهم أن أحكام موسى ضرورية لأنه يجعل المسيح كأنه بلا فائدة" انتهى. وجاء فى الأصحاح الثالث من رسالة بولس المذكورة هكذا: "جميع ذوى أعمال الشريعة ملعونون. لا يتزكى أحد عند الله بالناموس؛ فإن الناموس لا يتعلق بالإيمان وأن المسيح افتدانا من لعنة الناموس؛ إذ صار لعنة لأجلنا" انتهى ملخصاً. وقد صرح في هذا الأصحاح المذكور بأن لا طاعة لأحكام التوراة بعد الإيمان بعيسى عليه السلام وقال في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل أفسس هكذا: "ونقض حائط السياج. أي العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى قديس المسيحيين بولس. كيف أطلق على التوراة لفظ العداوة وأنها بَطُلت بمجئ جسد المسيح عليه السلام. وقال في العدد الثامن عشر من الأصحاح السابع من رسالته إلى العبرانيين هكذا: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئاً" فهذه العبارة تدل بصريح اللفظ أنه يلزم إبطال التوراة لأجل ضعفها وعدم نفعها وأنها لم تكمل شيئاً. وقال في العدد السابع من الأصحاح الثامن من رسالته العبرانية هكذا: "فإنه لو كان ذلك الأول -يعني التوراة- بلا عيب؛ لما طلب موضع لثان "يعني الإنجيل.ثم قال في العدد الثالث عشر من نفس الأصحاح: "فإذا قال جديداً عَتَّق الأول، وأما ما عتق وشاخ؛ فهو قريب من الاضمحلال" كذا في النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانية وأربعين هكذا: "فلو كان العهد الأول غير معترض عليه؛ لم يوجد للثاني موضع" ثم قال: "فبقوله عهداً جديداً صَيَّر الأول عتيقاً. والشيء العتيق والبالي؛ قريب من الفناء" انتهى.

فهذه الأقوال جميعها صريحة اللفظ في الدلالة على ذم التوراة وموسى أيضاً بل وجميع أنبياء بني إسرائيل. وأي ذم أيها العاقل اللبيب أعظم من قول لوطر إمام فرقة بروتستنت وتلميذه أن موسى كان عدواً لعيسى، وأنه كان إمام الجلادين، وإن أحكام التوراة العشرة يلزم إخراجها من تعاليمهم لتزول كل بدعة؛ لأنها منبع سائر البدع، وأن من يصرف نفسه في أحكامها العشرة فعلاقته في الشيطان، ومصلوب بموسى. وأنه لا يليق بالعاقل أن يعتقد بالتوراة أنها كلام الله. وأي قول في ذم موسى وأنبياء بني إسرائيل أشد من قول الإنجيل إن جميع الأنبياء الذين أتوا قبل المسيح هم سراق ولصوص. وأي ذم للتوراة أشد من قول بولس قديس المسيحيين: لو

كان بالتوراة عدالة؛ لكان المسيح مات عبثاً، وإنه لا يعتمد عليها في النجاة، وإن جميع من يعمل بها ملعون لا يتزكى بها عند الله أحد؛ لأنها لا علاقة لها بالإيمان، وإنها عداوة بطلت بجسد المسيح، وإنها ضعيفة عديمة النفع ولم تكمل شيئاً، وإنها قريبة من الفناء والاضمحلال، وإنها لو لم يكن بها عيب لم يوجد للإنجيل موضع. فالعجب كل العجب من هذا القسيس صاحب البرهان كيف ينسب لحضرة النبي ﷺ ما هو واقع من إنجيلهم وأشهر علمائهم، لكن هذا لا يستغرب على ملة بروتستنت. فإن عادتهم ذلك. والحاصل: أن ذم التوراة إنما وقع من إنجيل النصارى ومقدسيهم وعلمائهم المعتبرين. وما وقع من القرآن المجيد شيء من ذلك. والذم والتوبيخ الواردان فيه إنما وقعا على أهل التوراة والإنجيل المحرفين لهما لا عليهما.

شبهة إقامة التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل:"وفضلاً عن عدم وجود إشارة في القرآن إلى تغيير وتبديل التوراة والإنجيل؛ تراه يذكرهما بغاية الوقار والتعظيم على أسلوب لا يظهر أدنى شك من جهتهما فتراه دائماً يحرض اليهود والنصارى على أن يقيموا[1] التوراة والإنجيل. يعني يعملوا بأحكامهما ولو كانا مغيرين أو مبدلين؛ لما أمر باتباعهما. كيف؟ وأن القرآن يطلب منهم أن يقيموهما ويعملوا بما فيهما. ولو كان فيهما تغيير أو تبديل لأمرهم أولاً بإصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه وبدلوه. وبعد ذلك يحثّهم على العمل به. فمن الآيات المشار إليها: قوله في سورة الأنبياء:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وفي سورة يونس:﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ وفي سورة المائدة: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ

---

[1] فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية: "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود اسمع صوت الرب الهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"

يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وقوله في المائدة أيضاً: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وقوله في سورة القصص: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ﴾ أي من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فهذه الآية تعظّم التوراة كالقرآن على حد سواء، من دون تمييز بينهما. أي تفضيل أحدهما على الآخر. وقوله في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ - ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ ﴾ (أي اليهود والنصارى) ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من راجع ما تقدم من الأبحاث واطلع على الآيات القرآنية المصرحة بوقوع التغيير والتبديل في التوراة والإنجيل؛ علم بالبداهة واليقين أن دعوى القسنيس ههنا بعدم وجود إشارة في القرآن المجيد إلى تغيير وتبديل التوراة والإنجيل؛ غلط منه ودعوى باطلة، بل عاطلة قطعاً. والآيات التي أوردها ههنا ليستدل بها على صحة دعواه في غير محلها ولا تدل بوجه مّا على ذلك، بل يفهم من إيرادها في هذا المقام أن هذا القسيس لا يدري ماله وما عليه. فإياك وإياه. أيها المتنبه.

لكني أشرح لك مبانيها وأبين معانيها لتكون على بصيرة تامة فأقول: أما معنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهذه الآية مكية نزلت جواباً لمشركي العرب عن قولهم في حق النبي ﷺ : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؟ فأمرهم الله سبحانه أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة[1]. كذا في

---

[1] المؤلف نقل عن المفسرين. وهم مخدوعون مثله من الرواة. وذلك لأن ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ لليهود الأميين أن يسألوا علماء بنى إسرائيل إن كانوا لا يعلمون بالبينات والزبر. فالوقف على لا يعلمون خطأ. وصحته الوقف على الزبر. ويدلك على أن المخاطبين بالسؤال هم اليهود: ما قبل الكلام وما بعده والبينات والزبر عند علماء بنى إسرائيل. والعرب ليسوا هم السائلون؛ لأنه قال ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ والناس هم اليهود لقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

وفى التوراة فى نبوءة عن محمد ﷺ يقول لليهودى إذا شككت فاسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك يعنى بالآباء والشيوخ؛ علماء بنى إسرائيل. ومما جاء فى هذه النبوءة: "أنصتي أيتها السماوات فأتكلم و لتسمع الأرض أقوال فمي يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي كالطل على الكلا وكالوابل على العشب إني باسم الرب أنادي أعطوا عظمة لإلهنا هو الصخر الكامل صنيعه أن جميع سبله عدل اله أمانة لا جور فيه صديق وعادل هو افسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم جيل اعوج ملتو الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم اليس هو أباك ومقتنيك هو عملك وانشاك اذكر أيام القدم وتأملوا سني دور فدور اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك"

وليعلم علماء المسلمين جميعا أن العرب لم يشركوا بالله، ولم يعبدوا الأصنام. والذين ألصقوا بهم تهمة البعد عن الله هم اليهود. واليهود هم الموصوفون فى القرآن بالشرك. ولكنهم فسروا عن طريق الرواة لفظ الشرك على العرب. واليهود مشركون حقا لأنهم يسمعون من الأحبار الذين يحلون لهم ويحرمون. فيكونون مشركين الأحبار مع الله فى التشريع. أما العرب فإن الله قد استجاب فيهم دعاء إبراهيم عليه السلام

وهو ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ ولم يكن له وقت الدعوة إلا ولده إسماعيل عليه السلام.

وليعلم علماء المسلمين جميعا: أن العرب لم يئدوا البنات. وفى كتاب التوراة أن اليهود ذبحوا بنيهم وبناتهم إرضاء للأصنام. ففى سفر إشعياء:" باد الصديق وليس احد يضع ذلك في قلبه ورجال الإحسان يضمون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق يدخل السلام يستريحون في مضاجعهم السالك بالاستقامة أما انتم فتقدموا إلى هنا يا بني الساحرة نسل الفاسق والزانية بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان أما انتم أولاد المعصية نسل الكذب المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقل في حجارة الوادي الملس نصيبك تلك هي قرعتك لتلك سكبت سكيبا واصعدت تقدمة اعن هذه أتعزى على جبل عال ومرتفع وضعت مضجعك وإلى هناك صعدت لتذبحي ذبيحة وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك لأنك لغيري كشفت وصعدت أوسعت مضجعك وقطعت لنفسك عهدا معهم أحببت مضجعهم نظرت فرصة وسرت إلى الملك بالدهن وأكثرت اطيابك وأرسلت رسلك إلى بعد ونزلت حتى إلى الهاوية بطول أسفارك أعييت ولم تقولي يئست شهوتك وجدت لذلك لم تضعفي وممن خشيت وخفت حتى خنت وإياي لم تذكري ولا وضعت في قلبك أما أنا ساكت وذلك منذ القديم فاياي لم تخافي أنا اخبر ببرك وبأعمالك فلا تفيدك إذ تصرخين فلينقذك جموعك ولكن الريح تحملهم كلهم تأخذهم نفخة أما المتوكل علي فيملك الأرض ويرث جبل قدسي"

ومعنى آية سورة يونس: ليس كما ذكر المؤلف والمفسرون. فإن المعنى الصحيح فإن كنت أيها اليهودى الأممى المعاصر لنزول القرآن فى نبوة محمد ﷺ فاسأل علماء أمتك الذين كانوا معاصرين لموسى عليه السلام فإن المأثور عنهم مدون فى التوراة التى معك. والدليل على أن الشاك هو اليهودى المعاصر، لا محمد وأى مسلم من العرب أو من غير العرب: قوله قبل آية الشك: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وبعد آية الشك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ والمراد بالناس فى جميع سور القرآن اليهود. وغيرهم مخاطب من

البيضاوي. وفي حاشية الجمل على الجلالين نقلاً عن أبي السعود. والمعنى: وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد جنسك نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر توجيه هذا الخطاب إلى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة التكبر. أي اسألوا أيها الجهال أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال إن كنتم لا تعلمون ذلك. فإنهم يعلمون ولا يخفى أن هذا ليس مما نحن فيه، بل كلامنا في حدوث التغيير والتبديل في التوراة والإنجيل. فأين هذا من ذاك؟ والعجب أن هذا القسيس لا يعرف الدليل من المدعى. ثم قال ما قال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ومعنى آية سورة يونس: قل يا محمد للشاك فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك من القصص وأخبار نبوتك؛ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك؛ فإنه محقق عندهم. على الجلالين. ثم قال: والمراد إظهار نبوته عليه السلام بشهادة الأحبار حسبما هو المسطور في كتبهم، وإن لم يكن له حاجة إلى سؤالهم. قلت: وعلى هذا يكون المراد بالخطاب النبي ﷺ وذلك لزيادة تثبيته ﷺ وليس لإمكان وقوع الشك له؛ فإنه محال في حقه. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لا أشك ولاأسال" وعلى هذا قيل الخطاب للنبي ﷺ والمراد: أمة الدعوى. وفي السورة ما يدل على هذا التأويل. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ﴾

خلالهم. وقد جاء الشك عن اليهود في سور كثيرة: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾-﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

وقيل: المراد غير النبي ﷺ كما في قوله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الخطاب له. والمراد غيره. ونظائره كثيرة. وقيل: المراد كل من يسمع. أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبيك إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك. وفي هذا تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم. كذا قال البيضاوي مع زيادة من غيره.

والحاصل: أن الاستدلال بهذه الآية الشريفة على عدم تحريف التوراة والإنجيل في غير محله. فإنه لا يلزم من سؤال أهل الكتاب عن شيء من كتبهم؛ عدم تحريفها. سيما إذا كان المراد سؤالهم عن علامات نبوة محمد ﷺ فإن اعتقادنا بهم أنهم ما غيروها إلا بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته. كما قال تعالى قبيل هذه الآية الشريفة: ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ وقال في سورة لم يكن: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أي إلا من بعد ما جائهم محمد ﷺ فإنهم كانوا قبل مجيئه مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، ولما جاء حسده من كفر به منهم. كذا في الجلالين. وأما معنى قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ فقد قدمنا لك معناها فيما تقدم صدر الكتاب بما يشفي العليل ويروي الغليل. وإذا رجعت إلى هناك ترى أنه غير لائق بعلم هذا القسيس الاستدلال بها على صحة دعواه؛ فإن منطوقها صريح فى أنها خبر من الله سبحانه وتعالى لنبيه

المصطفى بما فرضه على أهل الإنجيل من الحكم بها تضمنه الإنجيل في وقت نزوله. فعليه لا تكون مما نحن في صدده. ومعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سبب نزول هذه الآية أنه جاء لرسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع ابن حرملة وقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم وتؤمن بما عندنا من التوراة؟ فقال: بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس. فأنا برئ من إحداثكم. فقالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا. فإنا على الحق والهدى ولم نؤمن لك ولا نتبعك فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي على دين يعتَدُّ به ويصح أن يسمى شيئا لفساده وبطلانه ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ المنزلين على موسى وعيسى عليهما السلام ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾أي سائر الكتب الإلهية. قال البيضاوي: ومن إقامتها[1] الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لحكمه. فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان به ومن

---

[1] معنى إقامة التوراة والإنجيل: أن اليهود لو أقاموها حقا؛ فإن الإقامة لاتكون حقة ومعتبرة شرعا إلا بالإيمان بمحمد ﷺ إذا ظهر. وذلك لأنه مكتوب فيها: "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك..." فالنبي محمد هو الذي أقامه الله وأوقفه لليهود ليسمعوا منه، وليعلموا بكلامه. ونفس المعنى في الإنجيل. فإن المسيح بشر بمقدمه بقوله "اقترب ملكوت السموات" وبكلامه عنه بأنه سوف يخبر عن أمور آتية.

صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له. قال: والمراد: إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها" انتهى.

قلت: ومن هذا يعلم عدم صحة دعوى صاحب البرهان من عدم تحريف التوراة والإنجيل، ولا يفهم من هذه الآية الشريفة إلا الحث على الإيمان بنبوة محمد ﷺ المشار إليه تصريحا وتلويحا فى كثير من أصحاحات كتبهم. فإذا آمن أهل الكتاب به وبما أنزل عليه من عند الله وصدقوه واتبعوه؛ فقد آمنوا بما أنزل الله فى التوراة والإنجيل وعملوا بأحكامها المنزلة، وحينئذ لا حاجة لهم فيهما بشئ، فإن القرآن العظيم الذى أنزله الله على هذا النبى الكريم جاء وافيا كافيا مغنيا عن الاستعانة بغيره. فالأمر بإصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه وبدلوه؛ ليس بلازم ضرورى. ألا ترى يا صاحب البرهان أن المسيح عليه السلام ما بين الاختلافات المتعددة الواقعة فيما بين النسخة العبرانية والنسخة السامرية، ولا شك أن تلك الاختلافات الكثيرة كانت واقعة فيهما قبل مجئ المسيح عليه السلام؟ فلقد علمت أنه ورد فى هذا الإنجيل المتداول أن امرأة من طائفة السامرة سألت المسيح عليه السلام عن الاختلاف الواقع بين توراتهم وتوراة اليهود فى الموضع الذى ينبغى السجود فيه؛ فلم يبينه[1] لها بل سكت عن البيان. وإنما قال لها: ستأتى أيام لا

(1) المسيح لم يسكت عن البيان لأنه قال لها: سوف يأتى قوم يسجدون لله بالروح والحق لأن الله طالب مثل هؤلاء الساجدين. وهم المسلمون. وأما السؤال عن العبادة الماضية وكونها مقبولة أو ليست مقبولة؛ فإن الإجابة عن الماضى لا تفيد. وهذا هو

تسجدون فى هذا الجيل. يعنى جِرِزّيم ولا فى أورشليم. فقوله هذا وسكوته عن البيان؛ يدل على أن البيان ليس بلازم ضرورى بعد نزول الإنجيل فكذلك إصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه وبدلوه فى التوراة والإنجيل ليس بلازم ضرورى بعد نزول القرآن. ومع هذا فلقد

النص من إنجيل يوحنا: "فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصَيِّرُ وَيُعَمِّدُ تلاَمِيذَ أَكْثَرَ مِنْ يُوحَنَّا، مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تلاَمِيذُهُ، تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضاً إِلَى الْجَلِيلِ. وَكَانَ لاَ بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ. فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوخَارُ، بِقُرْبِ الضَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ. وَكَانَتْ هُنَاكَ بِئْرُ يَعْقُوبَ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبِئْرِ، وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ لأَنَّ تلاَمِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبْتَاعُوا طَعَاماً. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟ لأَنَّ الْيَهُودَ لاَ يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ. أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا : لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيّا . قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، لاَ دَلْوَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا : كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ . قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هَذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ: اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى هَهُنَا أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ : لَيْسَ لِي زَوْجٌ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ: حَسَناً قُلْتِ : لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هَذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ . قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ، لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا . قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ . قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ"

عرفت فيما تقدم أنه بين تحريفهما وأظهر الغلط الواقع فيهما في مواضع كثيرة لا يمكن حصرها إلا بكلفة. ولقد أسلفت لك بعضا من ذلك فارجع إليه إن شئت.

والحاصل: أن هذه الآية لا دليل فيها لصاحب البرهان على عدم تحريف التوراة والإنجيل، وكذلك آية سورة القصص لا تدل على عدم تحريف التوراة والإنجيل، وإنما هي نزلت للرد على مشركي العرب حين قالوا: إن موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا وتعاونا بإظهار الخوارق، وتوافق الكتابين في الهداية، وبتصديق كل منهما للآخر. وذلك أنهم أي كفار مكة بعثوا رهطًا منهم إلى رؤساء اليهود وأحبارهم بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلاة والسلام فقالوا إنا نجده في التوراة بنعته وصفته. فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذُكر. ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ أي بموسى ومحمد ﴿كَافِرُونَ﴾ وعليه قال تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ أي يا محمد إلزاما لهم ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ﴾ أي من التوراة والقرآن ﴿ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي في قولكم أني وموسى ساحران. وليس في هذا ما يدل على عدم حدوث التحريف في التوراة والإنجيل. كما لا يخفى على المتنبهين، وكذلك آية سورة الأنعام لا تدل على عدم وقوع ذلك فيهما. فإن معناها ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا ﴾ أي لأجل تمام نعمتنا ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ أي على

الذى أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه. أى أجاده من العلم والشرائع. أى زيادة على علمه إتماما له ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾أى وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه فى الدين وهدى ورحمة ﴿لَعَلَّهُم﴾ أى لعل بنى إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ وهو البعث ﴿يُؤْمِنُونَ وَهَذَا كِتَابٌ﴾ وهذا كتاب يعنى القرآن ﴿أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ أى كثير النفع ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بسبب اتباعه وهو العمل بما فيه﴿أَن تَقُولُوا﴾ أى لئلا تقولوا ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ لا ندرى ما هى لغتهم، ولا نعرف مثلها. وليس فى هذا ما يدل على صحة دعوى صاحب البرهان من عدم تحريف التوراة والإنجيل، ولا يلزم من إخباره تعالى بإنزال التوراة على موسى والإنجيل على عيسى؛ عدم تحريفهما بعد ذلك. كيف وأن آيات القرآن المجيد صريحة بذلك يدركها كل من له أدنى درجة من العقل، وذرة من الذوق[1].

---

[1] قول المؤلف-رحمه الله- إن آية سورة القصص نزلت للرد على مشركى العرب حين قالوا إن محمدا وموسى ساحران. قوله باطل. وذلك لأن الكلام فى اليهود وهو:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾ إلخ ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ من العرب ﴿مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ والتذكر يدل على أن المخاطبين هو اليهود. لأن التوراة معهم وغفلوا عما فيها وهو يذكرهم به. أما العرب فإنهم لا يُذكرون لأن التوراة ما كانت معهم. ثم قال عن اليهود: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ أى التوراة وفتح البلاد والملك على الأمم. ورد بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ؟﴾ وفى القرآن كلام كثير عن كفر اليهود ثم قال: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

لو كانت التوراة محرفة ما
قال محمد إنى مصــدق لها

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: " ولا شك أنه لــو فُرض اتيان نبى فى يومنا هذا، ومعه كتاب وشهد أن كتابه مــصدق للقرآن. ويقول إن القرآن منزل من عند الله هــدىً ونــورًا للنــاس، وطلب من أهل القرآن أن يقيموا القرآن. أى يُجروا أحكامه، ويعملوا بها؛ لم يظن أحد أن ذلك النبى يشهد بأن القرآن كتاب مُوحى به من الله ويسلم بصحته، ومع ذلك يشك فيه أو يقول إنه مغير ومبدل، وإلا لكان كلامه متناقضا. وكذلك لو كانت التوراة والإنجيل فى أيام محمد غير باقيين على أصلهما بل اعتراهما تغيير وتبديل؛ لما وسع القرآن أن يشهد أنه منزل لتصديقهما. كما رأينا فى الآيات السابق ذكرهــا. فهل الله سبحانه وتعالى يصدق الكذب ويثبت الغش ويشهد بــالزور. تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا"

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ والقول هو أن موسى واليهود وهم على جبل الطور طلبوا مــن موســى إذا أراد ا لله أن يكلمهم فليكن عن طريق موسى. وقد رد الله بقولــه سأرســل إلــيكم مــن يوصل إليكم كلامى من بين إخوتكم. وقد أرسل الله محمدا إلى العرب. ووصل القــول أى كلام الله وهو القرآن إلى اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ هذه النبوءة عنه. الموجودة فى سفر التثنية ١٨: ١٥-٢٢

وأخطأ المؤلف فى قوله إن الطائفتين هما اليهود والنصارى. والصحيح أنهمــا هــم العبرانيون والسامريون.

أقول: إن شدة التعصب وعدم الإنصاف قد جعلا هذا القسيس مسلوب الفهم؛ فإنه لا يوجد آية من آيات القرآن المجيد يفهم منها الشك بصحة نزول التوراة والإنجيل، بل لا يوجد مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يقول بأنهما غير مُوحى بهما من الله تعالى. كيف وأن القرآن الكريم سلّم بصحة نزولهما على موسى وعيسى عليهما السلام ولا يلزم من هذا عدم تحريفهما. فإن الإخبار بإنزالهما من عند الله ﷻ نورًا وهدىً للناس لا يستلزم عدم تحريفهما حتى يقتضي التناقض -كما زعم القسيس- كيف وأن التحريف ثبت وقوعه فيهما ببرهان الحس والمشاهدة[1] واعترف به الموافق والمخالف من المؤرخين فضلا عن

---

[1] القسيس يغالط فى إيراد هذه الشبهة. وذلك لأن أنبياء بنى إسرائيل قد اعترفوا بتحريف التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام. والمسيح نفسه قد اعترف بتحريفها. ومع هذا قال المسيح: اعملوا بالتوراة إلى أن يأتى النبى الذى أبشر به. ومحمد ﷺ قال: إن التوراة محرفة، وصرح بنسخها؛ لأنه مهيمن عليها. وهذا هو نص من أسفار الأنبياء تدل على التحريف: "لإمام المغنين على الحمامة البكماء بين الغرباء مذهبة لداود عندما اخذه الفلسطينيون في جت ارحمني يا الله لان الإنسان يتهممني واليوم كله محاربا يضايقني تهممني أعدائي اليوم كله لان كثيرين يقاومونني بكبرياء في يوم خوفي أنا عليك اتكل الله افتخر بكلامه على الله توكلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي البشر اليوم كله يحرفون كلامي علي كل أفكارهم بالشر يجتمعون يختفون يلاحظون خطواتي عند ما ترصدوا نفسي على إثمهم جازهم بغضب اخضع الشعوب يا الله تيهاني راقبت اجعل أنت دموعي في زقك أما هي في سفرك حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم ادعوك فيه هذا قد علمته لان الله لي الله افتخر بكلامه الرب افتخر بكلامه على الله توكلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي الإنسان اللهم علي نذورك أوفي ذبائح شكر لك لأنك

نجيت نفسي من الموت نعم ورجلي من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الأحياء"

وهذا هو نص للمسيح من إنجيل برنابا: "قل لى أيها الأخ : أخطر فى بالك لما أتيت لتسألنى فى الهيكل ؛ أن الله قد بعثنى لأبيد الشريعة والأنبياء؟ من المؤكد أن الله لا يفعل هذا لأنه غير متغير. فإن ما فرضه الله طريقا لخلاص الإنسان هو ما أمر الأنبياء بالقول به.

لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته لو لم يفسد كتاب موسى مع كتاب أبينا داود بالتقاليد البشرية للفريسيين الكذبة والفقهاء ؛ لما أعطانى الله كلمته ولكن لماذا أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود؟ فقد فسدت كل نبوة حتى أنه لا يطلب اليوم شئ لأن الله أمر به بل يُنظر إذا كان الفقهاء يقولون به والفريسيون يحفظونه .كأنَّ الله على ضلال والبشر لا يضلون .

فويل لهذا الجيل الكافر لأنهم سيحملون تبعة دم كل نبى وصدِّيق مع دم زكريا بن بَرَخِيَّا الذى قتلوه بين الهيكل والمذبح أى نبى لم يضطهدوه ؟ أىُّ صديق تركوه يموت حتف أنفه ؟ لم يكادوا أن يتركوا واحدا وهم يطلبون الآن أن يقتلون يفاخرون بأنهم أبناء إبراهيم وأن لهم الهيكل الجميل مُلكا لعمر الله إنهم أولاد الشيطان فلذلك ينفذون إرادتهُ ولذلك سيتهدم الهيكل مع المدينة المقدسة تهدما لا يبقى معه حجر على حجر من الهيكل .

قل لى أيها الأخ وأنت الفقيه المتضلع من الشريعة : بأىِّ ضُرب موعد مَسيًّا لأبينا إبراهيم ؟ أبإسحق أم بإسماعيل ؟ أجاب الكاتب : يا معلم أخشى أن أخبرك عن هذا بسبب عقاب الموت حينئذ قال يسوع:إنى آسف أيها الأخ أنى أتيت لآكل خبزا فى بيتك لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة أكثر من الله خالقك ولهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ولكن لا تخشى أن تخسر الإيمان والحياة الأبدية التى تضيع متى تكلم اللسان عكس ما يعرف القلب من شريعة الله .

حينئذ بكى الكاتب الصالح وقال : يا معلم لو عرفت كيف أثمر لكنت قد بشرت مرارا كثيرة بما أعرضت عن ذكره لئلا يحصل شغب فى الشعب أجاب يسوع : يجب عليك أن لا تحترم الشعب ولا العالم كله ولا الأطهار كلهم ولا الملائكة كلهم إذا أغضبوا الله فخير أن يهلك العالم كله من أن تغضب الله خالقك ولا تحفظه فى الخطيئة لأن الخطيئة تهلك ولا تحفظ أما الله فقدير على خلق عوالم عدد رمال البحر بل أكثر .

حينئذ قال الكاتب : عفوا يا معلم لأنى قد أخطأت قال يسوع : الله يغفر لك لأنك إليه قد أخطأت فقال من ثم الكاتب : لقد رأيت كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع الذى أوقف الشمس كما قد فعلت.خادمى ونبيى الله وهو كتاب موسى الحقيقى ففيه مكتوب : أن إسماعيل هو أب لمسيا وإسحق أب

ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وفيما قدمناه كفاية لأولى الأبصار.

لرسول مسيا وهكذا يقول الكتاب : إن موسى قال :" أيها الرب إله إسرائيل القدير الرحيم **أظهر لى عبدك فى سناء مجدك**"

فأراه الله من ثم رسوله على ذراعى إسماعيل، وإسماعيل على ذراعى إبراهيم ووقف على مقربة من إسماعيل إسحق وكان على ذراعيه طفل يشير بأصبعه إلى رسول الله قائلا : هذا هو الذى لأجله خلق الله كل شئ .

فصرخ من ثم موسى بفرح : يا إسماعيل إن فى ذراعيك العالم كله والجنة اذكرنى أنا عبد الله لأجد نعمة فى نظر الله بسبب ابنك الذى لأجله صنع الله كل شئ .

لا يوجد فى ذلك الكتاب : أن الله يأكل لحم المواشى أو الغنم لا يوجد فى ذلك الكتاب : أن الله قد حصر رحمته فى إسرائيل فقط بل إن الله يرحم كل إنسان يطلب الله خالقه بالحق لم أتمكن من قراءة هذا الكتاب كله لأن رئيس الكهنة الذى كنت فى مكتبته نهانى قائلا : إن إسماعيليا قد كتبه فقال حينئذ يسوع : انظر أن لا تعود أبدا فتحجز الحق"

القرآن يشهد للتوراة المتداولة بالصحة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " **فإن قال قائل: إن التوراة والإنجيل المذكورين فى القرآن ليسا هما الأصليين الذين أنزلا على موسى وعيسى عليهما السلام وليس المراد بهما اللذان كانا فى أيدى اليهود والنصارى زمن النبى محمد؛ يكون كلامه هذا عند المنصفين من العقلاء إما جهلا وإما تعصبا؛ لأنه لا سبيل إلى إنكار أن الإشارة الواردة فى القرآن هى دالة على صحة نسخ التوراة والإنجيل التى كانت فى أيدى اليهود والنصارى وقت محمد، التى كانوا ينسخونها ويدرسونها ويستعملونها فى عباداتهم، والتى كان موجودا منها فى ذلك العصر ألوف من النسخ التى لا تحصى منشورة فى بلاد الحجاز وسائر البلدان فى اللغتين الأصليتين. أى العبرانية واليونانية. وفى الترجمات العديدة فى غيرهما من اللغات. فهذا هو الإنجيل الذى أراده القرآن لما شهد للنصارى أنهم ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وهذه هى التوراة المذكورة فى القرآن التى رآها محمد عند اليهود ولمسها بيديه. وهما أيضا اللذان كان يطالعهما ورقة بن عم خديجة زوج النبى وينسخ منهما. على ما روى ابن إسحاق فى سيرة الرسول، والبخارى فى صحيحه. فعلى ذلك قد ثبت أن القرآن يشهد**

بصحة التوراة والإنجيل اللذين كانا متداولين عند اليهود والنصارى في أيام محمد. أي في القرن السابع بعد المسيح[1]"

---

[1] يقول القسيس: إن الإنجيل كان منتشرا في بلاد الحجاز، وقت بعثة محمد، وأن القرآن شهد بالصحة لهذا الإنجيل الذي كان منتشرا في بلاد الحجاز. وقول القسيس باطل. لأن أرض الحجاز لم يكن فيها مسيحيون مقيمون ولا مسيحيون زائرون. ولا أحد من العرب اعتنق الديانة المسيحية. وذلك لأن المسيحية تختلف عن النصرانية. فالنصرانية دعوة تبشيرية بمجئ محمدﷺ وكان منهم نصارى نجران. والإنجيل الذي كان معهم هو الإنجيل الصحيح وفيه اسم محمد وأوصافه وحث العرب وغيرهم على الإيمان به إذا جاء. أما المسيحية فهي دعوة معمولة بقوة الرومان لإظهار أن عيسى عليه السلام هو النبي المنتظر، وسوف يأتي في مجيئه الثاني لتأسيس ملكوت السموات وأن النبي المنتظر لن يظهر من العرب. ومن أوصاف النبي المنتظر المماثلة لموسى. وقد جعل المحرفون للإنجيل عيسى مكان محمد. وعرضوا دعوتهم المحرفة على العرب فلم يقبلوها. وذلك لأن محمدا إذا ظهر سوف يكون لهم به ملك على العالم. وقد جاء في القرآن عن أن المحرفين عرضوا دعوتهم المحرفة على العرب ولم يقبلوها: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ أي أن العرب لم يقبلوا المسيحية التي تدعو إلى أن عيسى حل محل محمد. وإذْ لا يوجد في العرب مسيحيون. لا توجد أناجيل محرفة أو غير محرفة. وإذ لا توجد أناجيل؛ لا يُوجد شخص ورقة بن نوفل الذي زعموا أنه كان يقرأ الإنجيل بالعبراني. وزعمهم أيضا باطل فإن الإنجيل كان في الأصل باللغة اليونانية.

هذا عن الإنجيل والمسيحيين. وأما عن توراة اليهود. فإن التوراة لم تكن في أيدي المؤمنين باليهودية كلهم. وإنما كانت في أيدي العلماء الهارونيين واللاويين فقط. وهم باعتبارهم المفسرون للدين لم يكونوا يسمحون لغيرهم باقتناء نسخ منها. والقرآن لم يشهد بصحة التوراة التي كانت في زمن محمد أو في أي زمن من بعد تحريفها عمدا

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن ما أتـــى بـــه صاحب البرهان فى هذا المقالة ليس بشئ يعتد به. ولقد عرفت فيما مر غير مرة أن هذه التـــوراة وهـــذا الإنجيـــل الموجـــودين الآن، بـــل والموجودين فى زمن النبى محمد ﷺ ليسا هما الأصليان، اللذان جـــاءَ ذكرهما فى القرآن، فإنك قد عرفت أنهما فى اصطلاح هـــذا الكتـــاب المبين: ما أوحى إلى موسى وعيسى عليهما السلام لا تعدد فيهمـــا ولا اختلاف. على خلاف ما نراهما الآن. فإن التوراة يوجد منها ثلاثة نسخ

فى بابل. وكيف يشهد لها بالصحة وفيها خبر موت موسى ودفنه فى أرض موآب، ولا أحد يعرف قبره؟ أليس خبر موته فيها يدل على الإضافة فيها؟

اقرأ هذا النص: "و صعد موسى من عربات مواب إلى جبل نبو الى راس الفـــسجة الذي قبالة أريحا فاراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميـــع نفتـــالي وارض افرايم ومنسى و جميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعـــة أريحـــا مدينة النخل إلى صوغر وقال له الرب هذه هي الأرض التي اقسمت لإبراهيم واســـحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبد الرب في ارض مواب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في ارض مـــواب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئـــة وعـــشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربـــات مواب ثلاثين يوما فكملت ايام بكاء مناحة موسى ويشوع بن نون كان قـــد امـــتلا روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في ارض مصر بفرعون و بجميـــع عبيـــده وكـــل أرضه وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موســـى أمـــام أعـــين جميع إسرائيل"

العبرانية واليونانية والسامرية والاختلافات ما لا يخفى على من له أدنى درجة من الفهم وذرة من الذوق. وكذلك الإنجيل أربعة نسخ تنسب إلى بعض أشياخ النصارى. وهى تختلف اختلافا كثيرا حتى فى صفة المسيح ﷺ وأيام دعوته وفى نسبه الشريف ووقت الصلب - على زعمهم- بل يوجد فى كل إنجيل من الأغلاط والاختلافات ما لا يحتمل وقوع مثلها من غيرهم. فهذا برهان قاطع على أن هذه التوراة وهذا الإنجيل ليس هما اللذان جاء ذكرهما فى القرآن، بل لا يوجد فيه إشارة إلى صحتهما كيف وهو يكذب أكثر مضامينها ويذم أهلهما على تحريفهما وتغييرهما. ومن طالعهما ولم يكن من أهل المكابرة والعناد لا يُنكر سريان هذا الداء فى أعضائهما الرئيسية بعد ظهوره فى عالم عباراتهما. ولا يلزم أيها اللبيب من انتشار نسخهما وكثرتها فى سائر البلدان على تقدير صحته عدم تحريفهما بالتبديل والتغيير؛ لما قد عرفت فيما سلف. إذا أضفنا ذلك إلى ملة بروتستنت فإنهم لا يبالون بذلك بعد وجود صناعة الطبع أيضًا. فما بالك به فى سالف الأزمان. فما سلكه صاحب البرهان ساقط عن الاعتبار. وكذلك قوله: إن أهل الكتاب كانوا فى زمن الحضرة النبوية يتلون نسخ التوراة والإنجيل ويدرسونها ويستعملونها فى عباداتهم؛ لا يلتفت إليه. فإن ذلك لا يستلزم عدم تحريفهما. وكذلك لمس النبى لهما بيديه -على تقدير صحته ومطالعة ورقة ابن عم خديجة لهما ونسخه منهما- لا يقتضى عدم تحريفهما. كما لا يخفى على المميز من الصبيان.

وإعلم أن ورقة هذا هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى ابن عم خديجة رضى الله عنها كان من العرب وقد ترك[1] عبادة الأوثان وتنصر فى الجاهلية. لما كره طريقها للقيه من هو ماش شريعة المسيح ﷺ ولم يبدلها. وكان يكتب الكتابة العبرانية فى حال كهوليته فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخًا كبيرًا قد عمى. كذا فى صحيح البخارى وشرحه للقسطلانى. وفى زيادات المغازى عن ابن إسحاق: أن ورقة قال للنبى ﷺ: أبشر ثم أبشر. فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم. وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبى

---

[1] قول المؤلف: إن ورقة بن نوفل ترك عبادة الأوثان وتنصّر فى الجاهلية. هو قول باطل لأن العرب ما عبدوا الأوثان وما قبلوا المسيحية. والتنصر معناه: أنه يعمل بالتوراة ويدعو إلى اقتراب زمان محمد ﷺ والإيمان به إذا جاء. وكل العرب كانوا يعملون بالتوراة ويدعون إلى اقتراب زمانه ﷺ للإيمان به. فما فائدة قوله ترك عبادة الأوثان؟ ولأن المسلمين لم يفرقوا إلى اليوم بين النصرانية والمسيحية وقعوا فى أهداف الرواة. والذين عبدوا الأصنام هم اليهود، وهم الذين استخدموا السحر، وهم الذين وأدوا البنين والبنات، وهم الذين استشاروا الموتى.

والنص التالى يوضح ذلك: "كان منسى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك وملك خمسا وخمسين سنة في أورشليم واسم أمه حفصيبة وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل أخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح في بيت الرب الذي قال الرب عنه في أورشليم أضع اسمي وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب وعبر ابنه في النار وعاف وتفائل واستخدم جانا وتوابع وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته"

مرسل. الحديث. وفى البخارى أنه فى بدء الوحى أخبر بهجرة النبى ﷺ وإخراجه من مكة بقوله: يا ليتنى فيها. أى فى مدة النبوة جذعا أى شابا قويا. لأنصرك. ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أَوَ مُخْرِجِىَّ هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودى وإن يدركنى قومك أنصرك نصرا مؤزرا. أى قويا بليغا. ثم لم ينشب. أى لم يلبث ورقة أن توفى. قال القسطلانى: وهذا ظاهره أن ورقة أقر بنبوة محمد ﷺ ولكنه مات قبل الدعوة إلى الإسلام. فيكون مثل بحيرا. يعنى أنه شهد له بالنبوة والرسالة قبل الدعوة إلى الإسلام، بل شهد بنبوته قبل البعثة. وما اجتمع به إلا مرة واحدة. وذلك أنه لما بلغ النبى ﷺ سبع سنين -على الراجح- أراد عمه أبو طالب الخروج إلى الشام للتجارة وتهيأ للرحيل؛ فهَبَّ له النبى عليه الصلاة والسلام وأخذ زمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلنى؟ لا أب لى ولا أم. فَرَقَّ له عمه. وقال: والله لأخرجن به معى ولا أفارقه أبدًا. فخرج به معه.

فلما بلغ الركب بصرى من أرض الشام رأى راهب بها. يقال له بحيرا واسمه جرجس. وهو فى صومعته غمامة تساير ذلك الركب، حتى إذا نزلوا تحت شجرة هناك اخضرت وتهصرت أغصانها ووقفت الغمامة ولم تبارح منزلهم. فأمر بحيرا من عنده أن يصنعوا طعاما ونزل من صومعته وأتى إليهم. وقال: يا معشر قريش إنى قد صنعتُ لكم طعاما وأحب أن يحضره كلكم صغيركم وكبيركم حرّكم وعبدكم. وكانوا كثيرا ما يمرون عليه قبل ذلك؛ فلا يكلمهم ولا يعرض لهم.

فاجتمعوا إليه وتخلف النبى عليه الصلاة والسلام لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا إلى القوم لم يرَ الصفة التى يعرفها ويجدها عنده، وجعل ينظر فلم يرَ الغمامة على أحد من القوم، بل رآها متخلفة على الشجرة. فلما نظر بحيرا قال يا معشر قريش لا يتخلفنَّ أحد منكم عن طعامى. قالوا: ما تخلف أحد إلا غلاما هو أحدث القوم سنا. فقال بحيرا: إنى أحب أن لا يتخلف أحد منكم أصلا. فذهب من أحضره فأتى رسول الله والغمامة تسير على رأسه حتى وصل إليهم فأجلسوه معهم. فجعل بحيرا يلحظه شديدًا وينظر إلى أشياء فى جسده قد كان يجدها عنده من صفته. فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال يا غلام: اسألك بحق اللات[1] والعزى ألا أخبرتنى عما أسألك. فقال رسول الله ﷺ: لا تسألنى باللات والعزى. فإنى لا أبغض بغضهما شئ قط. قال بحيرا: فبالله أخبرنى عما أسألك. قال: سلنى عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ما عنده. ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التى هى عنده. فقبل موضع الخاتم. فقال قريش: إن لمحمد عند الراهب قدرًا عظيمًا. ثم قال الراهب لأبى طالب: ما هذا الغلام منك؟ فقال: هو ابنى فقال بحيرا: ما ابنك ولا ينبغى لهذا الغلام أن يكون أباه حيا. فقال أبو طالب: هو ابن أخى فسر بحيرا سرورا

---

[1] الذين عبدوا اللات والعزى ومناة هم اليهود [كتاب الأحكام الشرعية تأليف نادى فرج درويش العطار]

عظيما لإصابة فراسته ولفوزه بنظره، ثم قال لأبى طالب: إن هذا سيبعثه الله رحمة للعالمين، ويكون خاتم النبيين والمرسلين. وسأله أن يرده إلى بلده خوفا عليه أن يراه بعض كهنة اليهود فيقصدوه بسوء ويهينوه [1] **لعلمهم بأنه هو الغرس الذى سيخرج فى البرية فتخرج منه نار تهلك اليهود. كما كان يُعلم عندهم من كتبهم المقدسة.** فباع أبو طالب ما عنده من البضاعة هناك،وعاد به مسرعًا إلى مكة المشرفة. ولم يخرج رسول الله ﷺ إلى الشام إلا هذه المرة.

---

(١) "أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل وقل ما هي أمك لبوة ربضت بين الأسود وربت جراءها بين الأشبال ربت واحدا من جرائها فصار شبلا وتعلم افتراس الفريسة أكل الناس فلما سمعت به الأمم اخذ في حفرتهم فاتوا به بخزائم إلى ارض مصر فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت آخر من جرائها وصيرته شبلا فتمشى بين الأسود صار شبلا وتعلم افتراس الفريسة أكل الناس وعرف قصورهم وخرب مدنهم فأقفرت الأرض وملؤها من صوت زمجرته فاتفق عليه الأمم من كل جهة من البلدان وبسطوا عليه شبكتهم فاخذ في حفرتهم فوضعوه في قفص بخزائم واحضروه إلى ملك بابل وأتوا به إلى القلاع لكيلا يسمع صوته بعد على جبال إسرائيل أمك ككرمة مثلك غرست على المياه كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلطين وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء وظهرت في ارتفاعها بكثرة زراجينها لكنها اقتلعت بغيظ وطرحت على الأرض وقد يبست ريح شرقية ثمرها قصفت ويبست فروعها القوية أكلتها النار والآن غرست في القفر في ارض يابسة عطشانة وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها و ليس لها الآن فرع قوي لقضيب تسلط هي رثاء وتكون لمرثاة"

ومرة أخرى لما بلغ خمسة وعشرين سنة -على قول جمهور العلماء- وذلك لما عرضت عليه خديجة رضي الله عنها الخروج في تجارتها مع غلام لها. يقال له ميسرة لِمَا بلغها من صدق رسول الله ﷺ وأمانته ودرايته. فأجابها إلى ذلك فخرج مع قافلة من قوافل الشام، ومعه ميسرة. فلما وصل إلى بصرى نزل مع ميسرة قرب صومعة بحيرا تحت شجرة هناك؛ فرآه نسطورا الراهب. وكان بحيرا قد توفي وقام هو مقامه؛ فأتى إلى ميسرة وكان بينهما مودة وتعارفا، فتحدثا برهة. ثم شهد نسطورا لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة، ثم التفت إلى ميسرة. وقال له ميسرة: هذا خاتم الأنبياء الذي بشر به عيسى عليه السلام وأوصيتك أن لا تقدم به دمشق خوفًا من اعتداء بني إسرائيل عليه، لمعرفتهم إياه بأوصافه سيما لتيقنهم بزوال دولتهم على يده فأجاب ميسرة سؤال نسطورا بالسمع والطاعة، فباعوا تجارتهم هناك، وربحوا ضعف ما كانوا يربحون، وعادوا إلى مكة، ودخلوا إليها وقت الظهيرة. وكانت خديجة جالسة في عِلِّيَّة لها هي ونساء كن عندها، فرأين من بين الركب رجلاً يُظل عليه ملكان بأجنحتهما. فعجبن لذلك وصرن يقلن: من هذا؟ وبينما هن في ذلك إذ دخل عليهن ميسرة. فسألنه فقال: هو محمد الأمين. وأخبر بأنه كان يشاهد ذلك وقت الحر، منذ خرجوا. ونقل ما قال نسطورا الراهب في حقه -عليه الصلاة والسلام- وما رآه من أمانته وطهارته ووفائه وبالربح الذي ربحته تجارتهم ببركته. ولم يثبت خروجه إلى الشام قبل النبوة أزيد من هاتين

المرتين[١]. وبهذا تعرف فساد ما حكاه صاحب ميزان الحق ومنه تعرف افتراء صاحب رسالة الكندى. وعلمت مما تقدم غلط صاحب البرهان بما سلكه فى مقالته السالفة، وأنه لا يلزم من كتابة ورقة بن نوفل فى التوراة والإنجيل عدم تحريفهما. ولقد أسلفنا لك الجواب عن قوله: إن القرآن يشهد بصحة التوراة والإنجيل الموجودين فى زمن الحضرة النبوية بما لا مزيد عليه، لكنى هاهنا أسأل هذا القسيس سؤال استفهام وأطلب منه الإفادة هل كانت شهادة القرآن بالصحة للنسخة العبرانية من التوراة أم للنسخة اليونانية أم للنسخة السامرية؟ أم كانت هذه الشهادة لإنجيل متى دون غيره من الأناجيل أم لإنجيل مرقس عدا خلافه أم لإنجيل لوقا خاصة أم لإنجيل يوحنا أم لرسائل حضرة القديس بُولُس التى نقضت وخالفت سائر كتب العهد العتيق والجديد؟

أفدنا يا صاحب البرهان لأى كتاب كانت هذه الشهادة؟ فإنا نرى كل كتاب منها يخالف الآخر فى الأخبار والأحكام والقصص والمواعظ وبتعاليم المسيح وحكاياته وأخباره وانتقالاته وفى كيفية صلب المصلوب وقتله. كما علمت ذلك بما يشفى العليل ويروى الغليل.

---

[١] كان يجب على المؤلف أن يقول إن قصص ورقة وبحيرا وغيرهما مكتوبة بروايات الآحاد الذى يفيد الظن فى الثبوت وفى الدلالة. ومعلوم أن روايات الآحاد ليست حجة فى دين الله؛ لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن. لأن شهادة الواحد مردودة فى شئون الدنيا، ففى شئون الدين أولى وأخرى. فإذا رددنا روايات الآحاد فإنه لا يكون بحيرا ولا ورقة ولا غيرهما. ومعلوم أن الرواة من اليهود والمسيحيين ينسبون الكلام إلى غير أصحابه. وبعدما يثبت فى عقول الناس يطعنون به فى الدين.

والحاصل: أن تلاوة أهل الكتاب التوراة والإنجيل ودرسهم إياهما واستعمالهم أحكامهما لا يقتضي عدم تحريفهما. وكذلك لمس النبي ﷺ لهما بيديه الشريفتين على تقدير صحته ومطالعة ورقة لهما ونسخه منهم؛ لا يستلزم عدم تحريفهما وتبديلهما كما لا يخفى على المميَّز من الصِّبْيان.

التحريف بعد زمان محمدﷺ

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "**فإن قال قائل: إنا نسلم بصحة التوراة والإنجيل اللذين كانا فى أيام النبى، ولكن لا نسلم أن نسخ التوراة والإنجيل المتداولة عند اليهود والنصارى الآن هـى باقية صحيحة من دون تغيير وتبديل، بل ربما وقع التحريف والتغيير فيهما بعد أيام محمد. نقول له: إن هذا الأمر لا سبيل إلى إثباته مـن وجهين عقلى ونقلى. أما العقلى: فلأن تغيير الكتابين بعـد سـتمائة سنة، وبعد انتشارهما فى سائر أقاليم الأرض وإخفاء هذا الأمر؛ من المحال المحض الذى لا يتصوره العقل أصلا. وأما النقلى فلأنـه مـا سمع أحد من أهل الدراية مـن الـوثنيين أو المـسلمين أو بعـض النصارى المدعين بوقوع تحريف لفظى فى التوراة والإنجيـل مـع بغضهم لدين النصارى واليهود وتصديهم للطعن فى كتبهم؛ ادعى أن ذلك وقع بعد الجيل السادس أو السابع من التاريخ المسيحى. أى بعد محمد؛ فلا يسع الذين يدعون هذا الادعاء إلا أن يقولوا بأن ذلك قبل ظهور محمد بمدة مديدة فى القرن الأول أو الثـانى أو الثالـث بعـد ظهور المسيح، ولا يدعى بهذا الأمر إلا من كان جاهلاً غاية الجهالة فى التواريخ والفنون المتعلقة بهذه القضايا**"

أقول: قد تكرر التصريح غير مرة أن تحريف التوراة والإنجيل كان من قبل بعثة نبينا ﷺ ولا يوجد فى أهل الدين الإسلامى المبين من يقول غير ذلك. كيف وأن الآيات الكثيرة القرآنية والأحاديـث الجمـة

النبوية فى هذا الباب صريحة. وهو ثابت بالشهادة من كلام القدماء من أجلّ مفسريهم وأعظم مؤرخيهم، وأشهر علماء اليهود السالفين، ومــن كلام الماديين والطبيعيين والوثنيين وسائر الأمم من سلف وخلف، مما لا يحتاج إلى استشهاد عليه، اختصارًا واقتصارًا على اشتهار العلم به. وهذا القسيس صاحب البرهان قد اعترف فى مقالته هــذه بــأن أهــل الدراية من الوثنيين والمسلمين وبعض النصارى قــد ادعــوا وقــالوا بوقوع التحريف اللفظى. وهو التغيير والتبديل فى التوراة والإنجيــل. غير أنه زعم أنهم ما عينوا وقت وقوعه فيهما. وهذا التبيين ليس بلازم ضرورة بعد وجوده فيهما مشاهدة زيادة على نقله متواترًا. ولقد عرفت أن الموافق والمخالف ينادون من القرن الثانى من القرون المسيحية أن التحريف قد وقع فيهما، ومحققوهم قد اعترفوا بوقوعه بأقسامه الثلاثة. وقد عرفت مما مر غير مرة: أن سَلسُوس الذى كان من أجل العلمــاء فى القرن الثانى من الميلاد كان يصيح بأعلى صوته: أن المــسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات، بل أزيد منها تبــديلا كــأنّ مضامينها بدلت. وكذا فاستس من علماء فرقة مانى كيز مــن الفــرق المسيحية كان ينادى فى القرن الرابع من الميلاد بأن هذا الأمر محقق وهو أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صــنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم، خوفًا مــن أن لا تعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التى كتبهــا وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغًا بأن ألف الكتب التــى توجــد فيهــا

الأغلاط والتناقضات. وتقدم لك نقل هنرى واسكات فى تفسيره قـول اكستاين: أن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمن الأكـابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام وفعلوا هـذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى قال: "ويُعلم أن القدماء من المسيحيين كانوا يعترفون بتحريف التوراة وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من الميلاد"

قلت: وهذا قول الموافق من قدماء أسلافهم والمخالفين من قدماء الوثنيين أفادنا أن تحريف التوراة كان فى سـنة مائـة وثلاثـين مـن الميلاد، وأن تبديل الإنجيل وتغييره كان فى القرن الثانى والرابع مـن الميلاد. وأفادنا فائدة زائدة على المطلوب. وهى أن هؤلاء الأناجيل ما كتبهم الحواريون ولا رفقاؤهم وإنما الذى كتبهم وألفهم رجل مجهـول الاسم. وهذا فضلاً عما وقع فيهما من التغيير والتبديل بعد انتـشارهما فى المشارق والمغارب من أيام محمد ﷺ إلى يومنا هذا. وقد علمـت أنهم لا يبالون من هذا الأمر فى كل زمان حتى بعد صـناعة الطبـع أيضًا. ومن اطلّع على الاختلاف الواقع بين نسخهما ونظر إلـى مـا اشتملا عليه من الأغلاط والاختلافات لا ينكر حقيقة هذا الأمر. فمـا سلكه صاحب البرهان فى مقالته هذه يدل على فرط تعـصبه وشـدة جهالته فى التواريخ والفنون المتعلقة بهذه القضايا.

زمان تحريف التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " والذى يظهر لك ذلك: أنا لو فرضنا تحريف القرآن بالزيادة والنقص وإزالة النسخ الأصلية في خلافة أبي بكر مثلاً لكان هذا الأمر مما يمكن وقوعه مع ما فيه من الصعوبة. وأما إجراء مثل هذا الفعل في أيام خلافة عثمان أو علي فهو أصعب أقل احتمالاً، وفي أيام هارون الرشيد أصعب مما تقدم، نظراً لامتداد الإسلام وانتشار القرآن في سائر الأطراف وتكاثر الناس الحافظين له في تلك الأيام. وأما إفساد جميع نسخ القرآن الأصلية وتبديلها بنسخ حادثة مغيرة ونشرها في جميع البلدان عوضاً عن الأصلية بعد ظهور الإسلام بخمسمائة سنة كأيام صلاح الدين لما كان دين الإسلام منشوراً في الشرق والغرب في آسيا وأفريقيا وأوربا؛ فهذا مما لا يتصور وقوعه رجل سليم العقل. ولو سعى بمثل هذا الأمر أناس كثيرون فمن المحال إتمامه وكما أن اتفاق جميع المسلمين على تحريف القرآن وتبديله بعد خمسمائة سنة من ظهور الإسلام هو أمر من المحال. فهكذا ومن باب أولى تحريف التوراة والإنجيل بعد خمسمائة أو ستمائة سنة من ظهور المسيح مما لا يتصور؛ لأن نسخ الكتابين كانت حينئذٍ منتشرة في جميع أقطار الأرض وأيضا: ليس حالها كحال القرآن من كونها في لغة واحدة بل كانت منقولة في جملة من اللغات. فمنها الأصلية ومنها المترجمة إليها، ولم تزل نسخ محفوظة فى بعض مكاتب أوربا من الإنجيل

كتبت فى القرن الرابع والخامس والسادس بعد ظهور المسيح ونسخ قديمة من التوراة إلى يومنا هذا، وهى مطابق بعضها لبعض وموافقة للنسخ المتداولة عند جميع النصارى واليهود فى زماننا هذا أيضًا. وهذا دليل واضح على أنه لم يقع فى التوراة أو الإنجيل تغيير وتبديل من القرن الرابع بعد المسيح إلى يومنا هذا، وأن نسخ التوراة والإنجيل المتداولة عند اليهود والنصارى اليوم هى مطابقة للنسخ المتداولة عندهم فى أيام محمد ﷺ أى فى أوائل القرن السابع من التاريخ المسيحى"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من طالع ما تقدم من الأبحاث وتأمل جوابنا على مقالتى القسيس اللتين قبل هذه؛ علم الجواب. فإذا ثبت تحريف التوراة والإنجيل بإقرار علمائهم ومفسريهم وعلم ببرهان المشاهدة والعيان؛ فأى محل لاستبعاده وعدم إمكانه؟ وقياس القسيس هذه الكتب على القرآن المجيد قياس مع الفارق فإنها قابلة للتحريف فى كل زمان قبل أيام نبينا وبعده حتى بعد صناعة الطبع أيضًا كما يظهر لك ذلك من تقابل نسخها، بخلاف القرآن المجيد؛ فإن اشتهاره وتواتره كانا فى كل زمان مانعين عن التحريف؛ فإنه كما كان محفوظًا فى السطور؛ فكذلك كان محفوظًا فى الصدور قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقال: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ كما كان عليه مدة ثلاثة عشر قرنًا من أول نزوله إلى يومنا هذا؛ حجة قاهرة ومعجزة باهرة على مرور السنين والأيام.

مُيسّر حفظه للغلمان فى أقرب زمان قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ فهو محفوظ فى زماننا هذه فى صدور كثير من المسلمين، ومن كان شاكًا فى هذا الأمر فليجرب ويدخل فى جامع الأزهر من جوامع محروسة مصر القاهرة؛ فيجد فيه فى كل وقت من الأوقات أزيد من سبعة آلاف من حفاظ القرآن الذين حفظوه بالتجويد التام، ولو تتبع كل قرية من القرى الإسلامية فضلاً عن المدن والأمصار سيما قرى مصر لا يجد قرية من قراها تكون خالية من حفاظ القرآن ولو نظر أيضًا إلى كثير من الحمّارين والبغّالين من أهل القطر المصرى أيضًا؛ لوجدهم حافظين للقرآن حفظًا جيدًا، بحيث يمكن كتابته من صدر أحدهم مع غاية صحة الألفاظ وضبط الإعراب. بخلاف التوراة والإنجيل فإنه لا يوجد فى ديار أوربا بل ولا فى فى جميع الممالك فى هذه الطبقة من أهل الكتاب مع فراغ بالهم وتوجههم التام إلى العلوم والصنائع فى هذه الأيام خمسة أنفار يكونون حافظين للتوراة والإنجيل بل ما سمعنا أن أحدًا من المسيحيين حافظً لإنجيل من الأناجيل فضلا عن أن يكون حافظًا لجميعها. فجميع ديار أوربا من المسيحيين فى هذا الأمر ليسوا فى مقابلة قرية صغيرة من القرى الإسلامية، وليس الكبار من الرهبان والشمامسة بل والقسيسيين فى هذا الأمر خاصة فى مقابلة الحمَّارين والبغَّالين من أهل الدين الإسلامى المُبين. فهؤلاء الحمارون والبغالون فائقون فى هذا الباب على الأساقفة والشمامسة والقسوس والرهبان الذين يوجدون شرقًا وغربًا شمالا وجنوبا فى هذا الزمان الذى هو

زمن شيوع العلم فى أهل الكتاب فضلا عن القرون السالفة من القرون المسيحية من الجيل السابع إلى الجيل الخامس عشر التى كان فيها بمنزلة شعار العلماء فى هذه القرون. وهذا على اعتراف علماء بروتستنت. ويوجد ولله الحمد والمنة فى الأمة المحمدية فى هذا العصر أيضا من الحفاظ أزيد من مليون فى جميع ديار الإسلام. وهذا هو الفضل البديهى لأمة محمد ﷺ ولكتابهم.

ولقد حكى صاحب إظهار الحق رحمه الله: "أن أميرا من أمراء الإنكليز جاء يوما إلى مكتب فى بلدة سهار نفور من أمراء بلاد الهند ورأى الصبيان المشتغلين بتعليم القرآن وحفظه. فسأل المعلم أى كتاب هذا؟ فقال: القرآن المجيد. فقال الأمير: أحفظ أحد منهم القرآن كله؟ فقال المعلم: نعم. وأشار إلى جملة منهم. فلما سمع الأمير ذلك استبعده. فقال: اطلب أحدًا منهم وأعطنى القرآن أمتحنه. فقال: أيهم شئت؟ فطلب واحدا منهم كان ابن ثلاثة عشر أو أربعة عشر سنة وامتحنه فى مواضع. فلما تيقن أنه حافظ لجميع القرآن تعجب وقال أشهد: أنه ما ثبت تواترا لكتاب من الكتب كما ثبت للقرآن؛ إنه يمكن كتابته من صدر صبى من الصبيان مع غاية صحة الألفاظ وحفظ الإعراب" انتهى.

وقد أورد بعد هذا فى كتابه أمورا أزال بها استبعاد وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل وأثبت وجوده فيهما بعبارة رائقة وإشارات فائقة تشفى العليل وتروى الغليل. فمن أراد الإطلاع فليرجع

إليه يجد ما يسره فى هذا الشأن. ولولا الإطالة لذكرت شيئًا من ذلــك.
ويكفيك أيها اللبيب ما تقدم لك من الأبحاث.

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "إنما اقتصرنا على هذه الدلائل القليلة المبرهنة على عدم تحريف التوراة والإنجيل من أيام محمد ﷺ إلى اليوم خوفا من التطويل، ولما كان قصدنا فى هذه الرسالة البرهان على صحة التوراة والإنجيل وعدم تبديلهما بمجرد شهادة القرآن لا ببراهين تاريخية أو عقلية؛ اكتفينا بما تقدم. وإن شاء الله سنذكر الدلائل الخارجة عن القرآن التى لم نترك ذكرها هنا لضعفها بل لعدم احتياجنا إليها فى هذه الرسالة، كما لا يخفى على ذى البصيرة. فإذا ثبت أن نسخ التوراة والإنجيل المتداولة عندنا اليوم هى مطابقة للنسخ المتداولة فى أيام محمد ﷺ وأن القرآن يشهد بصحة تلك النسخ، كما أوضحنا ذلك؛ ثبت أن القرآن يشهد كذلك بصحة النسخ التى بين أيدينا الآن. والعجب كل العجب أن بعض المسلمين يشكّون بما سلّم بصحته نبيهم، وينكرون ويهينون ما شهد لحقيقته قرآنهم، وذكره بالتبجيل والتعظيم. ألاَ يرون أنهم بمخالفتهم هذه لا يخالفون اليهود والنصارى، بل يخالفون نبيهم، ولا يكذبون كتب اليهود والنصارى بل يكذبون قرآنهم"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من أمعن النظر فيما تقدم علم بالبداهة واليقين أنه لا دليل لصاحب البرهان على عدم تحريف التوراة والإنجيل لا من النقل ولا من العقل، وأن التحريف ثابت وقوعه فيهما البتة. ويكفيك أيها العاقل اللبيب فى ثبوت ذلك؛

اعتراف مفسريهم وإقرار مؤرخيهم ومحققيهم وسائر التورايخ طافحة في إثبات هذا الأمر. وما أعرض هذا القسيس عن ذكر عباراتها إلا لكونها تصرح وتنادى بأعلى نداء في إثبات هذا الأمر. وهذا فضلا عن ما أثبتناه لك من شهادة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ولا توجد آية من آياته الكريمة تشهد بصحة هذه التوراة وهذا الإنجيل المتداولين -كما زعم هذا القسيس- بل غالب آياته الشريفة تخالف ما في هذين الكتابين فضلا عن ما فيه من التصريح بوقوع التحريف فيهما. ولكثرة شواهد هذا الأمر لا حاجة إلى نقلها ها هنا زيادة عن ما أثبتناه لك فيما تقدم. والتبجيل والتعظيم الواردان فيه إنما هو إلى التوراة والإنجيل المنزلين على موسى وعيسى قبل تحريفهما ولا تعظيم فيه ولا تبجيل لهذه الكتب والرسائل المسماة بالتوراة والإنجيل، المشحونة بالأغلاط والاختلافات وأكاذيب الحكايات المفتريات. فما اعتقده المسلمون في هذا الأمر هو عين ما أثبته قرآنهم بصحته إلى نبيهم. فتعجب صاحب البرهان من المسلمين في مقالته هذه؛ غلط محض، منشأه شدة التعصب من سوء الفهم.

اتصال السند فى كتب التوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " **فإن ادعى بعضهم كصاحب إظهار الحق أن الإنجيل ليس كتابا موحى به من الله نظرا لاحتوائه على بعض ألفاظ أو تعاليم يرونها هم غير لائقة بكتاب إلهى، أو لأن بعض أسفار التوراة والإنجيل لم تصل إلينا بأسانيد متصلة منبئة عن كونها منسوبة لرسول أو نبى، ويوجد اختلاف من جهتها، أو لأن بعض علماء النصارى أيضًا اعترضوا على بعض الأسفار فنقول إن هذه دعوى بينهم وبين كتابهم، ويكفينا أن القرآن يسلم بصحة الكتابين المذكورين ويذكرهما بغاية التعظيم والتوقير مع وجود تلك الألفاظ والأقوال فيهما ومع وجود الاختلاف من جهة كاتبى بعض أسفارهما، ولا يعترض عليهما" ثم قال "وليكن هذه آخر الرسالة"**

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: قد علمت فيما مر غير مرة أن القرآن المجيد ما شهد لهذه الكتب بشئ من الصحة ولا فيه تعظيم لها ولا توقير وإنما جاء شاهدًا عليها معترضا، ومكذبا غالب مضامينها ومبكتا وموبخا أهلها على تحريفها بتبديلها وتغييرها، ولبسهم الحق بالباطل، وكتمانهم الحق وهم يعلمون، وإرادتهم لإطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. ومن ادعى أن بعض أسفار هذه التوراة وهذا الإنجيل ليست كتبا موحى بها من الله ﷻ فهو

مضطر ومعذور؛ لأن الكلام الإلهى مصان الأغلاط والاختلافات، ونسبة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى كفر، وكذا يصان عن تفسيق الأنبياء الكرام وتنقيصهم ونسبة الكذب والزنا واللعنة والكفر إليهم؛ لأن الله تعالى لما اختارهم واصطفاهم لهذا المنصب الشريف؛ حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمنهى عنه. نهى تحريم أو كراهة. وإنا نرى هذه الكتب فضلاً عن ما فيها من الأغلاط والاختلافات مشحونة بتفسيقهم وتنقيصهم وإهانتهم. وما نرى من نبى ذكر فيها من آدم إلى المسيح إلا ويكون فاسقا أو كافرا أو كاذبا أو زانيا أو من أولاد الزنا، حتى أن بولس مقدس المسيحيين لم يكتف بذلك بل صرح بلعن ربه وإلهه المسيح، حيث قال فى رسالته إلى أهل غلاطية: "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ" ومسيح النصارى علق على خشبة حين صلبه، فهو إذًا ملعون -والعياذ بالله تعالى-

فهذه الحكايات وأمثالها لا تليق بالكتب الإلهية، بل لا يليق ذكر أمثالها بتواريخ أهل الصيانة والديانة على فرض وقوع ذلك من أمثالهم، بل لو وقع مثل ذلك من آحاد الناس الرعاع لا يليق ولا يجوز أن يتحدث به، فكيف يجوز أن تنسب هذه الرذائل إلى أعراض الأنبياء المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض. ولعمرى أن ما نسب إليهم محض اختلاق وحاشا أن يكون من كلام الخلاق. فهذا يا صاحب البرهان من أعظم الأعذار لمن ادعى أن هذه الكتب ليست كتبًا

موحى بها من الله -عز شأنه- وهو من أكبر الدلائل؛ المقنعة والبراهين القاطعة على تحريفها وعدم اتصال أسانيدها. ولا يكفى أيها العاقل اللبيب فى إثبات الكتاب أنه موحى به من الله؛ اسناده ونسبته إلى شخص صاحب إلهام بمجرد الادعاء، وكذلك الظن والتخمين والوهم لا يكفى فى إثباته، بل لا بد فى كون الكتاب سماويا واجب التسليم؛ أن يثبت أولا بدليل تام أنه كتب بواسطة النبى الفلانى أو الحوارى الفلانى ووصل إلينا بالسند المتصل من غير تغيير ولا تبديل، وكذلك لا يكفى فى إثبات الكتاب أنه موحى به؛ مجرد ادعاء فرقة من الفرق ألا ترى أن كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب وزدم وكتاب إيكليزياسيتكوس والكتاب الأول والثانى للمقّابيين وعشر آيات فى الأصحاح العاشر وستة أصحاحات من الأصحاح الحادى عشر إلى الأصحاح السادس عشر من كتاب أستير وغناء الأطفال الثلاثة فى الأصحاح الثالث من كتاب دانيال والأصحاح الثالث عشر والرابع عشر من هذا الكتاب قد بينت فرقة بروتستنت بالبيانات الشافية أنها ليست إلهية، وكذلك اليهود لا يسلّمون إلهاميتها والسفر الثالث لعزرا جزء من أجزاء العهد العتيق عند كنيسة كريك، وقد أثبتت فرقة كاثوليك وبروتستنت بأدلة واضحة أن ذلك الجزء ليس إلهاميا، وكذلك كتاب القضاة ليس إلهاميا على قول من قال إنه تصنيف فينحاس، وكذا على القول بأنه تصنيف حزقيا، وكذلك كتاب راعوث ليس إلهاميا على قول من قال إنه تصنيف حزقيا، وكذا على قول طابعى كتاب السبيل، وكذلك كتاب أيوب ليس إلهاميا

على قول الإمام الأعظم لفرقة بروتستنت لبوطر، وكـــذلك الأصــحاح الثلاثون والحادى والثلاثون من كتاب أمثال سليمان ليــسا بإلهــاميين، وكذلك كتاب الجامعة ليس إلهاميا على قول علماء التلمــود، وكــذلك كتاب نشيد الأنشاد ليس إلهاميا على قول وســمين ووســتام وســمير، وكذلك سبعة وعشرون أصحاحا من كتاب إشعياء ليست إلهامية علـــى قول كثير من علماء كيوسى بيس وغيرهم من المحققــين الأفاضـــل، وكذلك إنجيل متى ليس إلهاميا على قول القــدماء وجمهــور علمـــاء المتأخرين الذين قالوا إنه لم يكن فى اللسان العبرانى وحروفه العبرانية فُقدت، والموجود الآن ترجمته. وكذلك إنجيل يوحنا ليس إلهاميا علـــى قول استادلن والمحقق برطشنيدر وفرقة الوجين التى كانت فى القـــرن الثانى كانت تنكر هذا الإنجيل وجميع تصانيف يوحنا، وكذلك الرســـالة الثانية لبطرس، والثانية ليوحنا، ورسالة يهــوذا، ورســالة يعقــوب، ومشاهدات يوحنا؛ ليست إلهامية على قول الأكثرين مـــن محققــيهم، وكذلك رسائل بولس كلها ليست إلهامية على قول الفرقة الأبيونية التى تعدّ بولس صاحب هذه الرسائل من المرتدين الكاذبين، وكانـــت هــذه الفرقة معاصرة له ومنكرة عليه أشد الإنكار، وكذلك كتاب المشاهدات، والسفر الصغير للتكوين وكتاب المعراج وكتـــاب الأســرار، وكتـــاب استمنت، وكتاب الإقرار؛ كلها منسوبة إلى سيدنا موسى، ومـــع هــذه النسبة لم تعد إلهامية، وكذلك السفر الرابع لعزرا منسوب إلى عـــزرا، ولم يعدّ إلهاميا، وكتاب معراج إشعياء وكتاب مشاهداته منسوبان إليه،

وما أحد عَدَّهما إلهاميين سوى الكتاب المشهور لإرمياء، وكتاب آخر منسوب إليه، ولم يُعَد إلهاميا، وكذلك عدة ملفوظات منسوبة إلى حَبَقُّوق ولم تعد إلهامية، وعدة زبورات منسوبة إلى سليمان عليه السلام لم تعد إلهامية. وسوى الكتب المشهورة المتداولة من العهد الجديد كتب جاوزت سبعين كتابا منسوبة إلى سيدنا عيسى عليه السلام والسيدة مريم والحواريين وتابعيهم، ومع هذه النسبة لا يعدّها المسيحيون إلهامية، ويدعون أنها من الأكاذيب المصنوعة، واتفقت على هذه الدعوى كنيسة كريك وكاثوليك وبروتستنت، وحيث كان كذلك فلا ينبغي للعاقل أن يعتقد بمجرد إسناد الكتاب إلى نبى أو حوارى أنه كتاب إلهى، واجب التسليم. وكذلك بمجرد ادعائهم ذلك؛ لا يجوز أن يُسلّم بل يحتاج الأمر إلى دليل، كما عرفت. قال صاحب إظهار الحق: "وكثيرا ما طلبنا من علمائهم الفحول السند المتصل لهذه الكتب فما قدروا على بيانه، وقد اعتذر بعض القسيسين -يعنى القسيس فندر صاحب ميزان الحق وغيره ممن كانت المناظرة بينه وبينهم- فقالوا: إن سبب فقدان ذلك عندنا: وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاثة عشر سنة من الميلاد" قال: "وقد تفحصنا فى كتب الإسناد فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين"

قلت: ومن المعلوم أن غير اليقين فى باب الإعتقادات لا يغنى من الله شيئًا. فما سلكه صاحب البرهان فى هذه المقالة يدل على قلة علمه وسوء فهمه، ولا يخفى على المتنبه ما تضمنته هذه المقالة من

الإقرار والتسليم بوقوع التحريف فى كتب التوراة والإنجيل وعدم اتصال أسانيدها وكونها ليست كتبا موحى بها من الله، حيث قال: "**إن هذه دعوى بينهم وبين كتابهم**" ولم يعلم أن الإقرار أحق ما يؤخذ به الرجل فإنه أقوى من البينة، ولا حاجة إلى البينة بعد الإقرار. ويكفينا فى إثبات هذه القضية: برهان الحس والمشاهدة، فضلا عما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى ثبوت ذلك. فالذى ينبغى للإنسان: أنه متى عرف قضية أو استيقن أمرا أن يصدع به؛ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾-﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده فى هذا المختصر، ونسأله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وموجبا للفوز لديه بجنات النعيم. والله ولى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

وكان الفراغ من تسويد هذا المؤلف في اليوم الثامن والعشرين من شهر ذى الحجة المبارك من سنة ثمان وثلاثمائة بعد الألف، من هجرة من له العز والشرف ﷺ وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الفائزين المؤيدين. آمين.

انتهى كتاب السيف الصقيل

فهرس كتـــاب
السيف الصقيل

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- تفسير القرطبى

٣- تفسير شيخ الإسلام فخر الدين الرازى

٤- تفسير ابن كثير

٥- تفسير الخازن

٦- التوراة والزبور والإنجيل (تراجم مختلفة)

٧- تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين

٨- تفسير السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم

٩- تفسير الإنجيل -لمتى هنرى أربعة أجزاء

١٠- الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى

١١- أقانيم النصارى بيان ونقد

١٢- إظهار الحق لرحمت الله الهندى

١٣- شرح الأحكام الشرعية فى التوراة تأليف نادى فرج درويش العطار

١٤- الهداية ٤ جزء تأليف المرسلون الأميركان بمصر ضد إظهار الحق وضد السيف الصقيل

١٥- تهافت الهداية ٤ جزء رد على كتاب الهداية تأليف نادى فرج درويش العطار

١٦- حروب الرد- تأليف نادى فرج درويش العطار

١٧- مقامع الصلبان ومراتع روضات أهل الإيمان للخزوجى القرطبى

١٨- نقد التوراة/ أسفار موسى الخمسة السامرية والعبرانية واليونانية -تأليف الدكتور أحمد حجازى السقا

١٩- إنجيل بَرْنابا

٢٠- إنجيل الدِّيداكى تحقيق وطبع الدكتور أحمد حجازى السقا